الدرسات الصوتية عند العلماء العرب
والدرس الصوتي الحديث

تأليف
الدكتور / حسام البهنساوى
أستاذ العلوم اللغوية
وكيل كلية دار العلوم
جامعة القاهرة - فرع الفيوم

الناشر
مكتبة زهراء الشرق
١١٦ شارع محمد فريد
ت: ٣٩٢٩١٩٢ موبايل: ٠١٢٣١٧٧٥١٠

الدراسات الصوتية عند العلماء العرب

والدرس الصوتي الحديث

تأليف

الدكتور/ حسام البهنساوي

أستاذ العلوم اللغوية

وكيل كلية دار العلوم

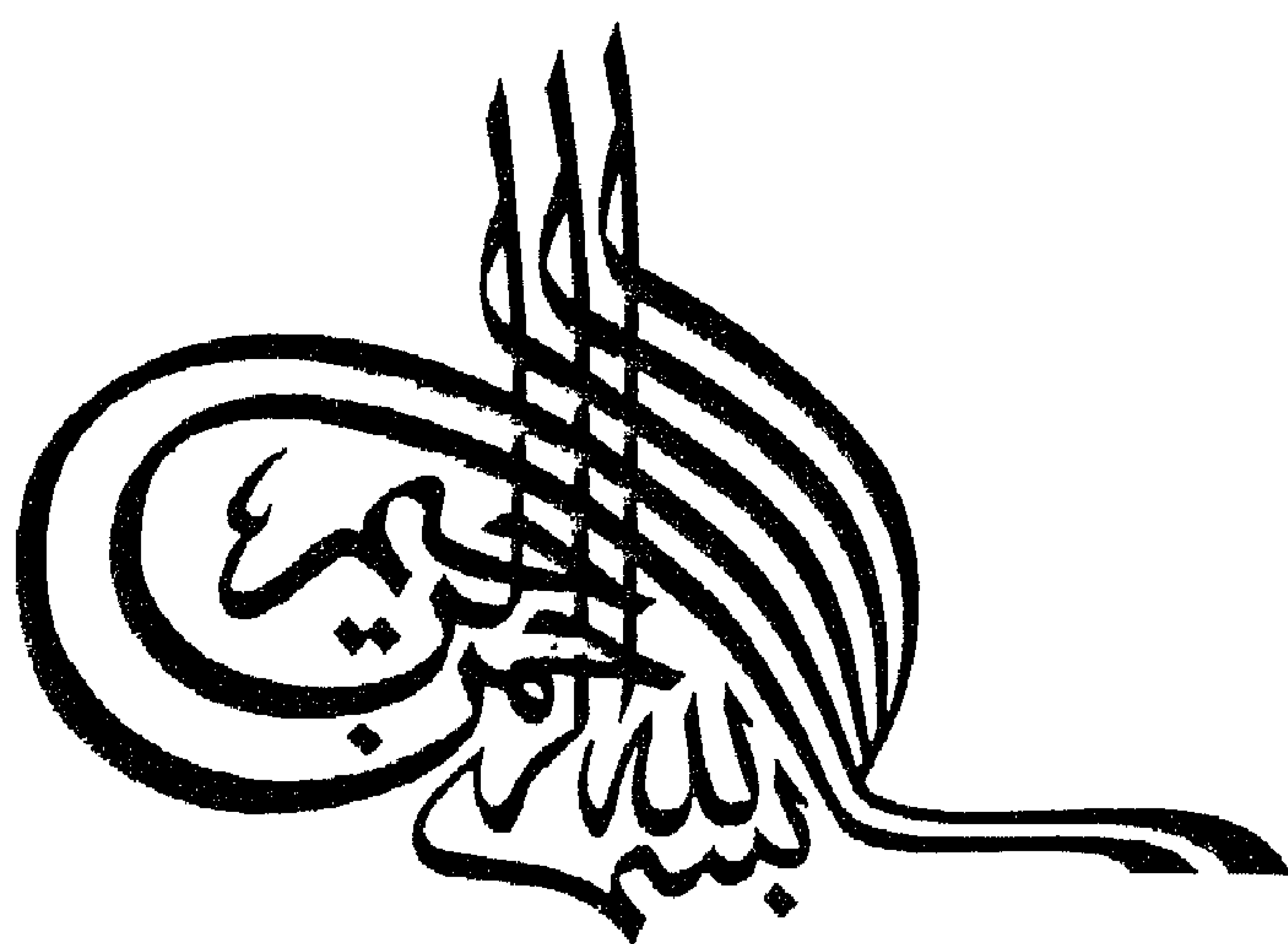
جامعة القاهرة ـ فرع الفيوم

زهراء الشرق

١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة

ت: ٣٩٢٩١٩٢ - ف: ٣٩٣٣٩٠٩

اسم الكتاب الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث
اسم المؤلف : أ.د حسام البهنساوى
رقم الطبعة : الاولى
السنة : ٢٠٠٥
رقم الايداع : ١٧٩٩
الترقيم الدولى : ISBN
977 -314 - 265 - 5
اسم الناشر : مكتبة زهراء الشرق
العنوان : ١١٦ شارع محمد فريد
البلد : جمهورية مصر العربية
المحافظة : القاهرة
التليفون : ٠٠٢٠٢٣٩٢٩١٩٢
فاكس : ٠٠٢٠٢٣٩٢٩١٩٢
المحمول : ٠١٢٣١٧٧٥١٠


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الدراسات الصوتية

عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث

تقديم:

تعدُّ الدارسات الصوتية واحدة من الدراسات اللغوية العربية؛ التي أولاها العلماء العرب اهتماماً كبيراً وملحوظاً، لما تمثله هذه الدراسات من علاقة وشيجة وقوية في الحفاظ على تجويد القرآن الكريم وتلاوته غضاً نديّاً، كما أقرأه جبريل عليه السلام أمين الوحي) للرسول الكريم محمد ﷺ .

ولا عزو أن تتميز هذه الدراسات الصوتية بميزات الدقة والعمق والشمول، حيث توجهت همم العلماء العرب صادقة، رغبة في الحفاظ على أصوات اللغة العربية، باعتبارها اللبنة الأساسية في البناء الهيكلي العام لهذه اللغة الشريفة.

إن سلامة البناء الصوتي ونظامه للغة، هو من الأمور الهامة، للإبقاء على استمرارها وديمومتها على مدار الزمان.

ومن المعلوم أن اللغة العربية الفصحى على اختلاف مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، هي الوعاء الأمين، والقالب المحكم لآيات الذكر الحكيم؛ القرآن الكريم دستور الإسلام والمسلمين.

لقد أدرك العلماء العرب من ثمة أهمية الحفاظ على هذه اللغة العربية الفصحى بعامة، وعلى أصواتها بوجه خاص. بعدما توسعت رقعة الدين الإسلامي الحنيف، في أنحاء المعمورة شرقاً وغرباً، ودخول الأمم العديدة من الأعاجم في دين الله أفواجاً فشمَّر هؤلاء العلماء عن سواعد الجد والاجتهاد، خشية على سلامة هذه اللغة وفصاحتها ونقائها من أن يصيبها خطر اللحن والانحراف.

لقد كان حرص المسلمين على سلامة الكتاب الكريم ونقاوته حرصاً شديداً، واشترطوا على ضرورة أخذه وتلقيه مشافهة عمن يوثق في حفظه من صفات الضبط

والأمانة وحسن الدين. لقد كانت أول دراسة حقيقية لحفظ القرآن الكريم، تلك الدراسة التي نهض بها العالم التابعي الجليل أبو الأسود الدؤلي، التي يطلق عليها رسم المصحف أو نقط الإعراب، للحفاظ على القرآن الكريم من اللحن والانحراف، كانت تلك الدراسة صوتية في آلياتها وأسس تحقيقها. على الرغم من أن العلماء يجعلونها من الجهود الأولية في نشأة علم النحو العربي!

لقد اعتمد أبو الأسود الدؤلي الأساس العضوي لوضع الشفتين انفتاحاً أو ضماً أو كسراً في ابتكار أول صور لرموز الحركات العربية، حيث جعلها نقاطا حمراء فوق الحرف المكتوب بالمداد الأسود أو بين يديه، أو تحته، فظهرت للأبجدية العربية رموز لحركاتها: الفتحة والضمة والكسرة، لم تكن موجودة من قبل في نظامها الأبجدي.

وهكذا نجد أن أول صنيع علمي لصيانة هذه اللغة، والمحافظة عليها، هو صنيع صوتي، اعتمد فيه أبو الأسود الدؤلي على الأساس العضوي، وما ينبغي أن تكون عليه أوضاع الشفين وحالاتها.

وتابع العلماء فيما بعد نقط المصاحف، ووضع قواعد التجويد والإقراء، وجميعها قواعد صوتية تتعلق بالشروط التي ينبغي مراعاتها في المدّ والإدغام والتنوين بغنة أو بغير غنة، والإقلاب والوقف الواجب أو الجائز، وغير ذلك مما وضعه علماء التجويد.

وتتواصل جهود العلماء إلى أن نصل إلى القرن الثاني الهجري، حيث العلامة اللغوي الجليل الخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي يعدُّ بحق الرائد والمؤسس الحقيقي لعلم الأصوات العربية، صاحب معجم العين، أول معجم عربي، ألفه الخليل وفقاً للأساس الصوتي.

لقد ابتكر الخليل العديد من الرموز الصوتية بأشكالها الحالية، سواء تلك المتعلقة بالصوامت أم بالحركات. فقد وضع الخليل رمزاً للهمزة، وهو رأس العين: ء وكان رمز الهمزة من قبل هو ذاته رمز الألف، كما وضع رمزاً للشدة: ّ، ورمزاً للمدّ: ورمزاً للسكون. كما وضع الرموز الحالية للحركات القصيرة: الفتحة والضمة

والكسرة التي كانت نقاطاً حمراء في النظام السابق عند أبي الأسود الدؤلي.

كما قام بتوزيع الأصوات على ثمانية مخارج، وذكر أوصافها بالشدة والرخاوة، والجهد والهمس والإطباق والانفتاح، والاستعلاء والاستفال والذلاقة وغيرها من الصفات، كما ذكر صفات الحركات من فتح وإمالة وروم وإشمام.

اعتمد الخليل في تضيقه الرائع للأصوات العربية على حسّه المرهف وتذوقه الدقيق وجاء من بعده أعلام كثيرون، أكملوا مسيرته، وأصلحوا بعض الهنات اليسيرة في دراسته، لعل من أشهرهم تلميذه: سيبويه، والعلامة الألمعي: ابن جنى، صاحب أشهر دراسة مستقلة في الأصوات، وهو كتاب: سر صناعة الإعراب.

لقد جاءت الدراسات الصوتية عند العلماء العرب على هذا النحو من الدقة والجودة والمنهجية، مما دعا المستشرق الألماني: برجشتراسر للقول: "لم يسبق الأوربيين في هذا العلم إلا قومان: العرب والهنود.

إن التقسيم الذي أورده العلماء العرب للأصوات العربية، من جعلها أصواتاً صامتة، وأصواتاً صائتة، وكذا تقسيمهم الأصوات إلى مجهورة ومهموسة، وإلى شديدة ورخوة، يعد هذا التقسيم هو ما يطلق عليه في الدرس الصوتي الحديث التقسيم الثنائي للأصوات، الذي يعدُّ سمة أساسية في النظام الصوتي في الأصوات اللغوية بوجه عام، تعوّل الدراسات الصوتية الحديثة على جدواه ونتائجه.

لم تكن الدراسات الصوتية عند العلماء العرب مقصورة فحسب على مجرد الوصف المادي للأصوات، أو ما يطلق عليه بالدراسة الفوناتيكية في الدرس الصوتي الحديث. بل إننا نجد لهؤلاء العلماء إسهامات ثرية، ودراسات فاحصة ووقفة لما يطرأ على الأصوات من تغييرات بسبب كونها في سياق لغوي، أو ما يطلق عليه بالدراسة الفونولوجية في الدرس الصوتي الحديث، حيث أبدع هؤلاء العلماء في حديثهم عن الإدغام وشروطه وأنواعه وقواعده كما أبدعوا في وضع أحوال الإعلال والإبدال والقلب وغير ذلك.

ولا نجاوز الحقيقة عندما نقول بأن العلماء العرب، قد أدلوا بدلوهم -أيضاً- في الحديث عن القيم اللغوية، لما يطلق عليه في الدراسات الصوتية الحديثة الفونيمات

التطريزية (الفونيمات الثانوية) وهي: النبر والتنغيم والمقاطع الصوتية والمفاصل الصوتية بأنواعها الوقفات والسكتات والاستراحات، وإن لم يسموها بهذه المصطلحات اللغوية الحديثة.

يشتمل هذا الكتاب الذي نقدمه للقارئ الكريم على قسمين اثنين، حيث يعني **القسم الأول** بدراسة الجهود والدراسات الصوتية عند العلماء العرب، ومدى دقتها وجودتها وأسبقيتها على الدراسات الصوتية المناظرة لها في زمانها من ناحية، ومدى وقوفها على قدم المساواة -إلى حد بعيد- مع الدراسات الصوتية الحديثة، على الرغم من الفارق الزمني الكبير، والتطور العلمي التقني والتكنولوجي الهائل من جهة أخرى.

أما القسم الثاني، فيشتمل على دراسة جهود العلماء العرب وبحوثهم لما يطلق عليه في الدرس الصوتي الحديث. الفونيمات التطريزية بأنواعها، والقيم اللغوية لهذه الفونيمات والقوانين الحاكمة لها وما تحدثه من تغييرات وتعديلات. وأن العلماء العرب قد أجادوا في هذه الدراسة، ولكنهم صنفوها في مصطلحات صوتية ولغوية أخرى كمصطلح: مطل الحركات وتقصيرها. وبلغت درجة الإجادة لديهم مستوى دقيقاً في معالجتهم للفواصل الصوتية، لما لها من صلة قوية بقواعد التجويد والتلاوة والإقراء بوجه عام.

وبعد.. فإنني إذا أقدم هذا الكتاب في دراسة الأصوات العربية للقارئ الكريم، فقد حرصت على أن يقف القارئ على الجهود الكبيرة للعلماء العرب، وأنهم قدموا للغة العربية بهذه الدراسات الصوتية أعمالاً قيمة، تقف على قدم المساواة مع معطيات الدرس الصوتي الحديثة، وأرجو أن تحفز مثل هذه الدراسات لتراثنا اللغوي العربي الباحثين والدارسين في الإقبال على هذا التراث العلمي الزاخر، لدراسته وإعادة قراءته في ضوء المناهج العلمية الحديثة.

والله نسأل أن يوفقنا إلى الرشد والصواب.

حسام البهنساوي

القسم الأول

الدراسات الصوتية عند العلماء العرب

أ – الوصف الصوتي للأصوات

الدراسات الصوتية عند العرب

مقدمة :

فهذه الدراسة، حول موضوع من موضوعات تراثنا اللغوي العربي، في ضوء المناهج اللغوية الحديثة، تعدُّ مطلباً علمياً جديراً بأن يهتم به الباحثون والدارسون، للوقوف على قيمة هذه الأعمال التراثية العلمية، ومدى فاعليتها وجدواها.

لقد عُني البحث بدراسة جهود العلماء العرب للأصوات العربية، وتناول منهجية البحث لديهم، وعرض لحدود هذه الدراسات الصوتية وجوانبها المختلفة. وبيّن مواضع جودتها ودقتها وتحقيقها لأهدافها، وإلى أي مدى أسهمت الدراسات الصوتية عند العرب في معالجة القضايا والمشكلات النحوية والصرفية.

ومعلوم أن النظريات البنيوية الحديثة، تنظر إلى اللغة، باعتبارها بناءً يتكون من عناصر مختلفة، تتضافر فيما بينها، في إتمام هيكله البناء اللغوي وإقامته.

وتبدأ مقومات هذا البناء بالمستوى الصوتي، باعتباره أصغر الوحدات اللغوية، يتبعه المستوى الصرفي ثم المستوى التركيبي (النحوي) وأخيراً المستوى الدلالي.

وتقتضي منهجية التحليل اللغوي وتسلسلها، أن تبدأ بدراسة الأصوات، تتبعها دراسة الصيغ والأبنية، ثم التراكيب والدلالات.

لكن العلماء العرب جعلوا الدراسات الصوتية في مؤخرة بحوثهم، لاحقة على الدراسات النحوية والصرفية، بحيث اختفت قيمتها وفعاليتها في خدمة هذه الدراسات، على الرغم من أنهم وظفوها في خدمة مسألة من مسائل الدراسة الصوتية- الصرفة، وهي: الإدغام.

وقد يتبادر إلى الذهن، أن علماءنا العرب، قدموا الدراسات النحوية والصرفية عن وعي منهجي وقصد علمي، بهدف إبراز أهمية المكون الأساسي في اللغة، أي المكون التركيبي، باعتباره الهدف الأساسي في النظرية اللغوية الخاصة بهم. كما هو الحال عند علماء المنهج التوليدي التحويلي! لكن الفارق أن علماء المنهج التوليدي التحويلي، أدركوا قيمة المكون الصوتي، وأدرجوه كمكون تفسيري في التحليل

اللغوي!

حيث يقوم هذا المكون الصوتي- عندهم بدراسة أصوات اللغة وتحديد قواعدها الفونولوجية، والتغييرات التي تطرأ على المقاطع الصوتية، تمهيداً لتقديم الشكل الفونولوجي، الذي يمثل فيما بعد، الشكل المورفيمي (الصرف) ثم يقدم بدوره، الشكل التركيبي للغة.

ويؤكد تشومسكى ضرورة أن ترتبط صور تمثيل المكون الأساسي بالصورة الصوتية عن طريق متواليات من قواعد التعبير الصوتي، في شكل صوتي منطوق.

وهكذا يتضح أن علماء المنهج التوليدي التحويلي، يرون أن مسئولية تحديد الشكل الصوتي المنطوق، أي التمثيل الصوتي الفعلي، الذي يتحقق النطق طبقاً له، تقع على عاتقه القواعد الفونولوجية، حيث إن سلسلة الكلمات (المورفيمات) بسماتها الصوتية المحددة، وعناصرها الفونولوجية، تدخل ضمن الأبنية السطحية وبذلك لا تكون المورفيمات في صورتها النهائية، إلا من خلال قواعد المكون الفونولوجي.

لكن العلماء العرب، لم يقصدوا إلى ذلك، ولم يفعلوه، وإنما جاءت دراسة المستويات اللغوية عندهم، على هذا النحو، الذي تقدمت فيه الدراسات النحوية والصرفية، دونما إفادة من معطيات الدرس الصوتي أو فعالياته! وليس من شك أن هذا التسلسل المنهجي، بين مستويات اللغة الأربعة، وأهمية تقديم بعضها على بعض في التحليل والدراسة، إنما هو من ثمار الدرس اللغوي الحديث. وأن إنجازات هؤلاء العلماء في مجال الدراسات الصوتية، يعد بحق عملاً عظيماً وخدمة جليلة للغة العربية في زمانهم، إذا قيست هذه الأعمال بإنجازات الأمم الأخرى. حتى إن المستشرق الألماني برجشتراسر، يصرح بقوله: "لم يسبق الأوربيين في هذا العلم إلا قومان: العرب والهنود".

لقد اعتمد هؤلاء العلماء على إمكانات ذاتية، تتمثل في اعتمادهم على التذوق الشخصي، والحسّ المرهف، فحددوا بهذه الوسائل البسيطة مخارج الأصوات وصفاتها، وصنفوها تصنيفاً جيداً، يتطابق في كثير من جوانبه الفوناتيكية مع ما

توصلت إليه الدراسات الفوناتيكية الحديثة، على الرغم مما تتمتع به هذه الدراسات الحديثة من تقدم علمي مذهل وامتلاك آلات ومخترعات تقنية وتكنولوجية متقدمة. إلى جانب ما ذكره هؤلاء العلماء الأجلاء من إشارات فونولوجية سديدة حول بعض القضايا الفونولوجية المتمثلة في النبر والتنغيم والمقاطع والفواصل الصوتية.

وبعد... فأرجو من الله العلي القدير، أن أكون قد وفقت في إنجاز هذا العمل، وأن أكون قد حققت النتائج العلمية المرجوة منه.

كما أدعوه سبحانه وتعالى أن يهدينا- على الدوام- إلى صالح الأعمال، وأن يلهمنا الرشد والصواب. إنه نعم المولى ونعم النصير،

والله ولي التوفيق

حسام البهنساوي

تمهيد:

لقد خطت الدراسات الصوتية الحديثة خطوات واسعة منذ بدايات القرن العشرين، وحظيت باهتمام العلماء والباحثين، وأولى علماء الأصوات اهتمامًا خاصاً بالبحوث التجريبية والمعملية، بعد ظهور كثير من الآلات والمخترعات الحديثة، سواء في مجال تخزين الأصوات وتسجيلها، أو في مجال تحليلها، وكان لظهور الأجهزة الالكترونية، وأجهزة قياس الأطياف، وراسمِ الذبذبات والمرشحات الصوتية وغيرها، أثر كبير في الوصول إلى النتائج الدقيقة، والحقائق الصوتية الجديدة. وقد صنف العلماء هذه الأجهزة إلى أنواع ثلاثة وهي:

١) الآلات الأكوستيكية: Acoustical instruments

٢) الآلات الفسيولوجية: Physilogical instruments

٣) آلات إنتاج الاصوات الصناعية : Syntheitic Speech Devicees

ومع نهاية القرن العشرين، شهدت هذه الآلات تقدماً مذهلاً، يتمثل في ظهور الكمبيوتر بأنواعه، وأجهزة الإنترنت وغيرها من المخترعات؛ التي تمثل -بحق- ثورة في علوم الاتصالات والمعلومات.

وكان من ثمار هذا التقدم العلمي أن ظهرت فروع عديدة تخصصية، تعني بالدراسات الصوتية، فكانت العلوم الصوتية الآتية:

أولاً: علم الأصوات النطقي: (الفسيولوجي)[1]: Articulatory Phonetics (Phyiological phonetics)

ويعني بدراسة حركات أعضاء النطق، من أجل إنتاج أصوات الكلام، أي إنه

---

[1] وقد حظى باهتمام أكثر من الفروع الأخرى للأصوات، لأن أعضاء النطق، يمكن أن تكون موضوعاً للبحث المباشر، إلى جانب سهولة معالجتها بواسطة الآلات الالكترونية، مثل: التلسكوب الحلقي وكذا أشعة إكس الفوتوغرافية، كما أن جميع أعضاء النطق مثل: الفم والشفتان والأسنان واللسان والأنف، معروفة للجميع، ولذلك فإنها يمكن أن تدرس وتوصف.

يهتم بعملية إنتاج الأصوات، وطريقة هذا الإنتاج[1].

وبعدُّ هذا العلم هو أقدم فروع علم الأصوات وأرسخها قدماً وأكثرها حظّاً من الانتشار في البيئات اللغوية كلها، فهو يدرس نشاط المتكلم بالنظر إلى أعضاء النطق، وما يعرض لها من حركات، فيعيّن هذه الأعضاء، ويحدد وظائفها، ودور كل منها في عملية النطق.. وقد كانت هذه الدراسات الصوتية في القديم مبنية في أساسها على هذا الجانب النطقي، بوصفه الوسيلة المتاحة، التي يمكن الاعتماد عليها في زمن حرم معظم فروع العلم وآلاته وأجهزته الفنية؛ التي تساعد على الكشف عن الجوانب الأخرى للصوت اللغوي[2].

ثانياً: علم الأصوات (الفيزيائي)[3] Acoustic Phonetcs (Physical)

وهو يهتم بدراسة الخصائص المادية أو الفيزيائية لأصوات الكلام في أثناء انتقالها من المتكلم إلى السامع[4] فهو يحلل الذبذبات والموجات الصوتية المنتشرة في الهواء، بوصفها ناتجة عن ذبذبات ذرات الهواء في الجهاز النطقي، المصاحبة لحركات أعضاء هذا الجهاز[5].

وقد أحدث علم الأصوات الفيزيائي ثورة في الدرس الصوتي، بتطبيقه للوسائل الفنية، والمبادئ العلمية المتبعة في علم الفيزياء، على الصوت الإنساني. وقد أفاد هذا العلم ميادين عديدة مثل: هندسة الصوت، والوقوف على طبائع الصوت الإنساني

---

(1) دراسة الصوت اللغوي ٧٩، وكذا:

B, Malmberg: Phonetics, P, 1, 1963.

F, Sadiqi, M, Ennaji : Introduction to modern linguistics, P, 68, 1999.

(2) علم اللغة العام –الأصوات- ١٥-١٦، وكذا: J. Lyons: Language and linguistics, p. 66, 1999

(3) F, Sadiqi, M, Ennaji: Introduction to modern Linguistics, p. 68.

(4) دراسة الصوت اللغوي ٤، وكذا: R,R,K: Hartmann, E,C, Stork: Dictionary of language and lingustics, pp, 2-4, 1972.

J, Lyons: Language and linguistics, p. 67, 1999.

(5) علم اللغة العام- الأصوات ١٦-١٨، وكذا، B.M. Malmberg: Phonetics, p. 1, 1963.

في صورته المبثوثة عن طريق المذياع، أو وسائل الاتصال السلكية واللاسلكية المختلفة، كما أسهم هذا العلم في علاج أنواع معينة من الصمم وعيوب النطق، حيث تمكن الباحثون من معرفة خواص معينة للتركيب الطبيعي للأصوات. كما أسهم علم الأصوات الأكوستيكي في الدراسة التاريخية للأصوات، لمعرفة ما يطرأ عليها من تغييرات أو تحولات Phonetics evolitive، وكان البحث التاريخي من قبل يعتمد على أسس فنولوجية، لا على المادة المنطوقة بالفعل، حيث يلجأ الباحثون اللغويون إلى القوانين الصوتية العامة للغة المعينة. (القوانين الفونولوجية) وهي تستقى من مصادر عدة منها؛ تاريخ اللغة المدروسة والعادات ذات الصلة بها، بطريق القرابة في الخلقة والتكوين أو في البيئة الجغرافية، والاختلاط الثقافي في نظام الكتابة في هذه اللغة، أو تحديد نوع من النطق مفترض مبني على هاتين الوسيلتين السابقتين، بالإضافة إلى عوامل فسيولوجية تتعلق بأعضاء النطق، وتشير إلى الاحتمالات العضوية، التي يمكن أن تفسر انتقال الصوت المعين من منطقة إلى أخرى(١).

أما الدراسة التاريخية الحديثة المعتمدة على التحليل الأكوستيكي للأصوات، فإنها تعتمد على معرفة الطبيعية الفيزيائية للأصوات، كمعرفة مكونات الحركات Vowels formants وعلى الحزم الصوتية للصوامت، وعلى ظاهرة انتقال الصوت في الهواء، وعلى طريقة ردّ فعل الأذن لهذه المثيرات. وهذا يساعد على تفسير قدرة بعض الأصوات على البقاء والاستمرار، وعدم قدرة بعضها الآخر، فيحدث لها تغيير(٢).

وقد أكد مالمبرج من خلال الاعتماد على التحليل الأكوستيكي أو الفيزيائي للأصوات، أن الصوامت التي سماها Dark Consonant، ويمثل لها بالأصوات الشفوية والقصية، تحتفظ بكيانها بالنسبة للحركات المجاورة لها بصورة أسهل وأوضح، إذا كانت هذه الحركات المجاورة تلك التي سماها: Light Vowels (ويقصد

---

(١) علم اللغة العام- الأصوات ١٩.

(٢) علم اللغة العام – الأصوات ٢٠.

بها الحركات الأمامية، كما يبدو من الأمثلة) فالأصوات: G, K, V,B,P في اللغة اللاتينية، قد تلاشت بوجه عام قبل الحركات الخلفية، ولكنها باقية في صورة (V أو J) قبل الحركات الأمامية، في اللغة الفرنسية، قبل ظهور ما يسمى باللغة الفرنسية الأدبية. فالكلمة اللاتينية: Clave، صارت: Clau في الفرنسية الحديثة، والكلمة اللاتينية: Fagu، تطورت إلى: Fouet، في الفرنسية والكلمات اللاتينية: Pace، تحولت إلى: Pais، في الفرنسية القديمة(1).

كما توصل العلماء في ضوء دراسة أكوستيكية الحزم الصوتية، التي هي عبارة عن مجموعة الترددات، إلى نظرية علمية سموها: نظرية البصمات الصوتية(2).

ثالثاً: علم الأصوات السمعي: Auditory Phonetics (3)

وهو يعدُّ أحدث فروع علم الأصوات، وهو ذو جانبين:

1) جانب عضوي فسيولوجي: Physicological

2) جانب نفسي: Psychological

ولم يحقق علماء الأصوات في هذا الفرع من علوم الأصوات النتائج المرجوة، نظراً لحاجته إلى متخصصين في البحوث الفسيولوجية للجهاز السمعي من جهة، وإلى متخصصين في علم النفس الإدراكي من ناحية أخرى(4).

ويذكر روبنس مجموعة من الصعوبات التي تواجه الباحثين اللغويين في مجال هذا العلم وهي:

1) انتشار الموجات الصوتية على طبلة الأذن، ووقع هذه الموجات على أعضاء السمع، شيء لا يمكن إدراكه، إلا بواسطة أجهزة خاصة، وفي حالة الاستعانة

---

(1) B, Malmberg: New Trends in linguistics, p. 121, 1964.
وعلم الأصوات – ملمبرج – مترجم ١١-٣٦.

(2) الأصوات اللغوية– د/ عبد القادر عبد الجليل ٦٥.

(3) F, Sadiqi, M, Ennaji: Introduction to modern Linguistics, p. 68.

(4) انظر: علم اللغة العام– الأصوات ١٣ وما بعدها.

بهذه الأجهزة، فيما لو أتيحت للغوى، سوف نجد أنفسنا في النهاية، غير قادرين على إدراك العملية السمعية، باستثناء عملية سماع الأصوات بوصفها ضوضاء، لا أكثر ولا أقل.

٢) عملية السماع لا يمكن التحكم فيها، فليس الإنسان بقادر على وقف هذه العملية واستئنافها حين يشاء، على عكس عملية النطق، التي يستطيع المتكلم أن يتحكم فيها بالقطع والاستئناف متى شاء.

٣) ما يجري في الجهاز السمعي وكثير من أعضائه أشياء بعيدة المنال بالنسبة للعين المجردة، وكذلك الحال بالنسبة للملاحظة الناتجة عن استعمال ذلك النوع من الأجهزة والآلات التي يحتمل أن تتاح للباحث اللغوي العام[١].

أما فندريس Vendrys، فإنه يرى أن الصور السمعية التي يستقبلها السامع، ليس لها أية قيمة، إلا على أساس أن هذا السامع، لديه القدرة على تحويلها إلى صور نطقية فعلية ومن ثم يمكن أن يكون متكلما هو الآخر، وبمعنى آخر، إن السامع متكلم بالقوة، إذن هو يمتلك ما حوله المتكلم إلى أحداث نطقية واقعية، وبهذا يمكن الاستغناء عن علم الأصوات السمعي[٢].

رابعاً: علم الأصوات التجريبي Intrumental Phonetic (Experiental)[٣]:

وقد استخدم هذا العلم في دراسة الأصوات منذ القديم، لكنه كان يعتمد على الملاحظة الذاتية المباشرة، ومع التقدم العلمي ظهرت المخترعات والآلات الدقيقة، التي مكنت علماء اللغة من استخدامها، سواء في تسجيل الأصوات أو في تحليلها، وأفاد علماء اللغة في هذا السبيل، من معامل الدراسات الفسيولوجية والفيزيقية

---

(١) علم اللغة العام ١٣-١٤. Robins: General linguisics, 85.

(٢) علم اللغة العام ١٤-١٥، وكذا: Vendryes,: Language, P. 19.

(3) F, Sadiqi, M, Ennaji: Introdaction to modern linguistics P, 86, 1999.

والهندسة الكهربائية، وفروع الطب المختلفة[1].

ويقوم علم الأصوات التجريبي في الوقت الحاضر بأدوار خطيرة، لا في مجال الأصوات وحدها، بل وفي ميادين كثيرة، ذات صلة بالإنسان وحاجاته المباشرة، كما يظهر ذلك – مثلاً – في تقديم العون للمشتغلين بالصوت الإنساني، في أية صورة، وللمهتمين بعلاج عيوب النطق، والصمم.. الخ ويرجع الفضل في ذلك إلى التقدم الكبير في الأجهزة المستخدمة في هذا الحقل[2].

---

(1) انظر: دراسة الصوت اللغوي ٣٣ وكذا:

Aberecombie: Studies in Phonetics and linguistics, P. 131, 1969.

(2) علم اللغة العام– الأصوات ٢٢ والأصوات اللغوية، د/ عبد القادر عبد الجليل ٨٥–٩٥. حيث قدم مجموعة من الآلات الفيزيائية: Physieal Instruments

نذكر منها:

١–الأوسيللوجراف: Osellograph

٢–جهاز راسم الطيف. Spectrograph

٣–ألة كوير: The pattern Playback

مجموعة الآلات الفسيولوجية: Physiological Instruments

نذكر منها:

١) الكيموجراف: Kymograph

٢) المجهر الحنجري: Laryngoscoph

٣) جهاز الراسم الحنجري: Larynogograph

٤) الأحناك الصناعية: Palatography

٥) أشعة إكس: X Rays

٦) الآلات المنتجة للأصوات الصناعية: Artifical Talking Devices

الدراسات الصوتية عند العرب

اهتم العلماء العرب بدراسة أصوات اللغة العربية اهتماماً كبيراً، وقد اتسمت هذه الدراسة بالدقة والتميز، على الرغم من اعتمادها على الملاحظة الذاتيـــة، والحـــسّ والذوق الذاتي دفعهم إلى هذه الدقة وهذا التميز، حرصهم على سلامة لغة القــرآن الكريم ونقائها، وبخاصة بعد انتشار الإسلام، في بقاع الأرض شرقاً وغرباً، فتأثرت أسماع العرب بلغات هؤلاء الأقوام وأصواتها، فخشي العلماء الأجلاء من أن تنحرف أصوات هذه اللغة الشريفة؛ لغة القرآن الكريم، بتأثرها بأصوات تلك اللغات[1].

لقد نهض هؤلاء العلماء، بدراسة أصوات اللغة العربيـــة منـــذ القـــرن الثـــاني الهجري، وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـــ) هو رائد هـــؤلاء العلمـــاء، حيث أولى اهتماماً كبيراً بدراسة أصوات العربية، ساعده على ذلك سمعه المرهـــف، وإحساسه الذكي، إلى جانب اهتمامه بموسيقى الشعر وبحوره، فاســـتخرج أوزانهـــا وتفاعيلها، كما توجهت همته- أيضاً- نحو الألحان والأنغام، فألف في آلات الإيقـــاع والنغم.

ونظر الخليل بن أحمد في الترتيب المألوف لحروف العربية، وهو: أ ب ت ث ج ح خ.. الخ، الذي استمده النسّاخ والكتبة من الترتيب السامي القديم، الذي اشـــتهر عن الأمم السابقة القديمة، كالفينيقيين والعبريين، وهو ترتيب: أبجد هـــوز... الـــخ حيث وضع النساخ الرموز المتشابهة الصورة بعضها بجوار بعض، ورأى الخليل أن هذا الترتيب المألوف، ليس قائماً على نظام علمي، فآثر أن يختار ترتيباً آخر، علـــى أساس صوتي، فرتب معجمه: العين، على ذلك، وبدأ بأصوات الحلق، وجعلها أقساماً،

---

[1] يعدُّ صنيع أبي الأسود الدؤلي: نقط الإعراب، على الرغم من كونه عملاً نحوياً في أساسه، لإحكـــام ضبط آيات القرآن الكريم من اللحن والانحراف، يعدُّ عملاً صوتياً كذلك، فهو يعتمد علـــى الأســـاس النطقي في توزيع الحركات.

ثم أصوات أقصى الفم، ثم وسط الفم، ثم أدنى الفم، ثم الشفتين"[1].

ويعد الخليل بن أحمد إذن أول عالم عربي، يتخذ منهجاً وطريقة جديدة، يتذوق من خلالها طريقة جديدة، يتذوق من خلالها الأصوات، ليتعرف مخارجها، ويحدد مدارجها، ويشرح لنا تلميذه الليث بن المظفر هذه الطريقة بقوله: "إنما كان ذواقه إياها، أنه كان يفتح فاه بالألف، ثم يظهر الحرف، نحو: أب، أت، أح، أع، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق، فجعلها أول الكتاب"[2].

"وهذا معناه تجربة النطق بالصوت ساكناً، لئلا يختلط بغيره أو يلتبس على الناطق معرفة كيفية صدوره ومخرجه الدقيق، وهذه الطريقة تقرب مما يدعو إليه المحدثون من علماء الأصوات"[3].

أعضاء النطق عند العلماء العرب

ذكر العلماء العرب الرئة، وقصبة الرئة، ولكنهم جعلوا قصبة الرئة مجرد طريق للتنفس فحسب، كما ذكروا الحلق والحنجرة (عند ابن سينا) والحلقوم (أطلقوه على الحلق والقصبة) وقد يستعمل حلق للدلالة على هذه الأعضاء جميعاً، أما الأوتار الصوتية، فإنه لم يشر إليها أحد من العلماء العرب، سوى ما يفهم بصعوبة مما ورد في رسالة ابن سينا من تشريح للحنجرة وذكر لغضاريفها الثلاث. أما لسان المزمار، فيبدو أنهم أطلقوا عليه أدنى الحلق، وذكروا اللهاة، بيد أنهم لم يشيروا إلى غشاء الحنك، كما ذكروا الأنف أو داخل الأنف أو المنخر، كما ورد لفظ خيشوم وورد لفظ حنك، وقسموه إلى الحنك الأدنى (النطع) أو الغار الأعلى، أما اللسان، وظهر اللسان،

---

(1) ثمة تشابه كبير بين تصنيف العلماء العرب للأصوات، بحسب الترتيب الصوتي، وبين تصنيف الهنود لأصوات اللغة السنسكريتية، وفقاً للأساس الفسيولوجي، لمواضع النطق، ووجه التشابه في أن العلماء العرب بدأوا ترتيبهم من الأصوات الحلقية، إلى الشفتين، ثم يذكرون الأصوات الأنفية. كما فعل العلماء الهنود. انظر: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي ٩٠.

(2) العين ٥٢/١.

(3) المدخل إلى علم اللغة ١٥.

وحافة اللسان، وطرف اللسان، ويسمى طرف اللسان إذا كان يابساً (عند النطق بحروف الصفير) وأسله. أما إذا كان رخوا، وتحرك بسهولة (عند النطق بحروف التكرير والانحراف) فيطلق عليه: ذلق اللسان أو ذولقه. أما الأسنان، فتقسم عندهم إلى: الثنايا والرباعيات والأنياب والأضراس، ويطلقون على الأنياب: الضواحك[١] كما ذكروا الشفتين.

أعضاء النطق في الدرس الصوتي الحديث

يقسم العلماء المحدثون أعضاء النطق إلى نوعين[٢] :

أولاً : الأعضاء الثابتة: وهذه الأعضاء هي: الأسنان العليا- اللثة- الغار (الحنك الصلب) -الجدار الخلفي للحلق.

ثانياً : الأعضاء المتحركة: الشفتان -اللسان- الطبق (الحنق الرخو)- اللهاة- لسان المزمار (يتحرك بحركة اللسان)- الحنجرة (بما فيها من غضاريف) -الرئتان- القصبة الهوائية.

ويتبقى أن نذكر أن العلماء المحدثين، يذكرون أن تسمية هذه الأعضاء، بأعضاء النطق، إنما هي تسمية على سبيل التجوز، لأن وظيفة هذه الأعضاء البيولوجية ذات أهمية حيوية لبقاء الإنسان على قيد الحياة، ولكن لأن النطق من الوظائف الظاهرة لهذه الأعضاء، فقد سماها العلماء: أعضاء النطق.

---

(١) انظر: دروس في علم أصوات العربية ١٨-١٩.

(٢) انظر: المدخل إلى علم اللغة ٣٤ ومدخل إلى علم اللغة ٣٣-٣٤.

دور أعضاء النطق في إحداث الصوت

١) الشفتان: Lips: وهما تتحركان بحرية في كل اتجاه، وتتخذان أوضاعاً مختلفة، عند النطق بالأصوات، حيث تنطبقان انطباقـاً تامـاً، يمنـع مـرور الهـواء، وتتفرجان، فيندفع من ثمة الهواء منفجراً، محدثاً صوتاً انفجارياً، وتستديران، كما يحدث في نطق الضمة، وتنفرجان كما يحدث في نطق الفتحة، وغيرها من الأوضاع المختلفة.

وتختلف عادات البشر في استغلال حركة الشفتين، والانتفاع بها، فمن الشعوب من تتميز عادات النطق لديهم بكثرة الحركة في الشفتين، ومنهم من يقصد في ذلك[١].

٢) الأسنان: Tooth: وهي من الأعضاء الثابتة، غير أن الفك الأسفل يتحرك، ولا تقوم الأسنان بإنتاج الأصوات بمفردها، وإنما بالاشتراك مع اللسان أو الشـفة السفلى.

٣) سقف الحنك: The Oral Cavity: وهو المقابل للسان من أعلـى الفـم، ولا يقوم سقف الحنك بإنتاج الأصوات بمفرده، وإنما بالاشتراك مع اللسان.وينقسم إلى أربعة أقسام:

أ) اللثة: Aveolea, gumride أو أصول الأسنان العليا Tooth ridge وتقـوم بإنتاج الأصوات بالاشتراك مع طرف اللسان.

ب) الغار: (سقف الحنك) Hard Palata ويقـوم بإنتـاج الأصـوات- أيضـاً- بالاشتراك مع وسط اللسان، أو حافة اللسان، ويتميز بأنه محدب ومحزز.

ج) الطبق (سقف الحنك الرخو) Soft Palata: ويقوم بإنتاج الأصوات بالاشتراك مع مؤخرة اللسان.

د) اللهاة: Uvula وهي عضو متحرك، لكنها لا تقوم بإنتاج الأصـوات وحـدها،

---

[١] انظر: المدخل إلى علم اللغة ٢٣، وكذا Malemberg: Phonetics, p p. 27-28.

وإنما بالاشتراك مع مؤخرة اللسان.

٤) اللسان: Tounge: وهو من أهم أعضاء النطق، ويتكون من عدد كبير من العضلات، التي تمكن من الحركة والامتداد والانكماش والتلوي إلى أعلى أو إلى الخلف، وقد مكنته هذه الأوضاع من الاتصال بأية نقطة من الفم، ويطلق كثير من العلماء مصطلح. علم اللسان أو اللسانيات، أو الألسنية، على مصطلح، علم اللغة، لما للسان من دور فعّال في إنتاج اللغة، ويقسم العلماء المحدثون اللسان إلى ثلاثة أجزاء:

أ) مقدمة اللسان. ب) وسط اللسان. ج) مؤخرة اللسان.

٥) الحلق: Pharynx: ويقع الحلق بين الحنجرة وأقصى الحنك، وهو عبارة عن تجويف في الخلف من اللسان، يحدُّ به، وربما يسمى الحائط الخلفي للحلق من الخلف، والحائط الخلفي، ليس إلا عظام العنق مغطاة بما يكسوها من اللحم[١].

٦) لسان المزمار: The Epiglotts: وتقع في مقدمة الحلق منطبقة على جذر اللسان، ولا تتحرك وحدها ذاتياً، وإنما تتحرك بحركة اللسان، وتقوم بوظيفة صمام القصبة الهوائية، تسدها عند الطعام، فهي تحمي المجرى التنفسي في أثناء عملية البلع.

وفي حين يرى بعض العلماء أنه لا دخل لها في عملية نطق الأصوات، نجد بعضهم الآخر يؤكد، دور لسان المزمار في التأثير على نوع الحركات، حيث يجذب إلى الخلف عند النطق بالفتحة، في كلمة: طاب، والضمة في كلمة: صورة، ويجذب إلى الإمام في النطق بالكسرة في كلمة: مين، بالعامية المصرية، والإمالة في كلمة: فين، بالعامية المصرية، وكذلك في النطق بكلمة: هَين، في لهجة شمال بغداد، وكلمة: وين، في لهجة جنوب البصرة[٢].

٧) الحنجرة: Larynx: وهي تقع في قمة القصبة الهوائية، وهي عبارة عن

---

(١) انظر: المدخل إلى علم اللغة ٣٦.

(٢) الأصوات اللغوية ٥٠ وكذا الأصوات اللغوية د/ عبد الفتاح عبد الجليل ٣١.

حجرة متسعة نوعاً ما، ومكونة من ثلاثة غضاريف، وتقوم بوظيفة أساسية كصمام أمان لإغلاق الرئتين وحمايتها، وتوصل فراغ الحلق بالقصبة الهوائية، وتتألف من الأقسام الآتية:

أ) الغضروف الدرقي: The Thyroid: وهو الجزء العلوي فيها، وهو ناقص الاستدارة من الخلف، وعريض بارز من الأمام، ويسمى تفاحة آدم، وهو في الرجال أكثر بروزاً منه في النساء.

ب) الغضروف الحلقي (الأدنى): The Criocoid: وهو يشكل الجزء الأدنى من الحنجرة، ويكون بمثابة القاعدة لها، على هيأة حلقة تمثل أعلى حلقات، القصبة الهوائية، فصه مستدير إلى الوراء.

ج) الغضروفان الحنجريان: The Arytenoids: وهما النسيجان الخلفيان الهرميان، يتميزان بالقدرة على الحركة بواسطة العضلات، التي تمكنهما من الانزلاق والاستدارة والتأرجح.

يشكل كل واحد من الغضروفين هرماً مثلث القاعدة، له قمة، وزوايا ثلاث، وقاعدة وثلاثة أسطح.

وبواسطة هذه الغضاريف وطبيعتها التكوينية، تتمكن الحنجرة من التحرك في اتجاهات مختلفة فوق وتحت وأمام وخلف، وتعتبر الحركة في الاتجاه العلوي والسفلي، من أهم الحركات، لكونها تؤثر في حجرة الرئين.

د) الغضروفان المخروطيان: The Cuneiform Carilages: ويقع كل واحد منهما فوق كل من الغضروفين الهرميين، وليس لهما دور في عملية التصويت.

هـ) الغضروفان القرنيان: The Corninculate Cartilages: ويقع كل واحد منهما فوق كل من الغضروفين الهرميين، بدرجة أقل نحو الأسفل، وليس لهما دور في عملية التصويت[1].

---

[1] الأصوات اللغوية، د/ عبد القادر ٢٨-٢٩ وأصوات اللغة ٤٧-٥٠ ودراسة الصوت اللغوي ٨٠-٨١ وكذا: Malmberg: Phonetics, p. 22-25.

٨) الأوتار الصوتية: Nocal Chords: ويطلق عليهـا أبـر كرومبـي: Vocal bards (١) في حين يسميها جوردون Vocal Folds (٢) (ويسميها آخـرون غيرهما بالحبال الصوتية. وهي عبارة عن رباطين مـن العضـلات مـرنين، يشبهان الشفتين، ويتصل بهما نسيج، يقعان متقـابلين علـى قمـة القصبـة الهوائية، ويمتدان بشكل أفقي من الخلف إلى الأمام، وعند ذلك يلتقيان بالبروز المسمى بتفاحة آدم Adam Apple.

ونظراً لصعوبة رصد حركات الـوترين الصـوتيين بسـهولة، فـإن البـاحثين الصوتيين استخدموا في رصدها جهاز الاستروبوسكوب أو جهـاز قيـاس سـرعة التردد، لرصد الذبذبات(٣).

ويوجد فوق الأوتار الصوتية زوج آخر من الشـفاه، بـنفس هيئـة الأوتـار الصوتية، ويسميان بنفس التسمية، ولكنهمـا زائفـان False Vocal Cords، ولا علاقة لهما بالتصويت على الإطلاق.

ويبلغ طول كل من الوترين الصوتيين ما بين ٢٢-٢٧ ملليمتراً، وهمـا عنـد الرجال أطول من النساء، ويتسمان بالغلظة والمتانة عند الرجال، في حين يتسـمان بالرقة عند النساء والأطفال غير البالغين.

وقد وجد علماء الأصوات المعنيون بالـدرس التشـريحي، أن معـدل التـوتر الاهتزازي للأوتار الصوتية، ما بين ٦٠-٧٠ ذبذبة في الثانية، لأخفـض الأصـوات عند الرجال، وأن متوسطها يصل عند الرجال البالغين إلى ١٠٠-١٥٠ذبذبـة فـي الثانية- أما المرأة فتبلغ الذبذبة ما بين ٢٠٠-٣٠٠ذبذبة في الثانية، وعند الأطفال ما بين ٣٠٠-٤٠٠ذبذبة في الثانية.

---

(١) انظر: دراسة الصـوت اللغـوي ٨٠-٨٢ وكـذا: Abercrombie: Elements of general Phonetics, pp, 25-26.

(2) Godon: A Guide to Phonetical training, p. 36.

(3) Malemberg: Phonetics, p. 25.

.. ومن الملاحظ أن ذبذبة الأوتار الصوتية عند الرجال تبدو منخفضة بالنسبة إلى النساء والأطفال بالرغم من وجود مدى تتراوح وسطه الذبذبة لكل نوع[1].

٩) التجويف الأنفي: Nasal Cavity: وهو تجويف يندفع الهواء من خلاله عندما ينخفض الطبق، نحو الحائط الخلفي للحلق، بل يمكن إقفاله عندما يرتفع الطبق، نحو الحائط الخلفي للحلق، ومع انفتاحه تخرج الأصوات الأنفية، ومع انغلاقه تخرج الأصوات الفموية[2].

١٠) الرئتان: Lung: وهما يعدان مخزناً للهواء، وتتحركان تمدداً وانكماشاً، بحسب حركة الحجاب الحاجز الموجود تحتهما أسفل الصدر[3]، ولا تقل أهميتهما عن أي عضو آخر من أعضاء النطق، بل لا تكون الحياة ذاتها، فبغير الرئتين لا تتم عملية التنفس، ومن ثم لا تتم عملية النطق، بل لا تكون الحياة ذاتها[4]:

وبعد أن قدمنا لما ذكره العلماء العرب من أعضاء النطق، وما ذكرته الدراسات الصوتية الحديثة، فإننا نلحظ أن العلماء العرب، قد ذكروا هذه الأعضاء وحدودها، وتحدثوا عن دورها في عملية التصويت، بل حددوا مسميات لأجزاء العضو الواحد، كما فعلوا باللسان والأسنان والحلق وغيرها، غير أنهم لم يذكروا الحنجرة والأوتار الصوتية، باستثناء ابن سينا، الذي قدم وصفاً تشريحياً للحنجرة وذكر غضاريفها، ودورها في التصويت، حيث يقول: "فإذا تقارب الذي لا اسم له من الدرقي وضامه، حدث منه ضيق الحنجرة، وإذا تنحى عنه وباعده حدث منه اتساع الحنجرة" ومن تقاربه وتباعده، يحدث الصوت الحاد والثقيل[5].

ولا غرابة أن يثني المستشرق: شاده Schaade، على تقسم سيبويه للمخارج،

---

(١) انظر: دراسة الصوت اللغوي ٨٢.

(٢) انظر: علم اللغة العام ٧١ والمدخل إلى علم اللغة ٢٧.

(٣) المدخل إلى علم اللغة ٢٧.

(٤) علم اللغة العام ٧٢.

(٥) أسباب حدوث الحروف ١٢ وما بعدها.

إذ يقول: "تشاهد غاية التفصيل مثلاً- في تقسيمه للأسنان، وقد قسمها إلى: الثنايا والرباعيات والأنياب والأضراس"[1] وهو يلتمس العذر لسيبويه في عدم ذكره الحنجرة: بقوله: "فإن سيبويه وإن قسم الحلق إلى: أقصى الحلق، وأوسط الحلق، وأدنى الحلق، لم يكن يعرف الحنجرة ولا أجزاءها، كالمزمار والأوتار الصوتية، وسبب هذا الاختلاف واضح: فإن الأسنان مكشوفة للرؤية، وأما الحنجرة وأجزاؤها وعملها، فتقتضي ملاحظتها إلى التشريح، وما أظن سيبويه يجترئ عليه، أو إلى بعض الآلات الفنية، كمنظار الحنجرة أو الأشعة المجهولة، ولم يكن مثل هذه الآلات بين يديه، وكفى بذلك عذراً يعتذر به سيبويه لعدم معرفته بالحنجرة وعملها"[2].

---

[1] علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ٥.

[2] علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ٥.

الدّراسة الفوناتيكية للأصوات عند العلماء العرب

أولاً: الأصوات الصامتة:

ونقصد بمصطلح: فوناتيك: دراسة الأصوات من حيث كونها أحداثاً منطوقة بالفعل actual speech events: لها تأثير سمعي معين Actual effect، دون نظر إلى قيم هذه الأصوات أو معانيها في اللغة المعينة، إنه يعني بالمادة الصوتية، لا بالقوانين الصوتية، وبخواص هذه المادة، أو الأصوات بوصفها ضوضاء noises، لا بوظائفها في التركيب الصوتي للغة من اللغات، وخلاصة الأمر- عندنا- أن الدراسة الفوناتيكية للأصوات، تقوم على وصف الأصوات ومخارجها وصفاً مادياً محضاً، بقطع النظر عن كون هذه الأصوات في سياق تركيبي[1].

١-الخليل بن أحمد الفراهيدي:[2] (ت ١٧٥هـ)

جعل الخليل بن أحمد مخارج الحروف العربية ثمانية مخارج، حيث يقول: "فالعين والحاء والهاء والخاء والغين: حلقية؛ لأن مبدأها من الحلق. والقاف والكاف: لهويتان؛ لأن مبدأهما من اللهاة. والجيم والشين والضاد: شجرية؛ لأن مبدأها من شجر الفم، أي مفرج الفم. والصاد والسين والزاي: أسلية؛ لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهي مستدق طرف اللسان. والطاء والتاء والدال: نطعية؛ لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى. والظاء والذال والثاء: لثوية؛ لأن مبدأها من اللثة، والراء واللام والنون، ذلقية؛ لأن مبدأها من ذلق اللسان، وهو تحديد طرفيه، كذلق السنان. والفاء والباء والميم: شفوية، وقال مرة: شفهية، لأن مبدأها من الشفة. والياء والواو والألف والهمزة: هوائية، في حيز واحد؛ لأنها هاوية في الهواء،

---

(1) انظر: علم اللغة العام- الأصوات ٢٨ حيث تفصيلات حول مفهوم: فوناتيك وفونولوجيا، واختلاف المدارس اللغوية حولهما، ٢٨-٦٠.

(2) انظر مدخل إلى علم اللغة ٤٧-٤٨.

لا يتعلق بها شيء".[1]

٢-عند سيبويه : (ت١٨٩هـ) :

خصص سيبويه في كتابه: الكتاب باباً بعنوان: الإدغام، لدراسة الأصوات العربية ذكر فيه الحروف ومخارجها، والمهموس منها والمجهور، وأحوال مهموسها ومجهورها، وذكر اختلافها، وقال في آخر هذا الباب: "وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات، لتعرف ما يحسن فيه الإدغام، وما يجوز فيه، وما لا يجوز منه، وما يحسن فيه ذلك، وما تبدله استثقالاً كما تدغم، وما لا تخفيه، وهو بزنة المتحرك"[2].

مخارج الأصوات عند سيبويه :

قسم سيبويه الأصوات العربية على ستة عشر مخرجاً، حيث يقول: "ولحروف العربية ستة عشر مخرجاً، فللحق منها ثلاثة: ١- فأقصاها مخرجاً: الهمزة والألف والهاء. ٢- ومن أوسط الحلق مخرج: العين والحاء. ٣- وأدناها مخرجاً من الفم: العين والخاء. ٤- ومن أقصى اللسان، وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج: القاف.

---

(١) العين ١/٦٥، ويقال إن هذا الترتيب لم يبتكره الخليل، وإنما هو ترتيب السنسكريتية، فإن هذه اللغة، كانت ترتب حروفها على هذا النظام، ابتداء من أقصى الحلق مخرجاً إلى أدناها، وقد اتصل المسلمون بالهنود في الفتوحات الإسلامية، بل اتصل بهم عرب الجاهلية في القديم، كما جاء كثير منهم إلى العراق، وعاش فيه، فقيل إن الخليل عرف منهم هذا النظام!

St, Wild: Das Kitab al und arabische Leikographie.

والحقيقة فإن كتاب العين، يتسم بسمات خاصة، تميزه عن ترتيب الهنود، وهذه السمات هي:

١) ذوق الأصوات عن طريق فتح الفم بألف مهموزة، ويليها الصوت المذاق ساكناً، فيقال في الباء: أبْ، وفي التاء، أتْ، وهلم جرا، وبذلك يتضح صوت الحرف، بالوقوف عليه ساكناً.

٢) وصف الأجراس الصوتية للحروف من جهر وهمس، وشدة ورخاوة، واستعلاء واستفال، وجعله ذلك يقف عند أصوات الحركات وما يداخلها من إمالة وروم وإشمام. وغير ذلك من علامات الضبط والإعراب، التي أخذ صورها المصغرة من حروف المد واللين، وكذلك رمز السكون والشدة، ورمز الهمزة، وغيرها. انظر: المحكم في نقط المصاحف ٤٩.

(٢) الكتاب ٢/٤٠٦-٤٠٧.

٥- ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً، ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج: الكاف. ٦- ومن وسط اللسان، بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج: الجيم والشين والياء. ٧- ومن بين أول حافة اللسان، وما يليه من الأضراس مخرج: الضاد. ٨- ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج: اللام. ٩- ومن طرف اللسان، بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج، النون. ١٠- ومن مخرج النون، غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً، لانحرافه إلى اللام مخرج: الراء. ١١-ومما بين طرف اللسان، وأصول الثنايا مخرج: الطاء والدال والتاء. ١٢- ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج: الزاي والسين والصاد. ١٣- ومما بين طرف اللسان، وأطراف الثنايا مخرج: الظاء والذال والثاء. ١٤- ومن باطن الشفة السفلى، وأطراف الثنايا العليا مخرج: الفاء. ١٥- ومما بين الشفتين مخرج: الباء والميم والواو. ١٦- ومن الخياشيم مخرج: النون الخفيفة[١].

٣-ابن جني: (٣٧٥هـ)

وقد وضع ابن جني مؤلفا كاملاً لدراسة الأصوات العربية، وهو كتاب: سر صناعة الإعراب، إلى جانب آرائه المبثوثة في مؤلفاته الأخرى- وهو لا يختلف كثيراً عما ذكره سيبويه، في تقسيمه الأصوات العربية على مخارجها، بل نجده يتفق مع عباراته، إلى حد المطابقة، حيث يقول: "اعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر..."[٢] ثم يتابع ذكرها، على نحو ما ذكر سيبويه، وليس ثمة اختلاف بينهما إلا في لفظة أو عبارة، كما ذكر في مخرج الضاد، بزيادة عبارة: "إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر. أو من كليهما معاً"[٣].

---

[١] الكتاب ٤٠٥/٢.

[٢] سر صناعة الإعراب ٥٢/١-٥٣.

[٣] سر صناعة الإعراب ٥٣/١.

٤-عند الزمخشري، كما وردت في شرح المفصل لابن يعيش: (٦٤٣هـ)[١]:

ويتفق - أيضاً - كل من الزمخشري وابن يعيش في تقسيم أصوات العربية على ستة عشر مخرجاً، ولا يختلف عما ذكره سيبويه إلا في بعض العبارات الشارحة لبعض المصطلحات على نحو ما ذكر في شرح مصطلح: ذلقية: يقال: حرف أذلق وذلق كل شيء تحديد طرفه، وكذلك ذولقه"[٢].

٥-عند ابن الجزري (ت٨٨٣هـ):

وقد ذكر ابن الجزري- أيضا- مخارج الأصوات العربية، وحددها في ستة عشر مخرجاً، كما ذكر سيبويه، غير أنه يعلق أو يعقب ببعض المداخلات، سواء أكانت له أو لغيره من العلماء، وهو لا يختلف في كثير أو قليل عما ذكره سيبويه، ولكنه في تحديده لمخرج الحلق، لم يذكر الألف، وفي تحديده لمخرج الياء، وكذا الواو، قال: والياء غير المدّية، والواو غير المديّة، إدراكاً منه بالفرق بين وظيفة الواو والياء غير المديّة، والواو والياء المديةّ أي الحركات الطويلة الخالصة.

٦-عند ابن سينا:

وقد ألف ابن سينا رسالة صغيرة في الأصوات العربية، سماها: أسباب حدوث الحروف "قسمها على ستة فصول، جعل الفصل الثاني منها لتحديد مخارج الأصوات ومحابسها. ويعني بالمخارج: مجرى الهواء أو طريقه الذي يخرج منه، سواء عن طريق الفم أو عن طريق الأنف. أما المحابس: فهي على ما يبدو المخارج الصوتية عند العلماء العرب، وهي التي يحبس عند النطق بالصوت الهواء إما حبساً تاماً، وتسمى الأصوات في هذه الحالة: الأصوات المفردة، أو حبساً غير تام، ويسميها الأصوات المركبة[٣].

---

[١] شرح المفصل، لابن يعيش ١٢٣/١٠ وما بعدها.

[٢] شرح المفصل، لابن يعيش ١٢٤/١٠.

[٣] انظر: أسباب حدوث الحروف ١٠ وما بعدها.

مخارج الأصوات العربية في الدرس الصوتي الحديث

يكاد يجمع علماء اللغة العربية المحدثون، على أن مخارج الأصوات العربية الفصيحة عشرة مخارج[1]، يقوم بإنتاجها الجهاز النطقي، وفقاً لما توصلت إليه التجارب المعملية، على النحو الآتي:

١) المخرج الشفوي: وينتج مجموعة الأصوات الشفوية، وهي: الباء والميم والواو (باعتبارها من أشباه الحركات).

٢) المخرج الشفوي الأسناني: وينتج الصوت الشفوي الأسناني الوحيد وهو: الفاء.

٣) المخرج الأسناني: وينتج مجموعة الأصوات الأسنانية، وهي. الذال والظاء والثاء.

٤) المخرج الأسناني اللثوي: وينتج مجموعة الأصوات الأسنانية اللثوية، وهي: الدال والضاد والتاء والطاء والزاي والسين والصاد.

٥) المخرج اللثوي: وينتج مجموعة الأصوات اللثوية، وهي: اللام والراء والنون.

٦) المخرج الغاري (الحنكي الصلب) وينتج مجموعة الأصوات الغارية، وهي: الشين والجيم والياء (باعتبارها من أشباه الحركات).

٧) المخرج الطبقي: (الحنكي الرخو) وينتج مجموعة الأصوات الطبقية،وهي: الكاف والغين والخاء.

٨) المخرج اللهوي: وينتج الصوت اللهوي الوحيد، وهو: القاف.

٩) المخرج الحلقي[2]: وينتج الأصوات الحلقية، وهي: العين والحاء.

١٠) المخرج الحنجري: وينتج الأصوات الحنجرية، وهي: الهمزة والهاء.

---

[1] المدخل إلى علم اللغة ٣٠-٣١ وعلم الأصوات ١١٠-١١١.

[2] الأصوات الحلقية، أصوات تنتشر في العربية، على الرغم من أنها توجد في اللغات الإنسانية، ويتم نطقها بجعل جذر اللسان الخلفي ناحية خلف الزور، وغالباً مع مشاركة الزور.
R. Radford: linguistics, In Introduction, p. 39.

وفي حين يجعلها بعض العلماء أحد عشر مخرجاً، كما هو الحال عند كل من الدكتور/ بشر والدكتور/ أحمد مختار عمر، يجعلها بعضهم سبعة مخارج، كما ذكرها د/ إبراهيم أنيس[1].

وبالنظر إلى توزيع العلماء العرب للأصوات العربية على مخارجها، في ضوء توزيع الدرس الصوتي الحديث لها- نجد أن بعضهم قد غمض عليه معرفة أعمق الأصوات مخرجاً حيث نجد رائدهم: الخليل، ومن نهج نهجه مثل: القالي والأزهري وابن عباد وابن سيده، يجعلون: العين، هي أعمق الأصوات مخرجاً، إلا أننا نجد سيبويه، ومن تبعه من أمثال: ابن جني والزمخشري وابن يعيش وابن الجزري وغيرهم، يجعلون الهمزة، هي أعمق الأصوات مخرجاً.

- كما خلط العلماء العرب بين الأصوات الصامتة والحركات، وجعلوها من مخرج واحد، كما فعل سيبويه وابن جني وغيرهما، بأن ذكروا الألف من مخرج الهمزة والهاء: "وهذا ليس صحيحاً؛ فالألف، من الحركات، التي لا مخرج لها، بل يخرج الهواء في أثناء النطق بها حراً طليقاً دون عائق يعوق مساره!

- كما نجد الخليل يضم الهمزة إلى جانب الواو والألف والياء، ذاكراً أنها هاوية أو هوائية، لأنها في الهواء، ليس لها مدرج أو مخرج!! وهذا خلط وخطأ، خلط للأصوات الثلاثة: الواو والألف والياء مع الهمزة في مكان واحد، وتصنيفها مع الأصوات الصامتة! وخطأ في تشخيص صوت الهمزة بأنها هاوية أو هوائية، فهي كما ذكرها سيبويه أعمق الأصوات العربية مخرجاً، فهي حينئذ صوت صامت!

- ومن هذا الخلط - أيضاً - ما ذكره ابن الجزري عن النون، فهو يسميها تارة: ذلقية، لأنها من ذلقة اللسان، وتارة أخرى خيشومية، لأنها تنطق من تجويف الفم، وهو الخيشوم، ومرة ثالثة يقول أنها من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا، فهو بذلك، يعطي النون مخرجاً خاصاً حيناً، ويجمعها مع الراء واللام حيناً،

---

[1] انظر: علم اللغة العام ٨٩-٩٠ ودراسة الصوت اللغوي ٣٦٩-٢٧٥ ومدخل إلى علم اللغة ٤٠. والأصوات اللغوية ٤٤-١٠٣.

ويضمها إلى الميم في مخرج حيناً آخر[1].

– وهم يجعلون صوت الغين والخاء أعمق من صوت القاف، ثم يجعلون صوت الكاف خلف القاف.

– جعل الخليل أصوات الظاء والذال والثاء لثوية، وهي ليست كذلك، فهي أصوات أسنانية[2]!

– جعل العلماء العرب مخرج الضاد من أول حافة اللسان، وما يليه من الأضراس، أو شجريه عند بعضهم الآخر، وقد حددها الدرس الصوتي الحديث، بأنها من الأصوات الأسنانية اللثوية.

وبعد ..... فإن هذه الملاحظات حول اختلاف بعض المخارج عند العلماء العرب وعدم دقتها، لا تقدح في صنيع هؤلاء العلماء الأجلاء، فهم قد اعتمدوا على مجرد الملاحظات الذاتية، والتذوق الشخصي، دون الاستعانة بالأجهزة والمختبرات والتحليل المعملي، ونحو ذلك من الوسائل التقنية الحديثة التي تعين الباحثين على التوصل إلى النتائج الدقيقة.

---

(1) انظر: النشر في القراءات العشر ١٩٩-٢٠٢.

(2) العين ١/٦٥.

تصنيف الأصوات العربية إلى صوامت وحركات

أولاً: عند العلماء العرب:

يطلق العلماء العرب مصطلح: الحروف، على ما يسمى في الدرس الصوتي الحديث بالصوامت Consonants، وقد تركزت جل دراساتهم وبحوثهم الصوتية، على هذا القسم من الأصوات، وعلى الرغم من هذا الاهتمام الملحوظ بالحروف (الصوامت) فإنهم لم يعرفوها التعريف العلمي الدقيق، واكتفوا بذكر وظيفة صوتية وصرفية من وظائفها، وهي كونها المادة الصوتية، التي تتألف منها أصول الكلمات، مهما اختلفت صورها وصيغها الصرفية(1).

والحق، فإن هذه الخاصية التي ذكرها العلماء العرب، ليست مقصورة على الحروف (الصوامت) فحسب، وإنما تشترك معها الحركات، في وظيفة التأليف الصرفي أيضاً.. فهذه الحركات، وإن لم تكن مادة تأليف الأصوات الصرفية، فإنها تمثل عنصراً أساسياً في تأليف الصيغ المتفرعة عن هذه الأصوات. بل يمكننا القول بأن الحركات، أهم من الحروف في بناء الكلمات، ولكن العلماء العرب اهتموا بالحروف، وصنعوا لها رموزاً مستقلة، في حين ظلت الحركات بدون رموز، إلى أن وضع أبو الأسود الدؤلي نقط الإعراب، ثم وضع الخليل رموز الحركات الطويلة والقصيرة فيما بعد.

ولكننا نجد من العلماء العرب، من يشير إلى شيء من خواص الحركات وصفاتها، حيث ينصُّ الخليل على أن الألف والواو والياء هوائية، أي أنها في الهواء... لأنها لا تتعلق بها شيء"(2) وهذا القول من الخليل، لهذه الأصوات الثلاثة: الواو والألف والياء، دون الهمزة، يدل على إدراك دقيق بأهم ما يخص الحركات من حرية مرور الهواء، في أثناء النطق بها دون عائق، ومن ثم فإن الخليل، وهو يصنف الأصوات على هذا النحو، يدرك أن الألف والواو والياء، صنف من الأصوات،

---

(1) انظر: علم اللغة العام ٧٦.

(2) انظر: العين ١/٦٥.

يختلف عن بقية الحروف (الصامتة) التي حدد لها مخارج ونسبها إلى إحياز[1].

أما ابن جني، فهو يذكر في فصل بعنوان: "ذوق أصوات الحروف" خاصية حرية مرور الهواء بالنسبة للحركات بقوله: "فإن اتسع مخرج الحرف، حتى لا يقتطع الصوت عن امتداده واستطالته، واستمر الصوت ممتداً حتى ينفد (أي الهواء) فيفضي حسيراً إلى مخرج الهمزة، فيقطع بالضرورة عندها، إذ لم يجد منقطعاً فيما قبلها، والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: الألف ثم الياء ثم الواو[2].

كما يفرّق ابن جني، في نصٍ آخر بين الحروف (الصوامت) والحركات بقوله: "وقد شبه بعضهم الحلق والفم بالناي، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملس ساذجاً، كما يجري الصوت في الألف غفلاً بغير صنعة... إلا أن الصوت الذي يؤديه الوتر غفلاً غير محصور، تجده بالإضافة إلى ما أداه، وهو مضغوط محصور أملس مهتزاً.. وجريان الصوت فيه غفلاً غير محصور، كجريان الصوت في الألف الساكنة"[3].

وهذا إدراك واضح عند ابن جني بخاصية حرية مرور الهواء، في أثناء النطق بالحركات، وأنها تختلف عن الحروف؛ التي تتطلب تدخلاً من أعضاء النطق، في أثناء حدوثها.

تقسيم الأصوات إلى صوامت وحركات عند المحدثين

اختلفت آراء العلماء المحدثين حول تسمية المصطلحات، ففي حين نجد فريقاً يؤثر مصطلح: السواكن في مقابل العلل، نجد فريقاً آخر يؤثر مصطلح: الصوامت في مقابل الصوائت. وقد حرص العلماء على التفريق بين كل زوجين من المصطلحات السابقة.

---

[1] انظر: علم اللغة العام ٧٨.

[2] سر صناعة الإعراب ١/٧-٨.

[3] سر صناعة الإعراب ١/٧-٨.

فقد أثر كينث بايك K, Pike أن يضـــع حـــدوداً فاصلة بين مصطلحي: السواكن والعلل، Vocoid–Contoid ومصطلحي: الصوامت والصوائت Consonants–Vowels حيث يستخدم الطاقم الأول حين يكون التمييز قائماً على أساس الخصائص النطقية والفيزيقية (أي على المستوى الصوتي)[١].

ومن وجهة نظر هذا الطاقم، فإن السواكن Contoid، تتميــز بنطــق مقــارب Close articulution، عن طريق عضو أو أعضاء، لطريقة تعوق تيار الهواء، أو من ناحية أخرى، تسبب احتكاكاً مسموعاً[٢].

أما العلة Vocoid، فإنها تتميز بنطق مفتوح وغياب أي عائق، كما تتميز بأنها مصوتة رنانه، أكثر من السواكن[٣].

وعلى الرغم من هذا التفريق بين السواكن والعلل، فإن بعض العلماء يختلفــون في تحديد المقصود بالساكن والعلة، وأن الحدود ليست فاصلة فيما بينهما!

حيث نجد أن العلماء يتفقون على أن الإغلاق التام لمرور الهواء، ثم التســريح والانفراج، ليمر الهواء منفجراً، عند الوترين الصوتيين، في نطق الهمــزة، يحــدد كونها صوتاً ساكناً، في حين يجعلونها علة مجهورة، إذا وقعت بين علتين في مثل: Behind[٤].

وهم كذلك يختلفون حول الصوت الجانبي مثل: اللام، هل يصــحبه غلــق فــي منطقة اللثة، وتسريب الهواء من الجانبين. لكنه في أحوال أخــرى، قــد لا يســمع احتكاك ملموس، وبهذا، فإن غلق المجرى مع اللام يضعها مع السواكن، ولكــن إذا

---

(١) انظر دراسة السمع والكلام ١٨٧.

(٢) انظر: دراسة الصوت اللغوي ١١٣، وكذا:

A, Martient: Elements of General Linguistics, p. 56, 1964

(٣) دراسة الصوت اللغوي ١١٣، وكذا:

F, Bronsnahan, B, Malmberg: Introduction to phonetics, P. 83, 1970.

(٤) انظر: دراسة الصوت اللغوي ١١٣، وكذا:

Abercrombie: Elements of General Phonetics, p. 56.

نظرنا إلى المجرى الحرّ من الجانبين، وغياب الاحتكاك الملموس، فربما أمكن عدها من العلل[١].

ويعرف بلومفيلد العلل على أنها تعديلات الصوت المنطوق، لا تتضمن غلقاً ولا احتكاكاً، ولا اتصالاً من اللسان أو الشفتين.

ويعرفها دانيال جونز، بأنها مجهورة، ويشترط للجهر أن تكون في الكلام العادي، ولكنها تكون مهموسة في حالة الوشوشة، وأيضاً تهمس العلل في بعض اللغات، حتى في الكلام العادي[٢].

وقد اعتبر روبنس Robins هذه حالة شاذة، في حين اعتبرها كرومبي Abercrombie حالة عادية شائعة، ولذلك لم يشر في وصفه للعلل إلى وضع الأوتار الصوتية، ومثل للعل المهموسة بالعلة الأولى في الكلمة الإنجليزية Potata، بل إن الصوت: H، هو في الحقيقة علة ساكنة، إلا أنه من وجهة النظر الصوتية، صوت مهموس.

وبعد فإن وجود الاحتكاك، أو غياب الاحتكاك، لا يصلح معياراً للتمييز بين العلل والسواكن، في جميع الحالات، فإذا لم يكن هناك شك في أن الأصوات (S, F) من السواكن، فإن أصواتاً أخرى معينة (العلل الضيقة) تصنف كعلل، مع إمكانية احتوائها على احتكاك مسموع، في حين أن أصواتاً، لا يسمع لها احتكاك المصوتات المجهورة (Noiced Sound) تصنف كسواكن[٣].

ولهذا فإن بعض العلماء مثل: ستيتسون Stetson، يصرح بأن تقرير ما إذا كان الصوت ساكناً أو علة، يتوقف على وظيفته في المقطع، ومعنى هذا أن كل صوت مقطعي، يجب أن يصنف كعلة، وكل صوت غير مقطعي، يجب أن يصنف كساكن[٤].

---

(١) دراسة الصوت اللغوي ١١٤.

(٢) دراسة الصوت اللغوي ١١٤-١١٥، وكذا: H, Robins General linguis, p. 4, 1960.

(٣) دراسة الصوت اللغوي ١١٥.

(٤) دراسة الصوت اللغوي ١١٥، وكذا: K, L, pike: Phonetics, p. 67.

ومن أجل هذه الاعتراضات على التقسيم: سواكن- عللن فقد قدم بضهم تقسيماً بديلاً إلى: صامت Contoid، وصائت Vocoid

وتعد الصوامت حين تؤدي وظيفة غير مقطعية، تعدُّ سواكن Consonant، مثل الصوت الأول في: Like، وتعدُّ صوامت مقطعية، حين تؤدي وظيفياً: قمة المقطـع، مثل الـ L:، في: Pottle، أما الصوائت، فتعتبر عللاً في نفس الوقت، حين تستعمل في وظيفته: قمة المقطع في مثل: a، في كلمة: Camp، وتعد صوامت مقطعية حين تقوم بوظيفة غير مقطعية مثل: Y، في كلمة: Young، W في كلمة: Wee، R في كلمة: Rick(١).

وقد دافع أصحاب هذا التقسيم عنه بقولهم: إنه يشتمل بشعبيته الاثنتين كل الأصوات، أما التقسيم: Consonant- Vowcls، فليس كذلك؛ لأنه لا يشتمل الصوامت المقطعية، ولا الصوائت غير المقطعية. (٢) ويرى كرومبي Abercrombie، أنه لا بأس من استعمال مصطلح Vowel، مرادفاً للمصطلح: Voeoid، والمصطلح Consonant، مرادفاً للمصطلح: Consiod(٣).

أما بالنسبة للغة العربية، فإن التصنيفين السالفين: السواكن Consiod، والعلل، Vociod والصوامت Consonant والصوائت Vowel، لا يمثلان اختلافاً حيث إنهما يتطابقان.

- ولعلنا نلاحظ أن العلماء العرب، قد اصطلحوا على تسمية الصوامت بالحروف، ووصفوها بأنها ساكنة، كما اصطلحوا على تسمية الصوائت بحروف المد واللين تارة، وبالحركات تارة أخرى. ومن ثم فإن التقسيم الذي قدمه العلماء الأوربيون، سواء على الأساس الفيزيقي النطقي أو الأساس الوظيفي إلى تصنيفين، ليس له ما يبرره في اللغة العربية.

---

(١) دراسة الصوت اللغوي ١١٦، وكذا: K, L, pike: Phonetics, p. 15

(٢) دراسة الصوت اللغوي ١١٦، وكذا: K, L, pike: Phonetics, p. 145.

(٣) دراسة الصوت اللغوي ١١٦، وكذا: Abercrombiei Elements of General Phoneties, p. 80, 1967.

تصنيف أنظمة الصوامت عند العلماء العرب

قسم العلماء العرب الأصوات العربية إلى تقسيمات ثنائية، فقسموها بحسب مرور الهواء إلى أصوات شديدة ورخوة، حيث يقول سيبويه: "ومن الحروف الشديدة، وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، وهو: الهمزة والقاف والكاف والجيم والكاف والتاء والدال والباء. وذلك أنك لو قلت، الحج، ثم مددت صوتك، لم يجر ذلك. ومنها: الرخوة، وهي: الهاء والحاء والغين والخاء والشين والصاد والضاد والزاي والسين والظاء والثاء والذال والفاء، وذلك إذا قلت: الطس وانقض وأشباه ذلك، أجريت فيه الصوت إن شئت"[1].

– وثمة تصنيف ثالث، سموه الأصوات المتوسطة، ويجعله ابن جني بين الشديدة والرخوة حيث يقول: "والحروف التي بين الشدة والرخاوة ثمانية وهي: الألف والعين والياء واللام والنون والراء والميم والواو، ويجمعها في اللفظ: لم يروعنا، وإن شئت قلت: لم يروُعنا، وإن شئت قلت: لم يرعونا"[2].

وقد عرف ابن عصفور الصوت المتوسط بقوله: "هو الذي لا يجري الصوت في موضعه عند الوقف، ولكنه تعرض له أعراض، توجب خروج الصوت باتصاله بغير مواضعها[3].

كما قسموا الأصوات في مجموعة ثنائية أخرى (بحسب وضع الأوتار الصوتية) في الدرس الصوتي الحديث، إلى قسمين هما: الأصوات المهجورة والمهموسة. وهذا التقسيم لا يستند إلى دليل واضح على إدراك العلماء العرب لدور الأوتار الصوتية، في إحداث عمليتي: الجهر والهمس!

أما الأصوات المجهورة عندهم فهي: الهمزة والألف والعين والغين والقاف

---

(1) الكتاب ٤٠٦/٢.

(2) سر صناعة الإعراب ٦٩/١-٧٠، ويذكر سيبويه العين في هذه الحروف ويجعلها ابن الجزري خمسة حروف وهي: اللام والنون والعين والميم والراء انظر الكتاب ٤٠٦/٢ والنشر ٢٦٢/١.

(3) الممتع في التصريف ٦٧٣/٣ والمبدع في التصريف لأبي حيان الأندلسي ٢٥٩.

والجيم والضاد واللام والراء والزاي والياء والدال والظاء والباء والميم والواو والنون والطاء[1].

والأصوات المهموسة هي: "الهاء والحاء والخاء والكاف والشين والصاد والتاء والسين والثاء والفاء، ويجمعها في اللفظ: ستحثك خصفة"[2].

وقسموها إلى مجموعة ثنائية أخرى وهي: الأصوات المطبقة والمنفتحة (بحسب وضع مؤخرة اللسان بالنسبة للطبق) يقول سيبويه: "ومنها المطبقة والمنفتحة، فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء، والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف[3].

- وثمة مجموعة ثنائية أخرى ذكرها ابن جني وهي الحروف المستعلية والمنخفضة، فالمستعلية سبعة وهي: الخاء والغين والقاف والضاد والطاء والصاد والظاء، وما عدا هذه الحروف فمنخفضة"[4].

صفات صوتية أخرى ورد ذكرها عند العلماء العرب:

١-الصفيرية:

عرفها ابن الطحان بقوله: "والصفير حدة الصوت، كالصوت الخارج عن ضغط ثقب"[5].

والأصوات الصفيرية التي ذكرها العلماء العرب هي: الزاي والسين والصاد. ويطلق عليها الخليل: الحروف الأسلية، نسبة إلى مخرجها، وهو أسلة اللسان، وسميت الحروف الصفيرية بهذا الاسم، لأنها يصفر بها في أثناء النطق، وتتميز

---

(١) الكتاب ٢/٤٠٥ وسر صناعة الإعراب ٦٠/٦.

(٢) الكتاب ٢/٤٠٥ وسر صناعة الإعراب ٦٠/١.

(٣) الكتاب ٢/٤٠٦.

(٤) سر صناعة الإعراب ٦٢/١.

(٥) مخارج الحروف وصفاتها ٩٤.

بالحدة، وشدة الوضوح السمعي، واحتكاكياتها، وإن لم تبلغ مبلغ الصوائت[1].

٢-التفشي:

عرفه ابن الطحان بقوله: "انتشار خروج الريح وانبساطه، حتى يتخيل أن الشين انفرشت، حتى لحقت بمنشأ الظاء، وهي أخص بهذه الصفة من الهاء"[2].

وصفة التفشي هذه، لا تكون إلا في صوت الشين العربية، ويذكر مالمبرج أن التفشي: "أن تشغل اللسان في أثناء النطق بالصوت مساحة أكبر، ما بين الغار واللثة، وهو وصف صادق على الشين، ولولا التفشي، لصارت الشين سيناً، كما يحدث لدى بعض ذوي العيوب النطقية"[3].

٣-الاستطالة:

يذكرها ابن الطحان بقوله: "تمد حين نبات الضاد للجهر والاستعلاء، تمكنها من أول حافة اللسان، إلى منتهى طرفه، فاستطالت بذلك، فلحقت مخرج اللام[4].

ويشرحها مالمبرج بقوله: ويقصد بها، أن يستطيل مخرج الحرف، حتى يتصل بمخرج آخر، وذلك وصف ينطبق على الضاد القديمة الرخوة، التي تخرج مما بين جانب اللسان، وما يليه من الأضراس، سواء من يمين اللسان أو شماله، أو من الجانبين، والأكثر من الأيمن، ولذلك وصفت بالاستطالة قديماً، ونطقها بعض الأفارقة لاماً"[5].

٤-القلقة:

ويعرفها ابن الطحان بقوله: "والقلقلة صوت حادث عند خروجها بالضغطة عن

---

(١) انظر: أسس علم اللغة ٨٥.

(٢) مخارج الحروف وصفاتها ٩٤.

(٣) انظر: علم الأصوات ١٢٠.

(٤) مخارج الحروف وصفاتها ٩٤-٩٥.

(٥) علم الأصوات ١٢٠.

موضعها، ولا يكون إلا في الوقف، ولا يستطاع أن يوقف دونها، مع طلب إظهار ذاته، وهي مع الروم أشد"(١).

وهذا يعني أن هذه الأصوات، تحتاج لبروزها وإظهارها إضافة صويت عبارة عن: حريكة إلى الصوت المقلقل عند الوقف عليه، ويكون معنى القلقلة حينئذ، تحريك الصوت بهذه الحريكة، ويقول المبرد: "ومنها القاف والكاف، إلا أنها دون القاف، لأن حصر القاف أشد، وإنما تظهر هذه النبرة في الوقف، فإن وصلت لم يكن، لأنك أخرجت اللسان عنها إلى صوت آخر، فحلت بينه وبين الاستقرار، وهذه القلقلة بعضها أشد حصراً من بعض"(٢).

وقد جمع العلماء العرب حروف القلقلة في قولهم: قطب جد، في حين أضاف إليها ابن الجزري الهمزة، ذاكراً أن العلماء العرب، لم يضيفوها إليها لما يصيبها من التخفيف في حالة السكون"(٣).

والقلقلة حينئذ تكون أمراً فنولوجياً، يحدث بسبب الوقف على الحرف في حين تمتنع في حالة الوصل، وبذلك فإنها صفة سياقية للصوت.

٥-الذلقية:

وفي صفة تعني الخفة والسلاسة على اللسان، والأصوات التي توصف بهذه الصفة تخرج من ذلق اللسان أو ذولقه. وذكر الخليل أن "أصوات الذلاقة تتكون من ستة أصوات وهي: الراء واللام والنون والفاء والباء والميم، فإذا وردت في كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلق، فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة، ليست من كلام العرب". (٤)

وقد ذكرها ابن جني بقوله: "حروف الذلاقة: وهي ستة: اللام والراء والنون

(١) مخارج الحروف وصفاتها ٩٦.

(٢) المقتضب ١٦٩/١.

(٣) انظر: النشر في القراءات العشر ٢٠٣/١.

(٤) انظر العين ٥٨/١.

والفاء والباء والميم، لأنه يعتمد عليها بذلق اللسان، وهو صدره وطرفـه"[1]. كمـا ذكرها الرضى وجمعها في قولهم: مر بنفل"[2].

وتكون صفة الذلاقة حينئذ صفة فنولوجية، ترتبط بالسياق، تميز الكلمات العربية الأصل عن الدخيلة، وأنها ترد مع الصيغ الرباعية والخماسية بسبب سعة انتشـارها وسهولة جريانها على اللسان في أثناء النطق بها[3].

٦-الحروف المصمتة:

ويذكرها ابن جني بقوله: ومنها الحروف المصمتة، وهي باقي الحـروف... أي صمت عنها أن تبني منها كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلاقة"[4].

ويكون الإصمات حينئذ صفة صوتية فنولوجية، تتعلق باستخدامها في السياق، حيث تمتنع الكلمات الرباعية والخماسية العربية، إذا بُنيت منها! وهي تمثـل بقيـة حروف العربية دون حروف الذلاقة.

٧-الحروف المهتوتة:

أطلقها الخليل على حرف الهمزة، المهتوت هو صوت الهمـزة، سـميت بـذلك لخروجها من الصدر، كالهتوع، فتحتاج إلى ظهور صـوت قـوي شـديد، والهـت: الصوت بشدة.[5]

أما سيبويه، فذكرها صفة لحرف الهاء، وذلك لما لها من الضعف والخفـاء[6].

---

[1] سر صناعة الإعراب ٦٤/١.

[2] شرح الشافية ٢٥٨/٣.

[3] ويرى د/ إبراهيم أنيس أن كلمة الذلاقة لا تعني أكثر من معناها لشائع المألوف وهو القدرة علـى انطلاق مدى الكلام بالعربية دون تعثر أو تلعثم. الأصوات اللغوية ١٠٩ وما بعدها.

[4] سر صناعة الإعراب ٦٤/١-٦٥.

[5] النكت الحسان ١٨٣.

[6] انظر: الكتاب ٥٤٤/٣ وسر صناعة الإعراب ٦٤/١.

في حين جعلها ابن الحاجب، لحرف الياء.

فالحرف المهتوت إذن، إنما يكون كذلك إما لشدته، في الهمزة كما يرى الخليل، وإما لضعفه وخفائه، كما يرى سيبويه في حرف الهاء: ويكون الأمر إذن متعلقاً بقوة إسماع الصوت تارة وبخفائه وضعفه تارة أخرى!

وبعد.. فإن حروف القلقلة التي وردت في عبارة: قطب جد، تشترك جميعاً وفقاً للوصف الصوتي عند العلماء العرب في صفتي: الشدة والجهر فالشدة تعني حبس الهواء حبساً تاماً، والجهر- عندهم- يعني أن النفس ممنوع أن يجري معها، ونتيجة لهذا الجهد، فإنه يتبعها صوت أو صويت أو نبرة، لتتمكن هذه الأصوات من الوقف إلى الحركة، وقد لاحظ العلماء العرب أن هذا الصوت الإضافي، يختلف درجة باختلاف المتكلمين، وقد حكى أن بعض العرب، كانوا يخرجونه أشد عنفاً من غيرهم[١].

وليس الأمر مقصوراً في قلقلة الأصوات الانفجارية المجهورة على اللغة العربية، بل نجد مثيلاً له في اللغات الأجنبية، كما هو الحال في الإنجليزية، حينما يقع الصوت الانفجاري المجهور في نهاية الكلمة، حيث يسمع النفس عندما تزال العقبة، وبخاصة عندما يسبق الانفجاري بصامت آخر، كما في كلمة bulb (h) [٢].

---

(١) علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي ١٦١ وكذا: علم اللغة العام ١١٦-١١٧.

(٢) علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي ١٦١.

تصنيف الأصوات الصامتة في الدرس الصوتي الحديث

تقسم اللغات الإنسانية- في ضوء الدرس الصوتي الحديث- الأصوات الصامتة إلى ثنائيات، حيث تقسم بحسب مرور الهواء إلى مجموعة الوقفيات في مقابل الاحتكاكيات، والأنفيات في مقابل الفمويات، إلى جانب مجموعة الترديديات والجانبيات واللمسيات. كما تقسم الأصوات بحسب وضع الأوتار الصوتية إلى: الأصوات المهجوة والأصوات المهموسة. وتقسم -كذلك- بحسب وضع مؤخرة اللسان بالنسبة للطبق إلى مجموعة الأصوات المفخمة في مقابل الأصوات المرققة.

أولاً: الوقفيات Stops، وتمثلها الأصوات الانفجارية: Plosives[1]

وتحدث الأصوات الانفجارية، عندما يعوق تيار الهواء الخارج من الرئتين عائق يمنعه من المرور عند أي مخرج من المخارج، فينحبس الهواء خلف السد أو العائق، ثم ما يلبث السد أن يزول فجأة وبسرعة، فيندفع الهواء إلى الخارج محدثاً انفجاراً شديداً ويسمى الصوت في هذه الحالة، بالصوت الانفجاري.

ويحدد فندريس ثلاث مراحل لإنتاج الصوت الانفجاري بقوله: "ففي كل صامت انفجاري إذن ثلاث خطوات متميزة: الإغلاق أو الحبس، والإمساك، الذي قد يكون طويل المدة أو قصيره، والفتح أو الانفجار، وعند إصدار صامت بسيط مثل: التاء، فإن الانفجار يتبع الحبس مباشرة، والإمساك يضؤل إلى مدى لا يكاد يحس، وعلى العكس من ذلك، تظهر الخطوات الثلاث بوضوح، فيما يسمى بالصوامت المضعفة، وهي ليست إلا صوامت طويلة(٢).

ثانياً: الاحتكاكيات: Fricatives[3]

تكثر الأصوات الاحتكاكية في اللغات الإنسانية عن نظائرها الانفجارية، وفي

---

(1) See: Introduction to modern linguistics, p. 80.

(٢) اللغة لفندريس ٤٨، وكذا: J, D, O, Connor: Phonetis, pp. 224-226, 1973.

ومبادئ علم الأصوات العام – مترجم ٧٢-٧٦ وعلم الأصوات، لمالمبرج- مترجم ٨٨، وما بعدها.

(3) See: Introduction to modern linguistics, p. 81.

إطار المقابلات بين اللغات، فإن الإنجليزية والألمانية والبولندية تمتلك خمسة أماكن للأصوات الاحتكاكية، وتمتلك العربية ستة أماكن احتكاكية وهي: الخاء والحاء والهاء والشين والسين والفاء، كما تمتلك الأسبانية والروسية أربعة احتكاكيات.

وتعتمد اللغات على وسائل مختلفة، لزيادة الاحتكاكيات، مثل الجهر والهمس ففي العربية توجد الحاء في مقابل العين، والخاء في مقابل الغين، والسين في مقابل الزاي، في حين لا تمتلك الأصوات، الهاء والشين والفاء مقابلاً مجهوراً[1].

والأصوات الاحتكاكية، هي التي يضيق مجرى الهواء- عند النطق بها- عند مخرج من المخارج ضيقاً يسمح بمرور الهواء، مع الاحتكاك في موضع التضييق.

ثالثاً: الانفجاريات الاحتكاكيات: (المركبة) Affricate

ويطلق عليها فندريس مصطلح الأصوات المتوسطة، وهو يقصد التوسط بين الانفجاري والاحتكاكي، حيث يقول: "وتوجد سلسلة من الأصوات المتوسطة بين الانفجارية والاحتكاكية وتتميز بالإغلاق الذي لا يستمر إحكامه، وفيها كما في الانفجارية حبس، ولكن هذا الحبس تتبعه حركة خفيفة من الفتح بحال يجعل الانفجاري، ينتهي بالاحتكاكي، فالانفجاري الاحتكاكي، هو انفجاري فاشل"[2].

ويطلق عليها ماريو باي، الأصوات المركبة، فيقول: "أما الأصوات المركبة، فهي أصوات لا تنتج عن طريق تغيير المخرج، وإنما تعديل طريق النطق، فإذا حدث أن كان الانغلاق المتلو بانطلاق، الموجود في نطق: t، إذا حدث أن كان هذا الانغلاق، متبوعاً على الصوت الاستمراري الاحتكاكي: فإن النتيجة ستكون: Ch، الموجودة في Church ويحدث الشيء نفسه مع الـ: d، إذا اتبعت بالصوت الاحتكاكي المجهور: S، في: Meausre، حيث يكون الناتج صوت الـ: J، الموجود في: Jet، ومن الممكن بالطريقة نفسها إنتاج أصوات مركبة مثل: ts، ds، يمثلها بعض الأبجديات، وبخاصة الألمانية والإيطالية، برمز واحد وهو: Z، وذلك عن

[1] انظر: دراسة الصوت اللغوي ١١٩-١٢٠.

[2] اللغة، فندريس ٥٠.

طريق الجمع بين أسناني انفجاري وصفير: Siblant، ضيق احتكـاكي، Spirant، من غير تعديل في مخرج الصوت"[1].

رابعاً: الأنفيات: Nasals

وهي الأصوات التي يحدث في أثناء النطق بها أن يغير الهـواء مجـراه، مـن المجرى الفموي إلى المجرى الأنفي، ومن ثم فإن هذه الأصوات لا توصف بكونهـا انفجارية أو احتكاكية، وهي في العربية صوتان هما: الميم والنون.

"وأكبر عدد من الأصوات الأنفية في أية لغة من اللغات، هو أربعة أصوات، كما هو الحال في لغة الأسكيمو، وتبلغ ثلاثة أصوات، كما هو الحـال فـي الإنجليزيـة والألمانية والفرنسية والإيطالية والأسبانية، وتبلغ صوتين كما هو الحال في اليونانية والفارسية والتركية وغيرها"[2].

ويذكر مالمبرج أن الأنفية تحدث إذا نسقت حركة إغلاق المجرى الفموي. مـع وضع منخفض للحنك الرخو، وإطلاق الهواء في مجرى الأنف، فـإن ذلـك يجعلنـا نحصل على نموذج آخر من الصوامت، يطلق عليه، الصوامت الأنفيـة، فالصـامت الأنفي على هذا صامت انغلاقي من ناحية المجرى الفموي، ولكنه وحدة انطلاقية، إذا ما اعتبرنا تجويف الأنف[3].

والصوامت الأنفية مجهورة عادة، ولكنها قد تفقد جهرها حين تتصل بصـوامت مهموسة.

وهذه الصوامت الأنفية المهموسة، ليست وحدات صوتية (فونيمات) مستقلة في اللغات الكبرى ذات الثقافة، وهو ما لا يمنع إمكان وقوع ذلك في لغـات أخـرى".[4]

---

(1) أسس علم اللغة ٨٤، وكذا: See: Introduction to modern linguistics, p. 81

(2) دراسة الصوت اللغوي ١٢٠، وكذا: J, D, O, Connor: Phonetics, p. 227.

(3) انظر: علم الأصوات، مالمبرج ٩٣ حيث ذكر أمثلة للصوامت الأنفية في الفرنسية والإنجليزية وكذا: See: Introduction to modern linguistics, p. 81.

(4) انظر: مبادئ علم الأصوات العام ٧٦.

والأصوات الأنفية في العربية تحدث بإغلاق مجرى الهواء في وضعين وهما: الشفتان في نطق صوت الميم، واللثة في نطق صوت النون، وفي أثناء مرور الهواء، ينخفض الطبق نحو الجدار الخلفي للحلق، وينسد التجويف الفموي، وينفتح التجويف الأنفي، فينطلق الهواء من خلاله، ولكنه قد يتسرب بعض الهواء من مجرى الفم.

خامساً: الجنانبيات: Lateral

وهي نوع من الأصوات الصامتة، تؤديه حبسة كاملة الانغلاق من وسط القناة النطقية، بحيث يوجد ممر جانبي لتيار الهواء، حول جانب أو جانب العائق.

وإذا ما مر تيار الهواء حول جانب واحد فقط من الحبسة المركزية، يمكن لو أحببنا أن نستخدم مصطلحاً أدق، وهو: أحادي الجانب Mnilateral، كما يمكن أن نستخدم المصطلح ثنائي الجانب bilateral، إذا ما مر الهواء حول الجانبين كليهما"[1].

"وتشترك الصوامت الموصوفة بالجانبية، مع الصوامت الانغلاقية، والصوامت الأنفية، في أن العضو الناطق، وهو عادة اللسان، يكون على اتصال بالمخرج (الأسناني الحنكي) لكن هذا الاتصال، لا موضع له إلا في وسط المجرى الفموي، في حين يخرج الهواء من جانبي المخرج"[2].

"وتمتلك معظم اللغات صوتاً جانبياً واحداً، كما في الإنجليزية والفرنسية والألمانية (والعربية) وتعد اليابانية من اللغات القليلة، التي لا تمتلك جانبيات مطلقاً، وبعض اللغات تمتلك جانبيين، مثل: الأسبانية والإيطالية، وفي الروسية توجد اللام الصلبة واللام الرقيقة، وفي بعض اللغات توجد اللام المجهورة ومقابلها المهموسة"[3].

---

(1) مبادئ علم الأصوات العام ٧٨.

(2) علم الأصوات ٩٤.

(3) دراسة الصوت اللغوي ١٢٠ وكذا: علم الأصوات ٩٤-٩٥، وكذا:
J.D.O. Connor, Phonetics, p. 227.

سادساً : الترديات: Atrill

وهي تطلق على الصوامت التي تنطق بحيث يؤدي العضو الناطق، سواء أكان طرف اللسان أو اللهاة مجموعة من الإغلاقات، شديدة القصر، يتصل بينها عناصر حركية صغيرة، والراء الأمامية أو الطرفية تنطق بحيث يكون طرف اللسان متقدماً على تيار الهواء، وللسان مرونة يستطيع بفضلها أن يعود إلى وضعه الأول، وتتكرر الحركة ذاتها أربع أو خمس مرات متوالية، لإنتاج راء قوية، هي التي يطلق عليها الراء المكررة.

وهي تمثل الشكل الأول للوحدة الصوتية (الفونيم) في أوروبا وغيرها) فهي راء اللاتينية والإغريقية، كما كانت راء الهند وأوربية[1].

"أما الراء الخلفية الترددية، التي يطلق عليها في الفرنسية الراء اللثغاء، فإن استبدال الراء الخلفية بالراء الأمامية، قد حدث فيما يبدو في وقت واحد في كثير من لغات أوروبا الغربية، في فرنسا وفي ألمانيا وفي هولندا، حيث اختفت الراء الطرفية، وكذا في السويد وفي النرويج وفي بعض مناطق أسبانيا وأمريكا، كما توجد الراء الخلفية أيضاً في منطقة من بريطانيا (نورث ميرلاند). وهذا التطور في نطق الراء وليد التاريخ الحديث، ويبدو أنه ظاهرة حضرية، تمتد جذورها في الطبقات العليا في المدن[2].

وبعد.. فبالنظر فيما ذكره العلماء العرب، حول تصنيف الأصوات الصامتة، في ضوء الدرس الصوتي الحديث، نجد أن العلماء العرب، قد قسموا الأصوات العربية إلى ثنائيات، هذا التصنيف الذي يرد في بحوث العلماء المحدثين ودراساتهم، في اللغات الإنسانية، على شتى اختلافاتها.

فقد ذكر العلماء العرب ثنائية الأصوات الشديدة والرخوة، التي يصنفها علماء

---

(١) علم الأصوات ٩٦.

(٢) انظر: علم الأصوات ٩٨، وكذا: مبادئ في علم الأصوات العام ٧٧، وكذا دراسة الصوت اللغوي ١٢٠-١٢١ وكذا: J.D.O, Connor: Phonetics, p.p. 227-228.

الأصوات المحدثون، إلى الوقفيات، والاحتكاكيات.

حيث نجدهم قد حددوا الأصوات الشديدة تحديداً دقيقاً، فهذا ابن خبى يقول: "إلا أن بعض الحروف أشد حصراً للصوت من بعضها، ألا تراك تقول في الدال والطاء واللام: أدْ، أطْ، ألْ، ولا تجد للصوت منفذاً هناك"[1].

كما حددوا الأصوات الرخوة تحديداً دقيقاً، يتفق مع تحديدات الدرس الصوتي الحديث، يقول ابن جني: "ثم تقول: أ ص، أ ز، أ ف، نجد الصوت يتبع الحرف، وإنما يعرض هذا الصوت التابع لهذه الحروف ونحوها، مع ما وقفت عليها، لأنك لا تنوي الأخذ في حرف غيرها، فيتمكن الصوت فيظهر، فأما إذا وصلت هذه الحروف ونحوها، فإنك لا تحس معها شيئاً من الصوت، كما تجده معها إذا وقفت عليها."[2] والحق، فإن تعريفات العلماء العرب للأصوات الشديدة والرخوة، تتفق مع ما ذكره علماء الأصوات المحدثون بأن الأصوات الشديدة أصوات وقتية آنية Momentanlaute، لا يمكن التغني بها وترديدها لأنها تنتهي بمجرد زوال العائق وخروج الهواء، أما الأصوات الرخوة، فإنها أصوات استمرارية متمادة Dauerlate، يمكن التغني بها، واستمرار نطقها بلا انقطاع، ما دام في الرئتين هواء.

أما مجموعة الأصوات المتوسطة (المائعة) أو السائلة، فإن تسميتهم لها بالمائعة تتفق مع تسمية الدارسات الصوتية الحديثة لها، وكما أسلفنا، فقد جمعها ابن جنى في قولهم: لم يرْوعنا أو لم يرعونا.. فهي إذن ثمانية أصوات وهي: اللام والميم والياء والراء والعين والواو والنون والألف.

فقد عد العلماء العرب من الأصوات المتوسطة: الألف والواو والياء والعين، وهذه الأربعة لا تتفق مع تعريفهم للأصوات المتوسطة، التي ذكروها بأنها أصوات ليست انفجارية وليست احتكاكية، فهي بين الانفجارية والاحتكاكية، فالثلاثة الأول،

---

[1] سر صناعة الإعراب ١/٧-٨

[2] سر صناعة الإعراب ١/٧-٨

الألف والواو والياء أصوات صائتة، فهي حركات خالصة طويلة، وحتى لو عددنا الواو والياء من أشباه الحركات، فلا تكون متوسطة بحسب فهمهم، لأن التوسط في الواو والياء؛ أشباه الحركات، توسط بين الصوامت بعامة والحركات بعامة.

أما العين، فليست من الأصوات المتوسطة أيضاً، فقد أثبتت التجارب المعملية، أن العين من الأصوات الاحتكاكية، حيث اتضح بصورة الأشعة، أن في نطق العين تضييقاً كبيراً للحلق، وهذا ما يدعونا، وما دعا غيرنا من المحدثين قبل ذلك إلى اعتبار صوت العين رخواً، لا متوسطاً"[1].

"ولعل عدم وضوح الاحتكاك في نطق العين وضوحاً سمعياً بالنسبة لهم، جعلهم يتوهمون كونها متوسطة لا رخوة، ولكن الأصوات المتوسطة تشترك في خصائص، ليست موجودة في نطق العين، وأوضح هذه الخصائص، حرية مرور الهواء، في المجرى الأنفي أو المجرى الفموي، دون سد طريقه، أو عرقلة سيره بالتضييق عند نقطة ما"[2].

وتتميز الأصوات المائعة بأنها -أيضاً- تتخذ لنفسها مسارب أخرى، تجنباً لنقطة السد أو الانحباس، فمع اللام يمر الهواء من أحد جانبي اللسان، ومع الراء عن طريق توالي ضرب اللسان في أصول الأسنان العليا واللثة، ومع الميم والنون يتخذ ممراً آخر غير الممر المغلق وهو الفم، ألا وهو المجرى الأنفي[3]!

وقد برهنت التجارب المعملية الحديثة أن الأصوات المائعة أو المتوسطة Liquids، هي الأصوات الأربعة: اللام والنون والراء والميم، فهي جميعاً تتمتع بخاصية كونها، لاهي بالشديدة ولا هي بالرخوة[4].

أما الأصوات الانفجارية الاحتكاكية: (المركبة) فإن العلماء العرب لم يشيروا

---

(1) انظر: مناهج البحث في اللغة ١٣٠

(2) مناهج البحث في اللغة ١٣٠

(3) انظر: الأصوات اللغوية د/ عبد القادر ١٥٩ والمدخل إلى علم اللغة ٨٢

(4) الأصوات اللغوية د/ أنيس ٢٤-٢٥

إليها، ولم يتحدثوا عنها، على الرغم من اشتمال الأصوات العربية على صوت منها وهو، صوت الجيم الفصيح. ويرجع السبب في ذلك إلى أنهم وصفوا الجيم بأنها من الأصوات الشديدة ووضعوها مع الشين والياء من مخرج واحد. وقد تابعه في ذلك بقية العلماء العرب[1].

أما الصوت الانفجاري الاحتكاكي (المركب) (ǧ) كما ينطق به قراء القرآن الكريم فإن فندريس يرجعه إلى ما يحدث للصوت الانفجاري من مراحل: وأن التفاوت يقع عند محطتي السرعة والبطء، فإذا كان الانفصال سريعاً بين عضوي النطق فالصوت انفجاري خالص، وإذا كان الانفصال ببطء، فإن صفة الانفجار تتضاءل، بحيث يسمع عند عملية الإطلاق الانحباسي صوت احتكاكي، وهذا هو الصوت المركب، الانفجاري الاحتكاكي[2].

الأصوات المكررة: فقد تحدث العلماء العرب عن صفة التكرير، وسموا صوت الراء بالصوت المكرر، شرح ذلك ابن جني بقوله: "وذلك أنك إذا وقفت عليه، رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير"[3].

الأصوات الجانبية: فقد وصف العلماء العرب صوت اللام وصفاً دقيقاً، وقد أجاد ابن جني في وصفه اللام، بأنه صوت منحرف، فيقول، "لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت، وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضهما على الصوت، فيخرج الصوت من تينك الناحيتين ومما فويقهما"[4].

الأصوات الأنفية: ذكر العلماء العرب أن صوتي الميم والنون من الأصوات

---

(1) انظر: الكتاب ٤٠٥/١ وسر صناعة الإعراب ٦٩/١

(2) انظر: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي ١٨٢، وكذا: علم اللغة العام ١٢٥. والأصوات اللغوية– د/ عبد القادر ١٤٥، وسوف نقدم شرحاً تفصيلياً حول الاختلاف بين الوصف الصوتي لصوت الجيم الفصيح عند العلماء العرب، وعند الدراسات الصوتية الحديثة.

(3) سر صناعة الإعراب ٧٢/١

(4) سر صناعة الإعراب ٧٢/١

الخيشومية (وهو العضو المركب فوق غار الفم) وتكون الغنة في النون والميم الساكنة، وقد جعل سيبويه النون الخفيفة أو الخفية من الخياشيم"[1].

وبعد فإن بعض الدراسات الصوتية الحديثة، التي ترى في التقسيم الذي اعتمدناه وهو: الصوامت والحركات، فيه بعض الإشكالات التي ينبغي تجاوزها، يرون أن تصنيفاً ثنائياً آخر، يعتمد على قسمين كبيرين هما:

الأول: الأصوات الغلقية: Obstrants

وهي تشتمل على الأصوات الانفجارية والاحتكاكية والمزدوجة.

الثاني: الأصوات الرنانة: Sonarants

وهي تشتمل على الحركات والأصوات المائعة والأنفية وأشباه الحركات[2].

تصنيف الصوامت العربية بحسب الجهر والهمس.

---

(1) انظر: الكتاب ٢/ ٤٥٣

(2) انظر: مدخل في الصوتيات د/ عبد الفتاح إبراهيم ٦٧. تونس ١٩٩٩م.

أولاً: عند العلماء العرب

لعل من المصطلحات التي التبست عند العلماء العرب مصطلحى الجهر والهمس، حيث لم يحددها العلماء العرب تحديداً دقيقاً، على الرغم من كونها من الظواهر الصوتية، التي يمكن ضبطها، ويقول سيبويه عن المجهور بأنه: "حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه، حتى ينقضي الاعتماد عليه، ويجري الصوت، فهذه حال المجهورة في الحلق والفم، إلا النون والميم، قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم، فتصير فيهما غنة، وأما المهموسة فهو حرف أضعف الاعتماد في موضعه، حتى جرى النفس معه، وأنت تعرف ذلك، إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جرى النفس"(١).

وفي نص آخر يقول عنهما: "ومن المشربة حروف إذا وقفت عندها، خرج معها نحو النفخة، ولم تضغط ضغط الأول، وهي: الزاي والظاء والذال والضاد، لأن هذه الحروف إذا خرجت بصدر الصدر انسل آخره وقد فتر من بين الثنايا، لأنه يجد منفذاً، فنسمع نحو النفخة"(٢). وقال أيضاً: "أما الحروف المهموسة، فكلها تقف عندها مع نفخ: لأنهن يخرجن مع التنفس لا صوت الصدر"(٣).

أما ابن دريد فيعرفهما بقوله: "وسميت مهموسة لأنه اتسع لها المخرج، فخرجت كأنها متفشية، والمجهور لم يشبع مخرجها، فلم تسمع لها صوتاً"(٤).

وقد ذكر ابن جني الأصوات المهموسة، وذكر أنها عشرة أحرف وهي، الهاء والحاء والخاء والكاف والشين والصاد والتاء والسين والثاء والفاء، ويجمعها في اللفظ، ستحثك خصفة" وباقي الحروف وهي تسعة عشر حرفاً مجهورة، وهي:

---

(١) الكتاب ٢/٤٠٥ وسر صناعة الإعراب ١/٦٠

(٢) الكتاب ٢/٢٨٤ وسر صناعة الإعراب ١/٦١

(٣) الكتاب ٢/٢٨٤ وسر صناعة الإعراب ١/٦١

(٤) جمهرة اللغة ١/٨

الهمزة والألف والعين والغين والقاف والجيم والضاد واللام والراء والـزاي واليـاء والدال والذال والظاء والباء والميم والواو والنون والطاء[1].

---

[1] سر صناعة الإعراب ١/٦٠

ثانياً: في الدرس الصوتي الحديث(١)

يربط علماء اللغة المحدثون بين صفتي الجهر والهمس وبين وضع الأوتار الصوتية، وفتحة المزمار، وقد قسموا فتحة المزمار إلى أوضاع خمسة وهي:

١) وضع الانفتاح: وهو وضع النفس العادي (ويتم نطق الأصوات المهموسة في هذه الحالة) breathed, unvoiced, voicless sounds، ولكن الانفتاح في هذه الحالة في أضيق حدوده الممكنة(٢).

٢) وضع التذبذب: Vibration، وهو وضع الجهر(٣). وفي هذه الحالة تجذب الأوتار الصوتية في وضع تلامس، ثم يباعد بينهما من الأسفل إلى الأعلى التيار الرئوي الهوائي المتدفق خلال فتحة المزمار، وتتكرر عملية الملامسة والتفريق مكونة ذبذبة، هذا الغلق والفتح المتكرر أو ذبذبة الأوتار الصوتية، يشكل العملية المسماة: تصويت Phonation وينتج ما يسمى بالجهر Voice، ويسمى الصوت حينئذ مجهوراً: Voicied كما تعد ذبذبة الأوتار الصوتية كذلك- مصدر درجة الصوت Voice pith والمادة المشكلة للتنغيم"(٤).

٣) وضعها في حالة تضييق، ولكن ليس بدرجة متقاربة، تسمح بالذبذبة، وهي الحالة التي تصاحب الوشوشة Whisperd(٥)، وهذا الوضع للأوتار الصوتية، لم يفهم حتى الآن كما يقول روبنس(٦).

٤) وقد يوضع الوتران في حالة غلق تام محكم: يمنع مرور الهواء بينهما، وهو وضع ينتج أصواتاً كثيرة غير لغوية، كما أنه وضع إنتاج الوقفة الحنجرية،

(1) See: Introduction to modern linguistics, p. 83.
حيث عرض لثنائيات الإنجليزية المجهورة في مقابل المهموسة.

(٢) دراسة الصوت اللغوي ١٠٦ وما بعدها، وكذا: Abercrombic Elements of general phonetics, p. 26.

(3) J, D, O, Connar: Phonetics, p. 40

(4) R. H, Robins: General linguistics, p. 88

(5) Abercrombie : Elements of General phonetics, p. 28

(6) Robins: General linguistics, p. 88

الهمزة: The glottal stop.

٥) وثمة حالة تكون الأوتار الصوتية فيها في حالة نصف انفتاح (بين الغلق والفتح)، تكون مع الصوت: h، في مثل: heart , have، حيث يحدث احتكاك خفيف في أثناء مرور الهواء، بين الوترين الصوتين نصف المفتوحة، ويسميه بعضهم باحتكاك التجويف "Cavity friction"(١).

وقد ظهرت عدة نظريات تحاول تفسير النشاط الاهتزازي للوترين الصوتيين:

فثمة آراء حول الجهر ترجع إلى القدماء. حيث شبه أرسطو حنجرة الإنسان بآلة الفلوت، واعتبر القصبة الهوائية، هي جسم الآلة ومصدر الصوت، الذي يجري تكييفه وتعديله بواسطة اللسان والشفتين والفم(٢).

وقد سادت هذه النظرية طوال القرون الوسطى، مع تعديلات، وإضافات، حتى جاء العالم، انطوان فيريان، Antion Ferien، الذي أثبت بتجربة عملية قام بها أمام أكاديمية العلوم بباريس سنة ١٧٤٨م. استخدم فيها قصبة هوائية لكلب مذبوح، أن اهتزاز الوترين الصوتيين أساس لإحداث الجهر، ولتأكيد هذه النتيجة أقام التجربة نفسها مستخدماً قصبة هوائية لإنسان ميت!

وبذلك نقض فيريان تشبيه القصبة الهوائية بالفلوت، واقترح بديلاً له تشبيه الوترين الصوتيين بوتر الكمان، الذي يتحرك بتعرضه لتيار الهواء. وحدد دور العضلات بأنها القوة التي تقوم بضبط توتر الوترين(٣).

أما العالم الفرنسي: هانسون، الذي أعلن نظرية سنة ١٩٥١م وأطلق عليها: النظرية العصبية العضلية Neuromuselar، وموجز النظرية: أن اهتزاز الوترين الصوتين هو نتيجة لإثارتهما عصبياً، وأن الإثارة العصبية للعضلتين الدرقيتين

---

(1) J.D. O, Connor: Phonetics, p. 144

(2) S, Kaplan: Introduction Phyisology of speech.

وانظر آراء العلماء العرب وتفسيراتهم لعمليتي الجمهر والهمس- سر صناعة الإعراب ١-٦٠

(٣) دراسة السمع والكلام ١٣٢-١٣٤

الهرميتين، تحدث بشكل إيقاعي منظم، يؤدي إلى حدوث التقلص والاسترخاء، على نحو متتابع ومنتظم، وهذه الخاصية الإيقاعية لانتظام الإثارة تنتج بدورها عن نشاط مماثل في خلايا المخ، التى تحكم العصب المثير لهاتين العضلتين، ومن ثم تفترض هذه النظرية، أن الهواء لا يقوم بفتح الوترين الصوتيين، وليس لهما أي دور محرك لهما، بل على العكس تماماً، فاهتزاز الوترين الصوتيين، هو الذي يقوم بالتدخل، وتعديل الهواء، في أثناء الجهر"[1].

ومع تطور الأدوات والوسائل المعملية التجريبية واستخدامها في البحث، فقد أثبتت التجارب التي أجريت على القطط باستخدام راسم العضلات الكهربي، عدم وجود علاقة بين العضلات وتردد الإثارة العصبية للوترين الصوتيين، كما لوحظ أنهما لا يبدءان عملية الاهتزاز، بل لكي تبدأ عملية الاهتزاز من وجود كمية ولو ضئيلة من هواء الزفير"[2].

ثمة نظرية تعد أكثر قبولاً بين الدارسين اليوم، قد تكاد تناقض النظرية السابقة في أساسها، إذ ترى أن علة الجهر، هي حركة تيار الهواء، الصادر من الرئتين، بالإضافة إلى المرونة العضلية للوترين الصوتيين، ومن ثم تسمى نظرية المرونة العضلية وديناميكية الهواء Myelastic aero dynamic theory

وتفسر هذه النظرية حدوث الاهتزاز بأنه مجرد انطلاق دفعة هوائية من الزفير خلال فراغ المزمار الضيق، يرتد الوتران الصوتيان إلى وضع القفل في حركة شفطية سريعة، وحينئذ يقوم ضغط الهواء بحملهما على الانفصال مرة أخرى، ثم تنطلق دفعة هوائية جديدة من الهواء، فيرتد الوتران الصوتيان إلى وضع القفل وهكذا"[3].

ويؤكد إبركرومبي Abercrombie أهمية مرور تيار الهواء، خلال القصبة

---

[1] انظر: دراسة السمع والكلام ١٣٣

[2] دراسة السمع والكلام ١٣٤

[3] انظر: دراسة السمع والكلام ١٣٤

الهوائية الواقع أعلاها الحنجرة، كما يذكر أن معرفة دقائق ما يحدث للأوتار الصوتية يحتاج إلى التصوير السينمائي ذي السرعة العالية، لكي يتهيأ ملاحظة حركاتها ببطء[1].

ويعرف كرومبي الجهر بأنه الصوت الذي يؤدي والمزمار في حالة تذبذب، أما الهمس فهي الأصوات التي تؤدي مصحوبة بالنفس With breath أي والمزمار في حالة انفتاح، ويمكن أن يتم فتح للأوتار الصوتية وإغلاقها بسرعات متنوعة، ويحكم ذلك توتر الأوتار الصوتية وقوة التيار الهوائي. الذي يجلب للتيار عليها[2].

وقد أكد الاستقراء على أن نسبة شيوع الأصوات المهموسة في الكلام لا تكاد تزيد على ٢٥% في حين تصل إلى أن نسبة $\frac{٤}{٥}$ الكلام يتكون من أصوات مجهورة[3].

ويقسم يسبرسن Jespersen درجات المقياس اللغوي إلى ست درجات، تبدأ بالأصوات المجهورة، وتنتهي بالأصوات المهموسة على الوجه الآتي:

١) الفتحة والألف أكثر الأصوات الصائتة جهراً في العربية.

٢) الكسرة والضمة أقل الأصوات الصائتة جهراً، ولكنها أكثر من الصوامت.

٣) صوت الراء أكثر الأصوات الصامتة جهراً.

٤) الأصوات الأنفية أقل من ذلك جهراً (النون والميم).

٥) أقل الأصوات الصامتة جهراً هي: الدال والذال والباء، فهي أقرب إلى الهمس.

ويذكر أحد العلماء المحدثين بعض التجارب لاختبار الصوت المجهور على النحو الآتي[4].

---

[1] مبادئ علم الأصوات العام ٤٢ وما بعدها.

[2] مبادئ علم الأصوات العام ٤٢ وما بعدها.

[3] انظر: اللغة وعلم النفس د/ موفق الحمداني ٨٣

[4] الأصوات اللغوية د/ أنيس ٢٣

١) حين نضع الإصبع فوق تفاحة آدم، ثم ننطق بصوت من الأصوات وحده مستقلاً عن غيره من الأصوات، ولا يأتي هذا إلا بأن نشكل الصوت موضع التجربة بذلك الرمز الذي يسمى السكون مثل: بْ، ويجب الاحتراز من الإتيان قبله بألف وصل، كما كان يفعل القدماء من علماء الأصوات، لأن الصوت حينئذ، لا يتحقق فيه الاستقلال، الذي هو أساس التجربة الصحيحة، فإذا نطقنا بالصوت وحده، وكان من المجهورات، شعرت باهتزاز الوترين الصوتيين شعوراً لا يحتمل الشك.

٢) وكذلك حين نضع أصابعنا في أذاننا، ثم ننطق بالصوت المجهور، وهو وحده مستقلاً عن غيره، نحس بزنة الصوت في رءوسنا، وفي ذلك يقول فندريس: "وإذا راعى الإنسان أن يسد أذنيه عند النطق، فإنه عندما يصل إلى المجهورة، يسمع الرنين الذي تنشره الذبذبات الحنجرية، في تجاويف الرأس."

٣) أن يضع المرء كفه فوق جهته في أثناء نطقه بالصوت، موضع الاختبار، فيحس برنية الصوت، وذلك الرنين هو أثر ذبذبة الوترين الصوتيين.

أما الأصوات المهموسة، فإنها تتطلب جهداً، وقوة عضوية، حين إخراج النفس مع الزفير أكثر مما يتطلبه نطق الأصوات المجهورة.

كما أن الهمس لا يعني السكون التام للأوتار الصوتية، ولكن يحدث توتر بنسبة ضئيلة للغاية، لا تكاد تحس.

ومن الملاحظ، أنه تشيع في اللغات الإنسانية المقابلات بين المجهورات والمهموسات، أما اللغة العربية فإن أصوات: الهمزة والشين والصاد والفاء والقاف والكاف والهاء، هي أصوات مهموسة، وليس لها نظير مجهور، وأصوات الباء والجيم والراء واللام والميم والنون والواو والياء والظاء هي أصوات مجهورة، وليس لها نظير مهموس.

وباقي الأصوات أزواج من مجهورة ومهموسة وهي: التاء، الدال، الثاء، الذال،

الحاء، العين، الخاء، الغين، السين، الزاى، الضاد، الطاء[1].

والأصوات المجهورة في اللغة العربية في ضوء الدرس الصوتي الحديث وفقاً للتجارب المعملية فهي ١٥ خمسة عشر صوتاً: الباء والميم والواو والدال والذال والضاد والظاء والراء و والزاي واللام والنون والميم والجيم والعين والغين.

أما الأصوات المهموسة فهي ١٣ ثلاثة عشر صوتاً، على النحو الآتي:

الفاء والتاء والثاء والطاء والسين والصاد والشين والكاف والخاء والقاف والحاء والهاء والهمزة.

وبعد. فإن نظرة تحليلية فيما ذكره العلماء العرب حول مفهوم الجهر والهمس تؤكد لنا عدم إدراكهم لوظيفة الوترين الصوتيين في إحداثهما، بل أن سيبويه، لم يكن يعرف تركيب الحنجرة، فقد سماها على الترجيح أقصى الحلق، واعتبرها جزءاً قصياً من الحلق!

ويقدم الدكتور/ تمام حسان قراءة عصرية بمصطلحات صوتية حدثية، لتعريف سيبويه لعملية الجهر والهمس على النحو الآتي:

الإشباع عند سيبويه = التقوية Strenathening

الإضعاف عند سيبويه= إزالة القوة Weekening

الاعتماد عند سيبويه= الضغط Preesure

أما استخدامه لكلمة: موضعه تعني شيئاً مغايراً للمخرج.

ويستتبع ذلك:

١) أن الاعتماد له موضع، ولا يوصف بأنه مخرج، لأن المخارج عنده للحروف فقط.

٢) أن الاعتماد يكون من موضعه واقعاً على المخرج ضاغطاً عليه، فمنشأ الاعتماد وموضعه هو الحجاب الحاجز الضاغط على الرئتين، لإفراغ ما فيهما

---

[1] انظر: علم الأصوات- دراسة ١١١-١١٢

من هواء، وهو أي الاعتماد، أو الضغط واقع على مخرج الحرف، ولا يطعن في هذا الفهم قوله عن الميم والنون، قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم، فتصير فيهما غنة، لأن حروف الجر يحل بعضها محل بعض. والحرف في هنا محل الحرف: على، أو سيكون الاعتماد واقعاً من الحجاب الحاجز على المخرج الذي يوجد في الفم والخياشيم[١].

كما يظهر من عبارة سيبويه القائلة: "ومنع النفس أن يجري معه، ويجري الصوت، أن هناك نوعاً من التقابل بين النفس وبين الصوت:

النفس يرتبط بالهمس breath

الصوت يرتبط بالجهر Voice

ويدل ذلك على أن سيبويه رأى الجهر نتيجة لتقوية الضغط، كما رأى الهمس نتيجة لإضعافه، ولم يكن يعرف سيبويه مصدر هذا الضغط، ولا طريقه. وأن الجهر مظهره الصوت، وأن الهمس مظهره النفس[٢].

ويلخص د. تمام حسان إعادة قراءته لتعريف سيبويه بقوله: "فالمجهور صوت شدد الضغط في الحجاب الحاجز معه، ولم يسمح للهواء المهموس أن يجري معه، حتى ينتهي الضغط عليه، ولكن يجري الصوت في أثناء نطقه، فهذه حال الأصوات المجهورة في الحلق والفم، إلا النون والميم، فقد يتم الاعتماد فيهما على مخرجيهما في الفم والخياشيم، فتصير فيهما غنة، أي أثر صوتي أنفي مجهور، أما المهموس، فهو صوت أضعف الضغط في موضع الضغط في أثناء نطقه، حتى جرى الهواء المهموس معه، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الصوت بنطقه مع جرى النفس، فإنك لا تسمع له جهراً[٣].

---

(١) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٦١.

(٢) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٦١-٦٢.

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها ٦٢، وكذا: الأصوات اللغوية د/ أنيس ١١٩-١٢٥ حيث عرض لوجهة نظر سيبويه وتعريفه للجهر والهمس!.

تصنيف الأصوات الصامتة

بحسب ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الطبق وانخفاضه

أولاً: عند العلماء العرب:

تحدث العلماء العرب عن الأصوات المطبقة، وظاهرة الإطباق (التفخيم) وعن الأصوات المنفتحة، وظاهرة الانفتاح (الترقيق). يقول سيبويه: "ومنها المطبقة والمنفتحة، فأما المطبقة: فالصاد والضاد والطاء والظاء، والمنفتحة، كل ما سوى ذلك من الحروف، لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك في مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان، ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك. فالصوت محصور فيما بين الحنك إلى موضع الحرف[1]: أما ابن جني فيقول: "للحروف انقسام آخر إلى الإطباق، فالمطبقة أربعة وهي: الضاد والطاء والصاد والظاء، وما سوى ذلك فمفتوح غير مطبق[2] ثم يعرف الإطباق بقوله: "والإطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى، مطبقاً له"[3].

ويذكر سيبويه أن للأصوات المطبقة موضعين من اللسان، وقد بين ذلك بحصر الصوت، فيقول: "فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان"[4].

كما تحدث سيبويه عن قيمة الإطباق الدلالية في قوله: "ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً والصاد سيناً والظاء ذالاً ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيء من موضعها غيرها"[5].

كما يذكر ابن جني الأصوات المستعلية، ويقول إنها سبعة: "الخاء والغين

---

(١) الكتاب ٢/٤٠٦

(٢) سر صناعة الإعراب ٦٦/٦

(٣) سر صناعة الإعراب ٦٦/١

(٤) الكتاب ٢/٤٠٦

(٥) الكتاب ٢/٤٠٦

والقاف والضاد والطاء والصاد والظاء، وما عـدا هـذه الحـروف فمـنخفض" (١) ويشرح المقصود بالاستعلاء فيقول: "الاستعلاء أن تتصعد في الحنك الأعلى، فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق، وقد ذكرناها، وأما الخاء والغين والقاف، فلا إطبـاق فيها مع استعلائهما"(٢).

اللام والراء المفخمتان:

وقد ذكر العلماء العرب أن الراء واللام تفخمان في سياقات وبشروط، أما اللام، فتفخم مع لفظ الجلالة، إذا لم يسبقه صوت من أصوات الكسرة، وفي ذلك يقولون:

وفخم الـلام فـي اسـم الله بعد فتح أو ضـم كعبـدَ الله

كما أنهم يجيزون تفخيمه إذا تلاه صوت من أصـوات الفتحـة، وسـبقه أحـد الأصوات المطبقة مثل، الصلاة، الطلاق، الظلام، الضلال.

أما الراء: فإنهم ذكروا لها مواضع للتفخيم وحددوها في أن تكون الراء مفتوحة أو مضمومة أو ساكنة بعد فتح أو ضم.

---

(١) سر صناعة الإعراب ٦٢/١

(٢) سر صناعة الإعراب ٦٢/١

ثانياً: في الدرس الصوتي الحديث

ويقسم علماء الأصوات المحدثون الأصوات بحسب ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الطبق أو انخفاضه، إلى أصوات مفخمة عند الارتفاع، وإلى أصوات مرفقة عند الانخفاض.

أولاً: الأصوات المفخمة: ويقسمها العلماء إلى ثلاثة أقسام[1]:

١) أصوات كاملة التفخيم، أو مفخمة من الدرجة الأولى وهي: الصاد والضاد والطاء والظاء.

٢) أصوات ذات تفخيم جزئي، أو مفخمة من الدرجة الثانية وهي: الخاء والغين والقاف.

٣) أصوات تفخم في مواضع، وترقق في مواضع وهي: اللام والراء.

ويعرف العلماء التفخيم بأنه: ارتفاع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق، بحيث لا يتصل به، مع تحركه إلى الخلف قليلاً في اتجاه الحائط الخلفي للحلق، ولذلك يسميه بعضهم، الإطباق Nelerization، وذلك بالنظر إلى الحركة العليا للسان.[2] كما يسميها آخرون التحليق Pharyngalization، وذلك بالنظر إلى الحركة الخلفية للسان[3].

ويذكر إبركرومبي أن العربية تحتوي على عدد من الأصوات المحلقة، ويمثل لذلك بصوت اللام في لفظ الجلالة: الله Allah، ومثالها في الإنجليزية اللام الثانية في الكلمة: little تنطق في جنوب إنجلترا، وإن كانت لا تنطق بتحليق في أيرلندا.

كما يذكر أن مصطلح: Clear يطلق على الأصوات المرتفعة، ومصطلح: dark

---

(١) دراسة الصوت اللغوي ٢٧٨-٢٧٩

(٢) دراسة الصوت اللغوي ٢٧٩

(٣) مبادئ علم الأصوات ٩٧، وكذا: Jakcbson: The Emphatic phonematic in Arabic, p, 106.

يطلق على الأصوات المفخمة، ففي نطق مواطني إنجلترا غالباً ما توصف اللام الأولى في الكلمة: little أنها مرتفعة، والثانية بأنها مفخمة، كما تستخدم الصفة: مفخم: أيضاً، في صورة على قدر من التحليق ملحوظ قليلاً، في بعض أنواع اللهجة الكوكنية Cockney[1].

ويفرق د/ تمام حسان بين مصطلحي الإطباق والطبقية بقوله: "وليحذر القارئ من الخلط بين اصطلاحين، يختلفان أكبر اختلاف، وإن اتحدا في كثير مما يخلق صلة بينهما، وذلك هما: الطبقية، أو نطق من مخرج الطبق Veral Articuation، والإطباق، أو ما يسمى في علم الأصوات: Nelarization، فالطبقية ارتفاع مؤخرة اللسان وحتى يتصل بالطبق، فيسد المجرى، أو يضيقه تضيقاً يؤدي إلى احتكاك الهواء بهما في نقطة التقائهما، فهي إذن حركة عضوية مقصودة لذاتها، يبقى طرف اللسان معها في وضع محايد، أما الإطباق، فارتفاع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق، بحيث لا يتصل به، على حين يجري النطق في مخرج آخر غير الطبق، يغلب أن يكون طرف اللسان أحد الأعضاء العاملة فيه"[2].

وينبغي أن ننوه إلى أن المقصود بالتفخيم، الأثر السمعي الناشئ عن الإطباق، وأما الإطباق، فهو وصف عضوي للسان في شكله المقعر المطبق نحو سقف الحنك، ويكون الانفتاح حينئذ وصفاً عضوياً أيضاً لموضع اللسان، حيث ينخفض مؤخرته بعيداً عن الطبق[3].

أما الأصوات المفخمة تفخيماً كلياً في اللغة العربية فهي: الصاد والضاد والطاء والظاء، ويعدُّ التفخيم في هذه الأصوات صفة ملازمة لا يمكن فصلها عن الصوت.

والأصوات المفخمة تفخيماً جزئياً، أو من الدرجة الثانية، فهي الغين والخاء والقاف، ويذكر جاكبسون Jakcbson، أنها تتميز بسحب اللسان إلى الخلف، مع

---

(١) انظر: مبادئ علم الأصوات ٩٧-٩٨

(٢) مناهج البحث في اللغة ٨٩

(٣) انظر: علم الأصوات – دراسة ١١٧

وضع مؤخرته تجاه أقصى الطبق[١] أما فيرجسون: Ferguson، فيرى أن هذه الأصوات الثلاثة، تقوم في كثير من الأحيان بوظيفة الأصوات المفخمة، وتؤثر في تنوعات الأصوات المجاورة لها، ومن ثم فقد سماها: أصوات شبه مفخمة Semi Emphatis consonants"[٢].

في حين يطلق بعض العلماء على هذه الأصوات الثلاثة مصطلح، الأصوات المستعلية، وذلك لأن مؤخرة اللسان ترتفع نحو اللهاة في أثناء النطق بها، فتتسع غرفة الرنين اتساعاً متوسطاً[٣].

وينبغي أن نلاحظ أن التفخيم الجزئي أو الاستعلاء ليس صفة ملازمة لهذه الأصوات الثلاثة في كل أحوالها وسياقاتها. ولكنها تكون كذلك في سياقات معينة وبشروط محددة. ويكون ذلك عند ما تجاور الأصوات المفخمة، فتتأثر بها، كما تتأثر هذه الأصوات بما يليها من حركة أمامية (الكسرة) فيضعف فيها أثر التفخيم قليلاً أو كثيراً، حيث يبقى الصوت على ما هو عليه من كونه صوتاً محافظاً على هويته وصورته وبخاصة في صوتي الغين والخاء. ولكن الأمر يختلف في حالة القاف، إذا ما تقدم مخرجها قليلاً إلى الأمام، فإنها تتحول إلى صوت آخر، وهو صوت: الكاف، نسمعه من بعض اللهجات وعلى ألسنة أهل الشام، وبخاصة في سوريا وفلسطين.

ويرى فريق آخر من العلماء أن يجمع بين القسمين الأول والثاني في مجموعة واحدة يطلق عليها جميعاً الأصوات المستعلية، في حين يطلق عليها آخرون الأصوات المفخمة.

والحق، فإن الفصل بينهما أحكم وأدق، سواء من الناحية العضوية أو من الناحية الوظيفية. فالمؤكد من الناحية العضوية معملياً أن النوع الأول يرتفع مؤخرة اللسان فيه نحو الطبق، وتتسع غرفة الرنين اتساعاً كاملاً، في حين يرتفع مؤخرة

---

(1) Jakcbson: The Emphatic Phonemes in Arabic, pp. 109-111.
(2) Ferguson: The Emphatic "L" in Arabic Language.
(٣) انظر: علم الأصوات- دراسة ١١٧

اللسان في الثاني نحو اللهاة، وتتسع غرفة الرنين اتساعاً متوسطاً.

أما الأصوات المفخمة تفخيماً كليا، فكما أسلفنا، يلازمها التفخيم ولا يفارقها، لأنه يمثل الدلالة الحقيقة لها، وإلا فإنها تتحول إلى أصوات أخرى إذا فقدته، فتتحول الصاد إلى سين والضاد إلى دال والطاء إلى تاء والظاء إلى ذال. وليس كذلك الحال بالنسبة للأصوات المستعلية.

أما اللام والراء:

فاللام من الأصوات الجانبية، التى توصف بأنها من الأصوات المائعة، التي تتمتع بقوة إسماع ملحوظة، والأصل فيها الترقيق، إلا أن هذا الصوت يفخم كما ذكر العلماء العرب مع لفظ الجلالة: الله، إذا لم يسبقه صوت من أصوات الكسرة، كما يجوز تفخيمه إذا تلاه صوت من أصوات الفتحة، وسبقه أحد الأصوات المطبقة، مثل: الصلاة – الضلال- أما الراء: فهي- أيضاً- من الأصوات التي توصف بأنها مائعة، وتتمتع -كذلك- بقوة إسماع، لكن الأصل فيها الترقيق، غير أنها تفخم بشروط وفي مواقع محددة، وهي أن تكون مفتوحة أو مضمومة، أو ساكنة بعد فتح أو ضم مثل: أرب، رب، برد، قرط أما إذا كانت مكسورة أو ساكنة بعد كسر فإنها ترقق مثل: رسالة، فرعون، أما إذا تلت الراء الساكنة صوت مفخم، فإنها قد تفخم، مثل قرطاس.

وأخيراً، فإن تفخيم كل من صوت اللام والراء، إنما هو من الأمور العارضة للصوت، أو ما يسمى: بالتنوعات Vairnts وفقاً للمصطلح الصوتي، ومن ثم لم تشأ الأبجدية العربية أن تستحدث لهما رمزين كتابيين مستقلين:

وبعد.. فبالنظر إلى ما ذكره العلماء العرب عن ظاهرة التفخيم والترقيق، نجد أنهم تناولوها وعالجوها معالجة علمية دقيقة، بقدر ما توفر لهم من إمكانات التحليل والوصف الذاتي المتاحة. فقد ذكر سيبويه مصطلح: الإطباق والحروف المطبقة، في مقابل الانفتاح والحروف المنفتحة. وهي نظرة صائبة، حدد من خلالها الظاهرة تحديدا عضوياً، وما يحدث للسان من ارتفاع مؤخرته نحو الطبق أو انخفاضه، وكذلك الحال عند العلماء العرب. وهذا الوصف يتفق تماما في مصطلحاته مع ما

ذكره مالمبرج[1]. وفي حين عد سيبويه: الغـين والخـاء والقـاف مـن الحـروف المنفتحة، عدها ابن جني من الحروف المستعلية[2].

ونلاحظ أنه لم يرد مصطلح التفخيم والترقيق في تصنيفهم. وهو مصطلح يعتمد على الأثر السمعي لهذه الأصوات، على الرغم من أن سـيبويه يـذكر أن الإطبـاق يحصر الصوت (الهواء) بين اللسان والحنك، وتلك إشارة منه إلى ما يكـون لهـذا الوضع العضوي من تأثير سمعي، أو إشارة إلى ما نطلق عليه بتكوين حجرة رنـين في الدرس الصوتي الحديث.

---

(1) انظر: علم الأصوات ١١٧

(2) الكتاب ٤٠٦/٢ وسر صناعة الإعراب ٦١/١

الوصف الصوتي الشامل للصوامت العربية

في الدرس الصوتي الحديث

يعد الوصف الصوتي الشامل للأصوات بوجه عام من ثمرات الدرس اللغوي الحديث، حيث يجمع العلماء الأصوات في مجموعات ينطلقون منها، وتكون هي الأساس، سواء أكان الأساس معتمداً على المخارج الصوتية أو معتمداً على كيفية مرور الهواء في أثناء النطق بالصوت.

ويتميز هذا الوصف الشامل بأنه يمثل بطاقة أو هوية تتضمن كل ما يتعلق بالصوت من صفات وقد آثرنا تقسيم الأصوات الصامتة العربية إلى مجموعات من حيث مخارجها، بحيث تشتمل كل مجموعة على الصفات الصوتية الأخرى المتمثلة في صفات كيفية مرور الهواء من انفجار واحتكاك وازدواج وجانبية وتكرير وأنفية وتوسط. وصفات تتعلق بحالة الأوتار الصوتية من جهر وهمس، وصفات تتعلق بوضع مؤخرة اللسان نحو الطبق من ارتفاع أو انخفاض فيكون التفخيم أو الترقيق، وأخيراً من حيث المجرى الفموي والأنفي، الذي يخرج منه هواء الصوت[1].

ونقدم وصفاً شاملاً لصوامت اللغة العربية وفقاً للأساس السابق على النحو الآتي:

أولاً : الأصوات الشفوية : وتتضمن اللغة العربية ثلاثة أصوات شفوية وهي :

١) الباء: صوت شفوي انفجاري مجهور مرقق فموي: يتم نطقه بأن تنطبق الشفتان انطباقاً تاماً، يمنع مرور الهواء فترة، ثم ما يلبث السد أن يزول، فيخرج الهواء منفجراً، وفي أثناء مرور الهواء عبر الوترين الصوتيين، تضيق المسافة بينهما ضيقاً شديداً، ويهتز الوتران الصوتيان، وينخفض مؤخرة اللسان بعيداً عن الطبق، ويرتفع الطبق نحو التجويف الخلفي للحلق، وينفتح

---

(1) لم يصنف العلماء العرب أصوات العربية هذا التصنيف الشامل في دراساتهم، ويقسم بعض العلماء المحدثين مجموعات الأصوات بحسب كيفية مرور الهواء عند الوصف الشامل لها.

التجويف الضموي.

٢) **الميم:** صوت شفوي (أنفي) مجهور مرقق: ويتم نطقه بأن تنطبق الشفتان انطباقاً تاماً، يمنع مرور الهواء عبر الفم، وينخفض الطبق نحو التجويف لخلفي للحلق، فينغلق المجرى الفموي، ويغير الهواء مجراه عبر التجويف الأنفي، وتكون الأوتار الصوتية في حالة ذبذبة، ويبقى اللسان في وضع محايد.

٣) **الواو:** صوت شفوي (متوسط) مجهور مرقق (باعتباره من أشباه الصوامت)[١] ويتم نطقه بانضمام الشفتين إلى الأمام، ويكون وضع اللسان متوسطاً بين وضعه في نطق الصوامت بوجه عام، ووضعه في نطق الحركات، وتتذبذب الأوتار الصوتية، ويرتفع الطبق نحو التجويف الخلفي للحلق، وينسد التجويف الأنفي، ويخرج الهواء عبر الفم.

ونلاحظ أن أصوات هذه المجموعة الشفوية، ليس لها نظائر في اللغة العربية، أو مقابلات ثنائية، فالباء ليس لها نظير مهموس، كما هو الحال في اللغات الهندوأوربية وبض اللغات السامية، التي تشتمل على صوت p المهموس.

ثانياً: الأصوات الشفوية الأسنانية: وتشتمل اللغة العربية على صوت واحد وهو:

١) **الفاء:** صوت شفوي أسناني احتكاكي مهموس مرقق:

ويتم نطقه بان تتصل الشفة السفلى بالأسنان العليا اتصالاً يسمح بمرور الهواء بينهما محدثاً احتكاكاً مسموعاً، ويرتفع الطبق نحو التجويف الخلفي للحلق، وينسد المجرى الأنفي، ولا تتذبذب الأوتار الصوتية، وينخفض مؤخرة اللسان بعيداً عن الطبق، ونلاحظ أنه ليس في اللغة العربية مقابل مجهور لصوت الفاء، ولكن صوت: "V" في اللغات الهندو أوروبية يشترك مع الفاء العربية في المخرج ويختلف عنها في كونه مجهوراً.

---

[١] نرى أن ترجمة مصطلح Semi Vowel لصوتي الواو والياء، إلى: أشباه الحركات أدق من أنصاف حركات.

ويذكر ماريوباي أن اللغات الإنسانية ليست سواء في نطق صوت الفاء من الشفة والأسنان، حيث ينطقه اليابانيون من الشفتين، ويخرج الصوت احتكاكياً مهموساً، في حين ينطقه الأسبان بنفس الطريقة من الشفتين مع ذبذبة الأوتار الصوتية[1].

ثالثاً: الأصوات الأسنانية: وتشتمل اللغة العربية على ثلاثة أصوات وهي:

١) **الثاء:** صوت أسناني احتكاكي مهموس مرقق: ويتم نطقه بان يوضع طرف اللسان بين الأسنان العليا والسفلى (بين أطراف التنايا) بحيث يسمح بخروج الهواء محتكاً بهما، ويكون اللسان مستوياً في معظمه، ويرتفع الطبق، لينسد التجويف الأنفي بالتصاقه بالحائط الخلفي للحلق، ولا تتذبذب الأوتار الصوتية.

٢) **الذال:** صوت أسناني احتكاكي مجهور مرقق: ويتم نطقه بأن يوضع طرف اللسان بين الأسنان العليا والسفلى (بين أطراف التنايا) ويخرج الهواء محتكاً، ويرتفع الطبق فينسد المجرى الأنفي، وتتذبذب الأوتار الصوتية، ونلاحظ أن الذال هي النظير المجهور للتاء.

٣) **الظاء:** صوت أسناني احتكاكي مجهور مفخم: ويتم نطقه بأن يوضع طرف اللسان بين الأسنان العليا والسفلى (بين أطراف الثنايا) مع السماح للهواء بالمرور محدثاً احتكاكا مسموعا، ويرتفع مؤخرة اللسان نحو الطبق، فتتسع غرفة الرنين، ويحدث التفخيم، ويرتفع الطبق ليلتصق بالجدار الخلفي للحلق، وينسد التجويف الأنفي، وتتذبذب الأوتار الصوتية.

ونلاحظ أن صوت الظاء، هو النظير المفخم لصوت الذال.

كما نلاحظ على هذه المجموعة أن الخليل بن أحمد، جعلها من الأصوات اللثوية، وقال: لأن مبدأها من اللثة[2]: وقد وافقه على ذلك ابن يعيش، حيث يقول: "والظاء

---

[1] أسس علم اللغة ٨٣.

[2] العين ١/٦٥

والذال والثاء من حيز واحد، وهو ما بين طرفي اللسان وأصول الثنايا، وبعضها أرفع من بعض، وهي لثوية، لأن مبدأها من اللثة"[1]، أما سيبويه، فقد جعلها أسنانية كما هو الحال في الوصف الصوتي الحديث، حيث يقول: "وما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء"[2] كما ينص سيبويه على أن الظاء هي النظير المفخم للذال فيقول: "ولولا الإطباق في الظاء لكانت ذالاً"[3].

رابعاً: الأصوات الأسنانية اللثوية: ويضم هذا المخرج مجموعة كبيرة من الأصوات العربية، تصل إلى سبعة أصوات، وهي:

١) **الدال:** صوت أسناني لثوي انفجاري مجهور مرقق: ويتم نطقه بأن يلتصق طرف اللسان بأصول الأسنان العليا واللثة التصاقاً تاماً يمنع مرور الهواء، وتتذبذب الأوتار الصوتية، ويرتفع الطبق ليلتصق بالجدار الخلفي للحلق، فينسد التجويف الأنفي، ويخرج الهواء عبر التجويف الفموي، ويكون مؤخرة اللسان في وضع أفقي، ثم يزول السد فجأة، فيخرج الصوت منفجراً.

٢) **الضاد:** صوت أسناني لثوي انفجاري مجهور مفخم: ويتم نطقه بأن يلتصق طرف اللسان بأصول الأسنان العليا واللثة التصاقاً تاماً يمنع مرور الهواء، وتتذبذب الأوتار الصوتية، ويرتفع الطبق ليلتصق بالجدار الخلفي للحلق، وينسد التجويف الأنفي، ويرتفع مؤخرة اللسان نحو الطبق، وتتسع غرفة الرنين، ويزول السد فجأة، فيخرج الصوت منفجراً، ونلاحظ أن الضاد تعد النظير المفخم لصوت الدال.

٣) **التاء:** صوت أسناني لثوي انفجاري مهموس مرقق: ويتم نطقه بأن يلتصق طرف اللسان بأصول الأسنان العليا واللثة، التصاقاً تاماً يمنع مرور الهواء ولا

---

[1] شرح المفصل ١٠/١٢٥

[2] الكتاب ٢/٤٠٥

[3] الكتاب ٢/٤٠٦

تتذبذب الأوتار الصوتية ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفي للحلق، وينسد التجويف الأنفي، ويكون اللسان مستوياً ويزول السد فجأة، فيخرج الصوت منفجراً. ونلاحظ أن صوت التاء هو النظير المهموس لصوت الدال.

٤) **الطاء:** صوت أسناني لثوي انفجاري مهموس مفخم: ويتم نطقه بأن يلتصق طرف اللسان بأصول الأسنان العليا واللثة التصاقاً تاماً يمنع مرور الهواء، ولا تتذبذب الأوتار الصوتية، وينسد التجويف الأنفي لارتفاع الطبق نحو الجدار الخلفي للحلق، ويرتفع مؤخرة اللسان نحو الطبق، فتتسع غرفة الرنين، ويزول السد فجأة، فيخرج الصوت منفجراً، ونلاحظ أن صوت الطاء هو النظير المفخم لصوت التاء.

٥) **الزاي:** صوت أسناني لثوي احتكاكي مجهور مرقق: ويتم نطقه بأن يوضع طرف اللسان في اتجاه الأسنان، ومقدمته مقابل اللثة العليا، في وضع يسمح بمرور الهواء محدثاً احتكاكاً، وتتذبذب الأوتار الصوتية، ويرتفع الطبق، ليلتصق بالجدار الخلفي للحلق، وينسد التجويف الأنفي، ويخرج الهواء عبر الفم.

٦) **السين:** صوت أسناني لثوي احتكاكي مهموس مرقق: ويتم نطقه بأن يوضع طرف اللسان في اتجاه الأسنان، ومقدمته في مقابل اللثة العليا، في وضع يسمح بمرور الهواء محدثاً احتكاكاً، ولا تتذبذب الأوتار الصوتية، ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفي للحلق، فينسد التجويف الأنفي، ويمر الهواء عبر الفم، ونلاحظ أن صوت السين هو النظير المهموس لصوت الزاي.

٧) **الصاد:** صوت أسناني لثوي احتكاكي مهموس مفخم: ويتم نطقه بأن يوضع طرف اللسان في اتجاه الأسنان، ومقدمته في مقابل اللثة العليا، في وضع يسمح بمرور الهواء محدثاً احتكاكاً، ولا تتذبذب الأوتار الصوتية، ويرتفع الطبق ليلتصق بالجدار الخلفي للحلق، وينسد التجويف الأنفي، ويرتفع مؤخرة اللسان نحو الطبق، وتتسع غرفة الرنين، ويمر هواء صوت الصاد عبر الفم.

ونلاحظ بأن صوت الصاد هو النظير المفخم لصوت السين.

خامساً : الأصوات اللثوية : وتضم هذه المجموعة ثلاثة أصوات وهي :

١) **اللام:** صوت لثوي (جانبي) مجهور مرقق.

ويتم نطقه بأن يتصل طرف اللسان باللثة، وفي وضع معكوف، فيحول ذلك دون مرور الهواء من وسط الفم، فيلجأ الهواء إلى الخروج من أحد جانبي الفم أو من كليهما، وتتذبذب الأوتار الصوتية، ويرتفع الطبق ليلتصق بالجدار الخلفي للحلق، وينسد المجرى الأنفي، ويخرج الهواء من جنب الفم.

وقد يرتفع مؤخرة اللسان نحو الطبق، وتتسع غرفة الرنين، ولكن ذلك لا يكون إلا مع لفظ الجلالة: الله المسبوق بفتح أو بضم، لكنه يرقق على الأصل في حالة الكسر.

٢) **الراء:** صوت لثوي (مكرر) مجهور مرقق.

ويتم نطقه بأن يترك طرف اللسان مسترخياً في طريق الهواء عند اللثة، فيرقوف اللسان، ويضرب طرف اللثة ضربات متكررة، فيخرج الهواء على دفعات متكرراً أو ترددياً، وتتذبذب الأوتار الصوتية، ويرتفع الطبق ليلتصق بالجدار الخلفي للحلق، وينسد التجويف الأنفي، ويخرج الهواء متكرراً عبر الفم.

وقد يرتفع مؤخرة اللسان نحو الطبق، فتتسع غرفة الرنين، ولكن ذلك لا يكون إلا إذا كانت الراء مفتوحة أو مضمومة أو ساكنة بعد فتح أو ضم.

٣) **النون:** صوت لثوي (أنفي) مجهور مرقق.

ويتم نطقه بأن يلتصق طرف اللسان باللثة التصاقاً تاماً، يمنع مرور الهواء عبر الفم، وينخفض الطبق ليلتصق بالجدار الخلفي للحلق، فينسد التجويف الفموي، ويغير الهواء مجراه عبر التجويف الأنفي، محدثاً في أثناء مروره حفيفاً، وتتذبذب الأوتار الصوتية.

ونلاحظ أن صوت النون تتنوع مخارجه بحسب الأصوات التي تلحقه، فتكون

النون أسنانية إذا جاءت بعدها الذال أو الثاء أو الظاء مثل: إن ذهب، إن ثاب، إن ظلم، وتكون أسنانية لثوية عندما تقع قبل الأصوات الأسنانية اللثوية في مثل: إن دأب، وإن ضرب وإن تبع وإن طلب وإن زرع وإن سكت وإن صلح، وتكون غارية عندما تقع قبل الشين والجيم والياء، في مثل: من شاء ومن جاء ومن يكن. ونون طبقية عندما تأتي قبل الكاف في مثل: إن كان، ولكنها تأتي قبل العين والحاء من الأصوات الطبقية، وتنطق من مخرجها اللثوي. وتكون لهوية قبل صوت القاف في مثل: إن قال[1].

سادساً : الأصوات الغارية : وتشتمل على ثلاثة أصوات وهي :

١) **الشين:** صوت غاري احتكاكي مهموس مرقق:

ويتم نطقه بأن يرتفع مقدمة اللسان نحو الغار ارتفاعاً يسمح بمرور الهواء محدثاً احتكاكاً مسموعاً، ولا تتذبذب الأوتار الصوتية، ويرتفع الطبق ليلتصق بالجدار الخلفي للحلق، وينسد التجويف الأنفي ويخرج الهواء عبر الفم.

ونلاحظ أن صوت الشين ليس له نظير مجهور في اللغة العربية الفصحى، ولكنه يحدث له إجهار، عندما يجاور أصواتاً مجهورة، كما في كلمة: مشغول، حيث تنطق الشين كالجيم الشامية، ويعد هذا النطق على سبيل التنوع الصوتي للشين.

٢) **الجيم:** صوت غاري انفجاري احتكاكي (مركب) مجهور مرقق.

ويتم نطقه بان يلتصق مقدمة اللسان بالغار التصاقاً تاما يمنع مرور الهواء، ولا يزول السد فجأة، كما هو الحال في الأصوات الانفجارية، وإنما يزول ببطء، فيترتب على ذلك حدوث احتكاك للهواء الخارج بالعضوين، مقدمة اللسان والغار، يشبه الاحتكاك المسموع في صوت: الشين المجهورة: ج، وبذلك يكون صوت الجيم الفصيح مكوناً من: صوت دال مغورة يعقبه صوت شين مجهور، وتتذبذب الأوتار الصوتية، ويرتفع الطبق ليلتصق بالجدار الخلفي للحلق، وينسد التجويف الأنفي

---

[1] نظر مناهج البحث في اللغة ١٠٦-١٠٧

ويخرج الهواء عبر الفم.

والحقيقة، فإن هذا الصوت الفصيح ﮔ، لا وجود له في اللهجات الحالية، إلا في لهجة من لهجات الصعيد في مصر، وبعض أماكن الجزيرة العربية، وتحول إلى دال أسنانية عند بعض أهالي الصعيد، بانتقال مخرجه إلى الأمام[1].

ويبدو أن قبيلة تميم، كانوا ينطقون شيئاً مهموسة بدلاً من الجيم، قال الجوهري، وأشاعة لغة في: ألجاه، وتميم تقول: شر ما يشيئك إلى مخه عرقوب، بمعنى: يجيئك. وقال زهير بن ذؤيب العدوي:

فيال تميم صابروا قد أشئتم   إليه وكونوا كالمحربة البسل[2]

كما يقول ابن جني: قال الراجز:

إذ ذاك حبل الوصال مدمش[3]

أي: مدمج: فالشين بدل من الجيم.

وعد الزبيدي هذه الظاهرة في الأندلس من لحن العامة، فقال: اشترت الدابةُ، خطأ، والصواب: اجترّت[4].

ويبدو أن هذا الصوت المزدوج (المركب) ليس أصلياً في اللغة العربية القديمة، وإنما هو صوت تتطور عن جيم تشبه نطق المصريين لهذا الصوت، والدليل على ذلك مقارنة اللغات السامية الأخرى، كالعبرية والسريانية والحبشية: فصوت الجيم في هذه اللغات صوت شديد (انفجاري) يشبه نطق المصريين.

ويقول المستشرق إنوليتمان Enno litimann، "تعرف أن نطق هذا الحرف الأصلي، كان كما هو الآن في مصر، وكما كان ويكون في اللغات السامية الباقية مثلاً- كلمة: جمل، في العبرية gămlā، وفي السريانية: gamlā، وفي الحبشية:

(1) انظر: علم اللغة العام ١٢٦ وكذا: المدخل إلى علم اللغة ٥١

(2) الصحاح (شيئاً) ٥٩/١

(3) سر صناعة الإعراب ٢١٥/١

(4) لحن العوام ٣٠٣، وهناك أمثلة أخرى في: الإبدال، لأبي الطيب ٢٢٦/١-٢٢٨

gamal وتاريخ هذا الصوت النطق كما يأتي: في الابتداء تغير نطق: gīm، فصار: gĭm قبل حركة الكسرة فقط، ثم لفظت عند أهل الحجاز: gĭm، إذا وقعت قبل كل الحركات، أي الفتحة والضمة والكسرة، وكان هذا النطق نطق القرشيين في زمان النبي ﷺ فصار نطق القرآن الشريف"[1].

٣) **الياء:** صوت غاري (متوسط) مجهور مرقق (باعتباره من أشباه الصوامت):

ويتم نطقه بأن يوضع مقدمة اللسان في وسط المسافة بين وضع اللسان مع الصوامت بوجه عام والحركات، وتتذبذب الأوتار الصوتية، ويرتفع الطبق ليلتصق بالجدار الخلفي للحلق، وينسد المجري الأنفي، ويخرج الهواء من الفم.

سابعاً: الأصوات الطبقية: وتشتمل اللغة العربية على ثلاثة أصوات طبقية وهي:

١) **الكاف:** صوت طبقي انفجاري مهموس مرقق:

ويتم نطقه بأن يلتصق مؤخرة اللسان بالطبق التصاقاً تاماً يمنع مرور الهواء ولا تتذبذب الأوتار الصوتية، ويرتفع الطبق ليلتصق بالجدار الخلفي للحلق، وينسد التجويف الأنفي، ثم يزول السد فجأة، فيخرج الهواء عبر الفم ونلاحظ أن صوت الكاف ليس له في اللغة العربية الفصحى نظير مجهور، ويعد صوت الجيم القاهري: g، هو النظير المجهور لصوت الكاف.

٢) **الغين:** صوت طبقي احتكاكي مجهور مرقق.

ويتم نطق صوت الغين بأن يقترب مؤخرة اللسان من الطبق اقتراباً شديداً، يسمح بمرور الهواء محدثاً احتكاكاً مسموعاً، ولا تتذبذب الأوتار الصوتية، ويرتفع الطبق ليلتصق بالجدار الخلفي للحلق، وينسد التجويف الأنفي، ويخرج الهواء عبر الفم.

وقد يرتفع مؤخرة اللسان نحو اللهاة، فتتسع غرفة الرنين اتساعاً متوسطاً في

---

[1] بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي، لإنوليتمان بحث في مجلة كلية الآداب- المجلد العاشر ج١-٢ سنة ١٩٤٨م.

حالات الفتح والضم، ولكن الصوت يعود إلى حالته المرققة في حالات الكسر.

ونلاحظ أن صوت الخاء هو النظير المهموس لصوت الغين.

ثامناً : الأصوات اللهوية : وتشتمل اللغة العربية على صوت واحد فقط وهو:

القاف: صوت لهوي انفجاري مهموس مرقق.

ويتم نطق صوت القاف بأن يرتفع مؤخرة اللسان فيلتصق باللهاة والجدار الخلفي للحلق، ويسد بذلك مجرى الهواء، ثم ما يلبث السد أن يزول فجأة، فيخرج الصوت منفجراً، ولا تتذبذب الأوتار الصوتية، ويرتفع الطبق فيلتصق بالجدار الخلفي للحلق، وينسد التجويف الأنفي، ويخرج الهواء من الفم[1].

تاسعاً : الأصوات الحلقية : وتشتمل اللغة العربية على صوتين اثنين وهما :

١) **العين:** صوت حلقي احتكاكي مجهور مرقق.

ويتم نطقه بتضييق الحلق عند لسان المزمار، مع نتوء لسان المزمار إلى الخلف، حتى ليكاد يتصل بالجدار الخلفي للحلق، ثم يرتفع الطبق ليلتصق بالجدار الخلفي للحلق فينسد التجويف الأنفي، وتتذبذب الأوتار الصوتية، ويمر الهواء محتكاً عبر الفم.

٢) **الحاء:** صوت حلقي احتكاكي مهموس مرقق.

ويتم نطقه بأن يحدث تضييق الحلق عند لسان المزمار مع نتوء لسان المزمار إلى الخلف، حتى ليكاد يتصل بالجدار الخلفي للحلق، ثم يرتفع الطبق، فيلتصق بالجدار الخلفي للحلق، فينسد التجويف الأنفي، ولا تتذبذب الأوتار الصوتية، ويخرج الهواء محتكاً عبر الفم ونلاحظ أن صوت الحاء هو النظير المهموس لصوت العين.

وقد أدرك ابن جني العلاقة بين صوتي العين والحاء بقوله: "ولولا بحة في الحاء لصارت عيناً، ولأجل البحة التي في الحاء ما يكررها الشارق في تنحنحه،

---

[1] وقد يرتفع مؤخرة اللسان نحو اللهاة في نطق القاف، فتتسع غرفة الرنين اتساعاً متوسطاً في حالات الفتح والضم، ولكن الصوت يعود إلى حالته المرققة في حالات الكسر.

وحكى أن رجلاً من العرب بايع أن يشرب علبة لبن ولا يتنحنح، فشرب بعضه، فلما كظه الأمر، قال: كبش أملح، فقيل له: ما هذا؟ تنحنحت! فقال: من تنحنح فما أفلح، وكرر الحاء مستروحاً إليها لما فيها من البحة، التي يجري معها النفس، وليست كالعين التي تحصر النفس[1].

عاشراً: الأصوات الحنجرية: وتشتمل اللغة العربية على صوتين اثنين وهما:

١) **الهمزة:** صوت حنجري انفجاري مهموس مرقق. (وقفة حنجرية glttal stop ويتم نطقها بأن يلتصق الوتران الصوتيان التصاقاً تاماً، يمنع مرور الهواء، ثم ما يلبث السد أن يزول فجأة، فيخرج الهواء منفجراً، ولا تتذبذب الأوتار الصوتية[2].

٢) **الهاء:** صوت حنجري احتكاكي مهموس مرقق:

ويتم نطقه بأن يحتك الهواء الخارجي من الرئتين بمنطقة الأوتار الصوتية دون أن يحدث لها اهتزاز، ويرتفع الطبق ليلتصق بالجدار الخلفي للحلق، وينسد التجويف الأنفي، ويسمح للهواء بالمرور عبر الفم، ويكون وضع الفم في نطق الهاء، هو

---

(١) سر صناعة الإعراب ٢٤٦/٢ وهذا إدراك بأن الصوت المهموس صوت نفسي.

(٢) ويرى بعض العلماء المحدثين أن الهمزة صوت لا هو بالمجهور ولا بالمهموس، ويرى هذا الرأي كل من الدكتور/ إبراهيم أنيس والدكتور/ كمال بشر؛ الذي يقول: "والقول بأن الهمزة صوت لا بالمجهر ولا بالمهموس، هو الرأي الراجح، إذ إن وضع الأوتار الصوتية حال النطق بها لا يسمح بالقول بوجود ما يسمى بالجهر أو ما يسمى بالهمس "علم اللغة العام ١٤٣

في حين يعلق د/ عبد الرحمن أيوب على رأي د/ إبراهيم أنيس بقوله: "يقرر الدكتور/ إبراهيم أنيس في كتابه: الأصوات اللغوية أن الهمزة صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس وبالرجوع لتعريف الدكتور/ أنيس للجهر والهمس في الكتاب نفسه نجد أنه يصف الجهر بأنه صوت موسيقي، يحدث من اهتزاز الوترين الصوتيين اهتزازاً منتظماً، ويصف الصوت المهموس بأنه الصوت الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان، ومعنى هذا أن الأوتار الصوتية، إما أن تتذبذب، فيحدث الجهر أولا تتذبذب فيحدث الهمس، ولا ثالث لهاتين الإمكانيتين، ومن ثم فإن وصف الدكتور/ أنيس للهمزة بأنها ليست مجهورة ولا مهموسة وصف غير دقيق أصوات اللغة- هامش ١٨٣

نفس وضعه في نطق الحركات، ولولا هذا الحفيف الذي يحدث في منطقة الأوتار الصوتية لما سمع غير صوت الزفير العادي، كما أن عدم اهتزاز الأوتار الصوتية، هو الذي يميز الهاء عن الحركات المجهورة[1].

وبعد- فهذا هو الوصف الشامل للأصوات العربية في ضوء الدرس الصوتي الحديث، ويبقى أن نذكر أن عدد الأصوات التي يمكن لجهاز النطق الإنساني أن ينتجها لا يمكن حصرها أو تقديرها على وجه الدقة حتى الآن، وهذا يرجع إلى أن أقل انحراف في المخرج، يمكن أن يعطي نتائج مختلفة تدركها الأجهزة الحساسة مثل: السبكتروجراف، أو مسجل تردد الموجات الصوتية، إن لم تدركها الأذن، وأيضاً فإن كثيراً من الأصوات الإنسانية، التي لا تعد أصواتاً كلامية في بعض اللغات، تعد بكل تأكيد أصواتاً كلامية في بعضها الآخر[2].

---

[1] ويرى د/ تمام حسان أن صوت الهاء وصوت مجهور، يتم النطق به بأن تضيق المسافة بين الأوتار الصوتية إلى مرحلة في منتصف الطريق بين الهمس والجهر، حتى إذا مر هواء الرئتين بينهما كان لاحتكاكه بهما أثر صوتي لا هو بالحس ولا هو بالنفس (وهو يعني بالحس جرس الصوت الذي يتردد صداه في حجرات الرنين في الجهاز النطقي، وفي حالة الجهر هذا الأثر الصوتي فيه بعض الذبذبة، وهو ما يجعلنا أن ننظر إلى هذا الصوت باعتباره مجهوراً، وأنه يهمس إذا تلاه صوت مهموس، أما إذا تلاه صوت مجهور يبقى على جهره. مناهج البحث في اللغة ١٣١ كما يرى د/ أنيس أن صوت الهاء صوت مهموس، يجهر في بعض الظروف اللغوية الخاصة. الأصوات اللغوية ٨٢

[2] أسس علم اللغة ٤٥.

رسم تخطيطي للأصوات العربية – المخارج والصفات

في ضوء الدرس الصوتي الحديث

مخارج الأصوات	صفات الاصوات												
	انفجارية				احتكاكية				مزدوجة	متوسطة			
	مجهور		مهموس		مجهور		مهموس		مجهور	مجهور			
	مرقق	مفخم	مرقق	مفخم	مرقق	مفخم	مرقق	مفخم		جانبي	تكراري	أنفي	شبه حركي
شفوي	ب		(پ)									م	و
شفوي أسناني					(ڤ)		ف						
أسناني					ذ	ظ	ث						
أسناني لثوي	د	ض	ت	ط	ز	(ژ)	س	ص					
لثوي										ل	ر	ن	
غاري					(چ)		ش		ج				ي
طبقي	گ		ك		غ		خ						
لهوي			ق										
حلقي					ع		ح						
حنجري			ء				هـ						

بين الوصف الصوتي الشامل عند الدرس الصوتي الحديث للصوامت العربية وعند العلماء العرب

ينبغي أن نقرر في البداية أن العلماء العرب قد أجادوا وصف الأصوات العربية إجادة أثارت إعجاب العلماء وتقديرهم، على الرغم من اعتمادهم على وسائل تحليل بسيطة تتمثل في التجربة الذاتية والتذوق الشخصي. فإن ثمة بعض الاختلافات بين الوصف الصوتي الحديث وبينهم، لا تقلل من شان صنيعهم وجهدهم، الذي نهضوا به، للدرجة التي جعلت برجشتراسر، أحد المستشرقين يقول: "لم يسبق الأوربيين في هذا العلم إلا قومان: العرب والهنود." كما يقول فيرث: "لقد نشأت الدراسات الصوتية وتمت في أحضان لغتين مقدستين: العربية والسنسكريتية:

ولعل هذه الاختلافات ترجع إلى أمرين: الأول: أن تكون الأصوات التي اختلفت في وصفهم عن الوصف الصوتي الحديث، تكون قد تطورت وتغيرت على مستوى النطق الفصيح في زماننا عما كانت عليه في زمانهم، وبالتالي اختلف وصفهم لها على النحو الذي ورد في مؤلفاتهم الثاني: أن يكون نطق الصوت في الفصحى في زماننا هو نفسه النطق الذي كان ينطقه العرب قديماً في زمانهم، وليس هناك ثمة تغير، وأن ما وصلنا من نطق للأصوات العربية عن طريق المشافهة في تلاوة القرآن الكريم وتجويده، يمثل ما كانت عليه الصورة المنطوقة للأصوات العربية دون أدنى تغيير، حيث وصلتنا قراءات القرآن كما كانت وستكون منذ أنزلت آياته البينات على الرسول ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأن علماء الإسلام كانوا أشد حرصاً على لغة القرآن الكريم، من اللحن والانحراف، ولذلك لم يسمحو أن يؤخذ القرآن إلا عن شيخ وعن طريق المشافهة

وحينئذ يكون وصف العلماء العرب لبعض الأصوات وصفاً غير دقيق، وأنهم قد جانبهم الصواب، ولكننا لا نصرح بتخطئة هؤلاء العلماء، ونقول بأنهم ربما وصفوا بعض الأصوات التي كانت شائعة على ألسنتهم في زمانهم. فكانت هذه الاختلافات!

وينحصر الخلاف فيما بين الوصف الصوتي الحديث وبين الوصف عند العلماء العرب في ستة أصوات وهي: الضاد والطاء والجيم والقاف والعين والهمزة.

أولاً: الضاد: عند العلماء العرب

فقد عدها الخليل من الأصوات الشجرية "والجيم والشين والضاد" شجرية، لأن مبدأها من شجر الفم، أي مفرج الفم"[1]. فهي عنده إذن من الأصوات الغاربة. أما سيبويه فيجعلها "من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس مخرج الضاد"[2].

ويشرح ذلك المبرد بقوله: "الضاد ومخرجها الشذق، فبعض الناس تجري له في الأيمن، وبعضهم تجري له في الأيسر"[3] أما ابن جني فيقول: "من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، مخرج الضاد، إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر"[4]. وقد عدها العلماء العرب من الأصوات الرخوة[5].

في الدرس الصوتي الحديث:

الضاد: صوت أسناني لثوي انفجاري مجهور مفخم.

ثمة فرقان أساسيان في وصف الضاد بين وصف العلماء العرب والوصف الصوتي الحديث:

أولهما: أنهم جعلوها من الأصوات الرخوة (الاحتكاكية).

ولم يذكر سيبويه، وهو يتحدث عن الحروف المطبقة ونظائرها المنفتحة للضاد نظيراً في قوله: لولا الإطباق.. لخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيء من موضعها غيرها."

ومن ثم، فإن الضاد التي وصفها العلماء العرب، لا تماثل الضاد الحالية التي

---

(1) العين ٦٤/١

(2) الكتاب ٤٠٥/٢

(3) المقتضب ١٩٣/١

(4) سر صناعة الإعراب ٤٧/١

(5) انظر: الكتاب ٤٠٦/٢. وسر صناعة الإعراب ٦١/١

ينطق بها مجيدو القراءات في القرآن الكريم في مصر، سواء في المخـرج أو فـي الصفات. وليس من اتفاق بيننا وبينهم سوى في صفة التفخيم. وقد عقـب العلمـاء المحدثون سواء من الغربيين الذين اهتموا بالدرس الصوتي عند العـرب، أو مـن العلماء العرب، وأدلوا بوجهات نظرهم على النحو التالي:

يذكر شاده "أن سيبويه عد من الرخوة حرفاً خرج عنها بعده، فـي كثيـر مـن اللهجات العربية، وهو الضاد، فإنها ليست الآن من الرخاوة، إلا في لفظ مـن قـال: ضرب – مثلا– بضاد جانبية المخرج، وأما في النطق المعتاد في مصر، يعني بضاد مقدمة المخرج، فقد لحقت فيه الشديدة"[1]. أما برجشتراسر فيقول." (أما الضاد فهي الآن شديدة عند أكثر أهل المدن، وهي رخوة عند القدماء، كما هو الآن عنـد أكثـر البدو، ومع ذلك فليس لفظها البدوي الحاضر نفس لفظها العتيق، لأن مخرج الضـاد عند القدماء، من حافة اللسان، ومن القدماء من يقول، من جانبه الأيسر، ومنهم من يقول: من الأيمن، ومنهم من يقول: من كليهما، فمخرجها قريب من مخرج اللام من بعض الوجوه، والفرق بينهم هو أن الضاد من الحروف المطبقة كالصاد، وأنها مـن ذوات الدوى (الاحتكاك) واللام غير مطبقة، صوتية محضة، فالضاد العتيقـة حـرف غريب جداً، غير موجود– حسبما أعرف– في لغة من اللغات إلا العربيـة، ولـذلك كانوا يكنون عن العرب الناطقين بالضاد، ويغلب على ظني أن النطق القديم للضاد، لا يوجد الآن عند أحد من العرب، غير أن للضاد نطقاً قريبـاً منـه جـداً عنـد أهـل حضرموت، وهو كاللام المطبقة، ويظهر أن الأندلسيين كانوا ينطقون الضـاد مثـل ذلك، ولذلك استبدلها الأسبان بصوت: Ld، في الكلمات العربية المستعارة في لغتهم، مثال ذلك، كلمة، القاضي، صارت في الأسبانية: Alcalde[2] ومما يدل أيضاً على أن الضاد، كانت في نطقها قريبة من اللام أن الزمخشري، ذكر في كتابه: المفصـل، أن بعض العرب كانت تقول: الطجع، بدلاً من: اضطجع، ونشأ نطق الضاد عند البدو، من نطقها العتيق، فتغير مخرجها من حافة اللسان إلى طرفه، ونطقها عند أهل المـدن،

---

(1) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ٩.

(2) انظر أمثلة أخرى ذكرها كانتينو، هامش ٨٦ في دروس في علم أصوات العربية.

نشأ من هذا النطق البدوي، بإعماد طرف اللسان على الفك الأعلى، بدل تقريبه منه فقط، فمصار الحرف بذلك في نطقه شديداً بعد أن كان رخواً"[1].

ويذكر كانتينو أن الضاد في النطق القديم كانت انحرافية، وأن هذا النطق من خصائص العربية وحدها، وأن الأعاجم لا قدرة لهم على النطق بها وفعلاً فإن الحروف الشديدة الأسنانية الانحرافية، عسيرة النطق على من ليس في لغته القديمة من هذه الحروف شيء"[2]. ويرى كانتينو بعد تقديمه لوصف العلماء العرب أنه مما لا شك فيه في هذا الصدد فالنطق القديم كان: ظْ لْ، أي: ظاء ذات زائدة انحرافية، أي بتقريب طرف اللسان من الثنايا، كما في النطق بالظاء، وبان يجري النفس، لا من طرف اللسان فقط، بل ومن جانبيه أيضاً"[3]. كما يذكر كانتينو أنه في جنوب الجزيرة العربية، وبالخصوص في جهة: دثينة، تنطق الضاد كاللام المفخمة، فيقولون: تتجل به، titgallabah، في: تتجضّ أي: تتقضى به. وكذلك: لوع في: ضوْع، ومعناه أصحاب القبيلة الواحدة[4]. وفيما يؤكد كانتينو أنه "لم يبق أثر لنطق الضاد وأن الأسبانية قد انقرضت"[5] فإننا نقول بأن نطق الضاد لا ما انحرافية ما يزال موجوداً في نطق بعض الأفارقة في أوغندا وفي مناطق من آسيا في، ماليزيا، فقد سمعت منهم يقولون: وللاّلين walallālīn في وللضالّين، بقلب الضاد لاماً، في سورة الفاتحة.

أما الدكتور إبراهيم أنيس، فهو يرى أن الضاد القديمة قد أصابها التطور حتى صارت إلى ما نعهده لها من نطق في مصر، وأنه لا يزال العراقيون حتى الآن وبعض البدو ينطقون بنوع من الضاد يشبه إلى حد ما الظاء.. يمكن النطق بها بأن يبدأ المرء بالضاد الحديثة، ثم ينتهي نطقه بالظاء، فهي إذن مرحلة وسطى، فيها

---

[1] انظر: التطور النحوي ١٨

[2] دروس في علم أصوات العربية ٨٥

[3] دروس في علم أصوات العربية ٨٦

[4] انظر: لهجة حضرموت، لاندبرج ٦٣٧ والمختصر، كارل بروكلمان ٣٢/١

[5] دروس في علم أصوات العربية ٨٧

شيء من شدة الضاد الحديثة، وشيء من رخاوة الظاء العربية، ولذلك كان يعـــدها القدماء من الأصوات الرخوة"[1].

في حين يذكر د. بشر أن العلماء العرب ربما وصفوا الضاد المولدة، لا الضـــاد العربية الأصلية، ويرجع ذلك لكثرة استعمال هذا الصوت المولـــد وشـــيوعه علـــى الألسنة عند قيام حركة التأليف اللغوي[2].

وبمقارنة صوت الضاد العربية بنظيره في اللغات السامية، نجده يقابل صاداً في اللغة الأكادية، والأوجراتية والعبرية، ففي كلمة: أرض، في العربية تقابـــل كلمـــة: arsetu < في الأكادية وكلمة، ars < في الأوجراتية، وكلمة: eres < في العبريـــة، كما تقابل الضاد عيناً في السريانية مثل: arca < ، بمعنى: أرض كذلك، ولـــم تبـــق ضاداً إلا في العربية الشمالية والعربية الجنوبية (السبئية والمعينية) والحبشية، مثل كلمة: ard في العربية الجنوبية، بمعنى: أرض كذلك:[3] وكلمة: dahay، بمعنى الشمس- الضحى، في الحبشية[4].

وفي حين تؤكد ماريه هفنر أن الضاد العربية كانت احتكاكية بدليل أن هذه الضاد احتكاكية في الحبشية، وتستند على ذلك بما ورد من نصوص منقوشة، كتبت فيهـــا الضاد زاياً في بعضها وضاداً في بعضها الآخر، فلو كانت انفجارية، لما التبست على الكاتب إطلاقاً، فدلت كتابته إياها بصورة الزاي، على أنها كانت احتكاكيـــة"[5]. فقـــد روت كتب الإبدال صوراً عديدة لنطق الضاد بما يؤكد صعوبة هذا الصوت على ألسنة العرب أنفسهم، فما بالنا بالأعاجم الذين دخلوا في الإسلام لاحقـــاً، وقـــد ذكـــر ابـــن الجزري ذلك بقوله: "والضاد انفرد بالاستطالة، وليس في الحروف ما يعســـر علـــى اللسان مثله، فإن ألسنة الناس فيه مختلفة، وقل من يحسنه، فمنهم من يخرجه ظاء،

---

(1) انظر: الأصوات اللغوية ٤٩

(2) انظر: علم اللغة العام ١٠٨

(3) Moscati: An Introduction, p. 28. and: C, Brock Imann: Grundriss, p. 1128.

(4) Praetorius: Atiop Grammatik, 81

(5) Hofner : Atsdarbisch Geammatik, 18

ومنهم من يخرجه بالذال، ومنهم من يجعله لاماً مفخمة، ومنه من يشمه الزاي، كل ذلك لا يجوز"[1].

أما ما ذكره أبو الطيب قولهم: "الخضل والخظل، فساد يلحق سعف النخل"[2] ومن أمثلة الضاد والذال: ما ينبض له عرق نبضاً، وما ينبذ له عرق نبذا، وقد نبض العرق ينبض، ونبذ ينبذ، إذا ضرب"[3]. ومن أمثلة الضاد واللام: تقيّض فلان أباه وتقيله تقيضاً وتقيلاً، إذا نزع إليه في الشبه"[4] ومن أمثلة الضاد والزاي، "انا على أوقاز وعلى أوقاض، أي على عجلة"[5].

كما ذكرت بعض مؤلفاتهم أن الناس كانوا يخلطون بين الضاد والظاء في بعض الأحيان، ومن ذلك ما رواه أبو على الفارسي: أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين: أيضحى بضبى؟ قال: وما عليك لو قلت: بظبى؟ قال: إنها لغة. قال: انقطع العتاب، ولا يضحي بشيء من الوحش"[6]. كما ذكر الجاحظ مثل هذا الخلط بقول: "وزعم يزيد مولى بن عون، قال: كان رجل بالبصرة له جارية، تسمى ظمياء، فكان إذا دعاها، قال: يا ضمياء، بالضاد، فقال ابن المقفع، قل، يا ظمياء، فناداها، يا ضمياء، فلما غيرّ عليه ابن المقفع مرتين أو ثلاثاً، قال: هي جاريتي أم جاريتك"[7].

ويرى برجشتراسر أن نطق الظاء كان قريباً من نطق الضاد، وكثيراً ما تطابقتا وتبادلنا في تاريخ العربية، وأقدم ما في ذلك مأخوذ من القرآن الكريم وهو:

---

[1] النشر في القراءات العشر ٢١٩/١

[2] الإبدال لأبي الطيب ٢٧٠/٢

[3] الإبدال لأبي الطيب ١٦/٢

[4] الإبدال لأبي الطيب ٢٧٧/٢

[5] الإبدال لأبي الطيب ١٣٨/٢

[6] ذيل الأمالي والنوادر، للقالي ١٤٣

[7] البيان والتبيين ٢١١/٢

(الضنين) في سورة التكوير ٨١/٢٤، فقد قرأها كثيرون بالظاء مكان الضاد التي رسمت بها في كل المصاحب، ومن قرأها بالظاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي، وكذلك النبي ﷺ كما قال: مكي، في كتاب: الكشف[١].

ويبدو أن الخلط قد شاع في القرن الثالث الهجري، فقد ذكر ابن الأعرابي اللغوي (ت ٢٣١هـ) من أنه يجوز عند العرب أن يعاقبوا بين الضاد والظاد، فقد روى ابن خلكان[٢]. أن ابن الأعرابي كان يقول: "جائز في كلام العرب أن يعاقبوا بين الضاد والظاء، فلا يخطئ من يجعل هذه في موضع هذه وينشد

إلى الله أشكو من خليل أوده ثلاث خصال كلها لي غائض

بالضاد (بدل غائظ) ويقول:هكذا سمعت من فصحاء العرب."

في حين يرى ابن جني أن ذلك ليس من باب المعاقبة، وإنما هي مادة أخرى، فيقول:

"ويجوز عندي أن يكون غائض غير بدل، ولكن من غاضه أي نقصه، فيكون معناه: ينقصني ويتهضمني"[٣].

---

[١] التطور النحوي ١٠، وانظر: الكشف، لمكي ٣٦٤/٢ وتفسير القرطبي ٢٤٢/١٩، وزينة الفضلاء ٧

[٢] وفيات الأعيان ٤٢٣/٣ وطبقات الزبيدي ٢١٥

[٣] سر صناعة الإعراب ٢٢٢/١

ثانياً : الطاء

عند العلماء العرب

فقد جعلها الخليل من الأصوات النطعية، مع التاء والدال، "لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى"[1]. وجعلها سيبويه مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا، مع الدال والتاء"[2] والطاء عندهم من الأصوات الشديدة[3] كما أنها أيضاً مجهورة[4]. كما عدها سيبويه من الأصوات المطبقة. ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً!"[5].

في الوصف الصوتي الحديث :

الطاء، صوت أسناني لثوي انفجاري مهموس مفخم.

ويتفق الوصف الصوتي عند العلماء العرب مع الوصف الصوتي الحديث لصوت الطاء في مخرجها، وفي صفة الإطباق (التفخيم) أيضاً، في حين يختلف الوصف في جعلهم لها صوتاً مجهوراً من ناحية وأنها النظير المفخم للدال من ناحية أخرى!.

ويرى برجشتراسر، أن الطاء القديمة، كانت مجهورة، تشبه الضاد الحديثة، التي تطورت فضاع منها الجهر، وأصبحت تلك الطاء الحديثة، التي لم يكن لها وجود أصلاً في العربية القديمة، فيقول: والطاء المهموسة اليوم مجهورة عند القدماء، ونطق الطاء العتيق قد انمحى وتلاشي تماماً"[6]. في حين يرى شاده أن نطق الطاء العتيق، يوجد في جنوب جزيرة العرب، فيقول: سيبويه يعد من المجهورة الطاء والقاف، وفي لفظ عصرنا لا نصيب للأوتار الصوتية في إنتاجهما. ولكن ذلك لا يصح

---

(1) العين ١/٦٥

(2) انظر الكتاب ٢/٤٠٥

(3) الكتاب ٢/٤٠٦

(4) الكتاب ٢/٤٠٥

(5) الكتاب ٢/٤٠٦

(6) التطور النحوي ٩

إلا في لفظ المدارس، (يقصد الفصحى الحالية) وأما اللهجات فتخالفها مخالفة شديدة، فإن سكان جنوب جزيرة العرب- مثلاً- يلفظون الطاء كأنها ضاد المصريين، والقاف كأنها جيم المصريين، بإطباق، فيقولون- مثلاً- (وجع فوجنا مضر) يعني: وقع فوقنا مطر (وجضعت ورجة) يعني: قطعت ورقة، ومثل ذلك يصح عن غير لهجة جنوب جزيرة العرب، من اللهجات العصرية"[1] ويؤكد ذلك جلاذر Glaser، إذ يذكر أن بمدينة صنعاء طاء تنطق كالدال المفخمة.كما أثبت روس Ross، وجود دال مفخمة في لهجات اليمن، تمثل الطاء القديمة[2]. كما أثبت كانيفمساير Kanpffmayr أن هناك في اللهجات العربية بالوادي، شرق بحيرة التشاد طاء تنطق نطقاً مجهوراً، أي كالدال المفخمة تفخيماً تتفاوت درجته من مكان إلى مكان"[3].

أما كانتينو فإنه يرى بأنه ليس هناك خلاف، في أن نطق الطاء المأثورة في العربية الفصحى، وهو نطقها مهموسة، أي كالتاء المفخمة، كما ليس هناك مجال للخلاف من جهة أخرى، أن هذا الحرف، هو حرف مهموس أيضاً، أي كالتاء المفخمة في أكثر قسم من اللهجات العربية الدارجة، ويرجع كانتينو السبب في انتقال الجهر إلى الهمس، كونها مفخمة، وحدوث ذلك التوتر العام في الأعضاء عند النطق بها"[4]. ويرى الدكتور/ إبراهيم أنيس أن ثمة تطوراً، قد طرأ على صوت الطاء، أبعده عن حالته القديمة، فيقول: "وقد اجمع الرواة في وصفهم للطاء القديمة على أنها صوت مجهور، مما يحملنا على الاعتقاد بأن الطاء القديمة تخالف التي تنطق بها الآن. غير أنه من الممكن أن نستنتج من وصفهم أنها كانت صوتاً يشبه الضاد التي نعرفها الآن، وهنا يتضح معني قول ابن الجزري أن المصريين ينطقون بالضاد المفخمة طاء مهملة. وليس من المحتمل أن القدماء، قد خلطوا في وصفهم بين

---

(١) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ١٣

(٢) انظر: دروس في علم أصوات العربية ٥٠

(٣) انظر: دروس في علم أصوات العربية ٥١

(٤) انظر: دروس في علم أصوات العربية ٥١

صفتي الجهر والهمس، فيما يتعلق بهذا الصوت، ولكن الذي أرجحه أن صوت الطاء كما وصفها القدماء، كان يشبه ما نسمعه الآن من العراقيين في نطقها، ثم تطور الصوتان، فهمست الأولى، وأصبحت الطاء التي نعرفها الآن؛ كما اختلف مخرج الثانية وصفتها، فأصبحت تلك الضاد الحديثة. أي أن ما كان يسمى بالطاء، كان في الحقيقة ذلك الصوت، الذي ننطق به الآن، ونسميه ضاداً، فلما همست أصبحت الطاء الحديثة، التي فيما يظهر لم تكن معروفة في النطق القديم- أما الضاد القديمة العصية النطق، فقد تطور مخرجها وصفتها، حتى أصبحت على الصورة التي نعهدها في مصر[1] ولكن الدكتور/ تمام حسان يرى أن الطاء القديمة كانت مهموسة، غير أنها كانت ذات نطق مهموز، فيقول: "أما الطاء التي وصفها لنا القراء مجهورة، على ما رأوا... ففي بعض اللهجات المعاصرة صوت من أصوات الطاء يمكن وصفه بأنه مهموز. ومعنى كون الطاء مهموزة هنا أنه صحبها إقفال الأوتار الصوتية، حين النطق، فأصبح عنصر الهمزة جزءاً لا يتجزء من نطقها، هذه الطاء مهموسة نطقاً، لأن إقفال الأوتار الصوتية، لا يسمح بوجود الجهر، ويرجح عندي أن الطاء العربية الفصحى القديمة التي وصفها القراء، كانت في صوتها أو في نطقها بهذا الوصف، ثم لغرابة صوتها على السمع، أخطأ القراء، فجعلوها مجهورة في دراستهم، وجعلوا الدال مقابلاً مرققاً لها"[2].

(1) الأصوات اللغوية ٥٨

(2) مناهج البحث في اللغة ٩٤

ثالثاً: الجيم الفصيحة g

أولاً: عند العلماء العرب:

اتفق العلماء العرب على مخرج موحد للجيم، وهو: الغار، حيث جعلها الخليل من شجر الفم[1] وجعلها سيبويه: "من وسط اللسان، بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم"[2]. كما اتفقوا على وصفها بالشدة، فهي عندهم جميعاً صوت شديد[3]. كما اتفقوا على وصفها بالجهر[4].

ثانياً: في الدرس الصوتي الحديث:

الجيم (ğ) صوت غاري انفجاري احتكاكي (مركب) مجهور مرقق.

ويتفق الوصف الصوتي للجيم عند العلماء العرب مع الوصف الصوتي الحديث في المخرج كما يتفق الوصفان أيضاً في وصفها بالجهر في حين يختلفان في وصفها بالشديدة عند العلماء العرب، وهي صوت انفجاري احتكاكي (مركب) في الدرس الصوتي الحديث.

والحق، فإن وصف العلماء العرب لصوت الجيم الفصيح بأنه شديد (انفجاري) حيث جعلوه في الأصوات الشديدة التي جمعوها في العبارة: أجدت طبقك، هذا الوصف يخالف ما ينطق به قراء القرآن الكريم المجيدون هذا الصوت، فهو بحسب نطقهم صوت انفجاري احتكاكي (مركب) لا يتم انفصال الاتصال بين مقدمة اللسان والغار فجأة، كما هو الحال في الأصوات الانفجارية، وإنما ينفصل عضوا النطق ببطء، فيحدث احتكاك مسموع، يشبه نطق الشين المجهورة، وينطق صوت الجيم الفصيح كأنه دال مغورة، يعقبه شين مجهورة.

---

(1) انظر: العين ١/٦٥

(2) الكتاب /٤٠٥

(3) انظر: الكتاب ١/٤٠٦

(4) انظر: الكتاب ٢/٤٠٥

ويرى د. بشر أن وصف العلماء العرب لصوت الجيم الفصيح على أنه شديد، وذلك من خلال قصرهم الوصف على الجزء الأول من نطق الجيم، هذا الجزء، يتمثل في انطباق مقدم اللسان مع الغار انطباقاً تاماً يمنع مرور الهواء، ثم يحدث بعد ذلك الانفجار باعتبار أنهم لم ينظروا إلى المرحلة الثانية من نطق الجيم. أو أنهم وصفوا جيماً أخرى تشبه التي تسميها بالجيم القاهرية، وهي صوت غاري انفجاري مجهور ولكنه يميل إلى الترجيح الأخير(1).

ويقول إنوليتمان Enno littmann "تعرف أن نطق هذا الحرف الأصلي، كان كما هو الآن في مصر، وكما كان ويكون في اللغات السامية الباقية- مثلاً: كلمة: جمل، في العبرية: gāmal، وفي السريانية: gamlā، وفي الحبشية: gamal، وتاريخ هذا النطق، كما يأتي: في الابتداء، تغير نطق: gim، فصار: ğim، قبل حركة الكسرة فقط، ثم لفظت عند أهل الحجاز: ğim، إذا وقعت قبل كل الحركات، أي الفتحة والضمة والكسرة، وكان هذا النطق، نطق القرشيين في زمان النبي ﷺ فصار نطق القرآن الشريف"(2).

ويكون إذن صوت الجيم الفصيح صوتاً متطوراً عن صوت الجيم (القاهري) القديم، المنتشر في معظم اللغات السامية، ومما يرجح ذلك ما ذكروه عن صوت بين القاف والكاف والجيم بإنها لغة سائرة في اليمن، مثل، جمل، إذا اضطروا قالوا: كمل(3). وقد أشار إنوليتمان إلى ذلك بقوله: قد روى عند النحويين: كمل، في جمل، وركل في :رجل، وركب، في: وجب، وكبهة، في: جبهة. وعلى الأرجح في هذه الكلمات، يوجد النطق الأصلي، يعني الجيم المصرية والسامية بعامة، ولكن النحويين،

---

(1) انظر: علم اللغة العام ١٢٦

(2) بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي، لإنوليمان، بحث في مجلة كلية الآداب- المجلد العاشر، الجزء الأول والثاني سنة ١٩٤٨م

(3) الصاحبي ٣٥

كتبوا كافاً، لعدم الإشارة إلى النطق الصحيح"[1].

ويؤكد د/ بشر أن هذا الصوت، الذي وصفوه بالشدة، هو صوت الجيم القاهري، لأنه الصوت الذي يتفق وتفسيرهم عنه بالجهر، ويعلل كتابتهم له بالكاف بأمرين:

١) أنهم خافوا أن يكتبوها جيماً، فيظن أنها الجيم الفصيحة المعروفة، فكتبوها كافاً، لأنها أقرب إلى الجيم مخرجاً وانفجاراً.

٢) أنهم كتبوها جافاً فارسية (كَك) ثم ضاعت الشرطة بفعل النساخ[2]!.

---

(١) بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي ٣

(٢) انظر: علم اللغة العام ١٢٧.

رابعاً : القاف

أولا : عند العلماء العرب :

ذكرها الخليل مع الكاف، وقال: القاف والكاف لهويتان، لأن مبدأهما من اللهاة[1]، أما سيبويه فجعلها طبقية: "من أقصى اللسان، وما فوقه من الحنك الأعلى، مخرج القاف"[2]. ويجمعها مع الأصوات الشديدة[3]. ووصفها بأنها مجهورة[4].

كما ذكرها ابن جني من الأصوات المستعلية. [5]

ثانياً : في الدرس الصوتي الحديث :

القاف صوت لهوى انفجاري مهموس مرقق.

ويتفق وصف العلماء العرب لصوت القاف مع الوصف الصوتي الحديث في المخرج عند الخليل، وفي صفة الانفجار، في حين يختلف الوصف في المخرج عند سيبويه وابن جني وآخرون، وكذا في وصفهم للقاف بأنها مجهورة!

والحق، فإن صوت القاف الفصيح كما نسمعه من قراء القرآن الكريم المجيدين هو صوت لهوي وهو صوت مهموس وليس مجهوراً! ويكاد هذا الوصف للقاف بأنها مجهورة، يتفق مع ما نسمعه الآن من نطق لهذا الصوت عند السودانيين وجنوب العراق إلى حد بعيد، فهم ينطقون بها نطقاً يخالف معظم اللهجات العربية الحديثة، إذ نسمعها منهم نوعاً من الغين[6].

---

[1] العين ٦٥/١.

[2] الكتاب ٤٠٥/٢.

[3] انظر: الكتاب ٢٠٦/٢.

[4] انظر: الكتاب ٤٠٥/٢.

[5] سر صناعة الإعراب ٦٢/١.

[6] الأصوات اللغوية ٨٤

ويقول كانتينو بما أن قسماً كبيراً من الألسن الدارجة العربية، تنطق بقاف مجهورة، أمكننا الاعتقاد على سبيل الاحتمال والترجيح أن القاف، كان بالفعل حرفاً مجهوراً في العربية القديمة، ويمكن أن يكون نطقها مهموساً في العربية الفصحى اليوم ناتجاً عن كونه أصبح مهموساً في اللهجات الحضرية المدنية، لأن أغلبية المثقفين اليوم وهم من أصل مدني"[1].

وتذكر كتبهم ان القبائل العربية كانت تنطق بالقاف على صور متعددة من ذلك ما ذكره ابن دريد بقوله: "فأما بنو تميم، فإنهم يلحقون القاف بالكاف، فتغلظ جداً، فيقول: الكوم، يريدون: القوم، فتكون القاف بين الكاف والقاف، وهذه لغة معروفة في بني تميم، قال الشاعر.

ولا أكَول لكَدر الكَوم كد نضجت ولا أكَول لباب الدار مكَفول[2]

ويروي أبو الطيب اللغوي من قول العرب: قشبه وأشبه: أي لامه وعابه، والقوم زهاق مائة، وزهاء مائة: أي قريب من مائة، والقفز والأفز: أي الوثب[3]. بالقاف تارة والهمزة تارة أخرى.كما ذكر أمثلة أخرى بالقاف والغين، مثال قولهم: "غلام أقلف وأغلف: أي لم يختن، والقمز من الناس والغمز، أي الرذال ومن لا خير فيه، وقلقل الأرض، وغلغل: أي ذهب في الأرض"[4].

كما أورد أمثلة أخرى بالقاف والجيم، منها قولهم. بائقة وبائجة، للداهية، وحبق وجبج أي ضرط، وأحنق وأحنج أي ضمر الفرس، وتلقفت البئر وتلجفت البئر أي أكل الماء جوانبها، وزلقت الموضع وزلجته أي ملسته[5].

ويرى كانتينو أن نطق القاف مهموساً في الفصحى اليوم ربما يرجع إلى أنه

---

[1] دروس في علم أصوات العربية ١٠٧

[2] جمهرة اللغة ٥/١ والصاحبي ٣٦

[3] الإبدال لأبي الطيب ٥٦١/٢-٥٦٢

[4] الإبدال لأبي الطيب ٣٢٨/٢-٣٢٩

[5] الإبدال لأبي الطيب ٢٣٩/١

كذلك في اللهجات الحضرية المدنية، لأن أغلبية المثقفين اليوم من أصل مدني"[1].

ويذكر أن انتقال الصوت من الجهر إلى الهمس، ربما يرجع إلى أن في نطق القاف شدة ثانية (مصاحب للشدة الأولى) تحصل بغلق رأس القصبة الهوائية إذ إن كل إغلاق لرأس القصبة الهوائية، يحول دون ارتعاش الأوتار الصوتية ويؤدي إلى نقيض الجهر[2].

ويذكر أيضاً أن القاف المهموسة تنطبق بها اللهجات الحضرية على صور ثلاثة وهي:

١) نطق القاف قافاً كما هي لهوية.

٢) نطق القاف همزة بتأخير مخرجها إلى الخلف.

٣) نطق القاف كافاً مفخمة أو كافاً عادية، أي بتقديمها قليلاً نحو الطبق.

أما القاف المجهورة فينطق بها البدو، منهم من ينطق بها جافاً خلفية جداً قريبة من اللهاة، إلا أنها لا تظهر في جميع المواقع الصوتية، وهي لهجات قليلة. وقسم آخر ينطق بها جافاً أقصى حنكية في جميع المواقع الصوتية، وهي تلك التي أشار إليها السيرافي في شرحه لكتاب سيبويه عند كلامه عن القاف التي بين القاف والجاف"[3].

---

[1] دروس في علم أصوات العربية ١٠٧

[2] دروس في علم أصوات العربية ١٠٧

[3] انظر: دروس في علم أصوات العربية ١١٠

خامساً: العين

أولاً: عند العلماء العرب:

جعلها الخليل أعمق الحروف مخرجاً، وذكرها من الحلق ضمن الحاء والهاء والغين والخاء[1]. في حين جعلها سيبويه ومن سار سيره من أوسط الحلق[2]. واتفقوا على وصفها بالجهر[3] ووصفوها بالمتوسطة بين الرخوة والشديدة[4].

ثانياً: في الدرس الصوتي الحديث:

العين: صوت حلقي احتكاكي مجهور مرقق.

اتفق الوصف الصوتي للعين عند العلماء العرب مع الوصف الصوتي الحديث في مخرج العين بأنها حلقية، وفي كونها مجهورة، في حين وصفها العلماء العرب بأنها صوت متوسط بين الشدة والرخاوة وهي صوت احتكاكي في الدرس الصوتي الحديث، وعلى الرغم من أن مفهوم التوسط عندهم، يختلف عن مفهومه في الدرس الصوتي الحديث، فالتوسط عندهم كما ذكروا بين الشديد والرخو.. والأمر ليس كذلك، فالتوسط وفقاً للدراسات المعملية يكون بين الصوامت بعامة (شديدة ورخوة معاً) وبين الحركات، وعلى ذلك لا تكون العين من جملة الأصوات المتوسطة، ويذكر الدكتور/ تمام حسان، بان وصف العلماء العرب للعين بالتوسط: "ربما كان ذلك لعدم وضوح الاحتكاك في منطقة الحلق وضوحاً سمعياً، ولكن الأصوات المتوسطة تشترك جميعاً في خصائص ليست موجودة في نطق العين، وأوضح هذه الخصائص، حرية مرور الهواء، في المجرى الأنفي، أو المجرى الفمي، دون سد طريقه، أو عرقلة سيره بالتضيق عند نقطة ما، وقد اتضح بصورة الأشعة، أن في نطق العين تضييقاً كبيراً للحلق، وهذا ما يدعونا، وما دعا غيرنا من المحدثين قبل ذلك إلى اعتبار

---

(1) انظر: العين ١/٦٥

(2) انظر: الكتاب ٢/٤٠٥. وسر صناعة الإعراب ١/٤٧

(3) الكتاب ٢/٤٠٥

(4) الكتاب ٢/٤٠٦

صوت العين رخواً لا متوسطاً"[1].

ويذكر كانتينو عن صوت العين وكذا (الحاء) بأن هذين الصوتين نـــادران فـــي المجموعات اللغوية، غير السامية، فهما أذن من الخصائص الصوتية البارزة، التـــي كان نظام حروف اللغة السامية يمتاز بها[2].

---

[1] مناهج البحث في اللغة ١٣١

[2] دروس في علم أصوات العربية ١١٦

سادساً : الهمزة

أولاً : في الوصف الصوتي عند العرب :

فقد جعلها الخليل هوائية أو هاوية مع الواو والألف والياء، لأنها هاوية في الهواء لا يتعلق بها شيء"[1] في حين جعلها سيبويه ومن نهج نهجه من الأصوات الحلقية، "فأقصاها مخرجاً: الهمزة"[2] كما جعلوها من الأصوات الشديدة[3]. ووصفوها بالجهر[4].

ثانياً : في الدرس الصوتي الحديث :

الهمزة صوت حنجري انفجاري مهموس مرقق:

يتفق الوصف الصوتي عند العرب مع الوصف الصوتي الحديث لصوت الهمزة في وصفها بالشدة (الانفجارية) وكذا في المخرج، إذا فهمنا أقصى الحلق عند العلماء العرب على أنه منطقة متسعة، تبدأ بالحنجرة، فلم يرد ذكر للحنجرة عندهم باستثناء ابن سيناء! في حين يختلف وصفهم لها بالجهر عن الوصف الصوتي الحديث فهي وفقاً للدراسات المعملية صوت مهموس، لا إعمال في أثناء نطقه للأوتار الصوتية.

ويذكر كانتينو أن هذا الحرف، يرسم عادة بواسطة علامة تدعى: أليف alēp بالعبرية، وألا ب alāp < بالآرامية، وألف alf < بالحبشية[5].

وقد ضعف هذا الحرف في اللغة الآرامية، إلا إذا كان في أول الكلمة، فيما يظهر، وفقد تقريباً كل قيمته الحرفية، خصوصاً في آخر الكلمة، حيث لم يستعمل إلا للدلالة على الحركات. أما اللغة العربية القديمة، فقد احتفظت احتفاظاً كاملاً أو يكاد

---

(1) العين ٦٥/١

(2) الكتاب ٤٠٥/٢

(3) الكتاب ٤٠٦/٢

(4) الكتاب ٤٠٦/٢

(5) دروس في علم أصوات العربية ١٢١

بهذا الحرف الشديد الأقصى حلقي[1].

وقد استعمل الناس الخط الآرامي لكتابة العربية.. تساءلوا عن كيفية رسم هذا الحرف الشديد الأقصى حلقي، فبان لهم، أن الألف، وهو ما يوافق الـ آلاب ālap <، في الآرامية، لا يفي بالحاجة في هذا الشأن، إذ فقد تقريباً قيمته الحرفية كلها، وإذ كان استعماله أصبح لرسم الفتحة الممدودة، ولذلك فقد ابتكروا، عندما حسنوا الخط العربي لكتابة القرآن العظيم، ابتكروا علامة خاصة، سموها، الهمزة، وأفردوها لرسم هذا الحرف الشديد الأقصى حلقي[2].

أما وصف هذا الصوت بأنه مجهور، فليس صحيحاً، لأنه أمر مستحيل عضوياً، لأن الأوتار الصوتية في أثناء نطقه تغلق تماماً، فلا يحدث فيما ذلك الاهتزاز اللازم لصفة الجهر[3]!

ولعل السبب الذي جعل العلماء العرب، يصفون الهمزة بالجهر، أنها لم تكن تثبت همزة قطع في كل أحوالها، وإنما هي من الأصوات التي تسهل في لغة الحجازيين. فقد ذكر ابن منظور في مقدمة لسان العرب: "وأهل الحجاز لا يهمزون في كلامهم، وذلك على العكس من القبائل النجدية، كقبيلة، تميم، فقد قال أبو زيد، "أهل الحجاز وهذيل، وأهل مكة والمدينة لا ينبرون، وقف عليها عيسى بن عمر، فقال: ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر، وهم أصحاب النبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا، وقال عمر الهذلي: قد توضيت، فلم يهمز، وحولها ياء، وكذلك ما أشبه هذا من باب الهمزة"[4]. كما يذكر ابن منظور أن "النبر هو همز الحرف، ولم تكن قريش تهمز في كلامها، ولما حج المهدي، قدم الكسائي يصلي بالمدينة، فهمز، فأنكر أهل المدينة عليه، وقالوا: تنبر في مسجد رسول الله ﷺ بالقرآن"[5].

---

(1) دروس في علم أصوات العربية ١٢١-١٢٢

(2) دروس في علم أصوات العربية ١٢٢

(3) انظر: المدخل إلى علم اللغة ٥٦

(4) انظر: مقدمة اللسان ١/١٤

(5) لسان العرب (نبر) ٧/٤٠ وكذا: غريب الحديث، لابن قتيبة ٢/٦٣٣

ويقول الفراء: وقوله: ﴿ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ﴾ [سورة سبأ ١٤/٣٤] همزها عاصم والأعمش، ولم يهمزها أهل الحجاز، ولا الحسن، ولعلهم أرادوا لغة قريش، فإنهم يتركون الهمز"[١].

وقال ابن عبد البر في التمهيد: "قول من قال: نزل القرآن بلغة قريش معناه عندي، في الأغلب، لأن لغة قريش غير موجودة في جميع القرآن، من تحقيق الهمز ونحوه، وقريش لا تهمز"[٢].

أما صاحب كتاب المباني في نظم المعاني، فيقول: "فأما الهمزة، فإن من العرب من يستعمله، وهم تميم، ومن يوافقها في ذلك، ومنهم من يقل استعمالهم له، وهم هذيل، وأهل الحجاز"[٣].

ولعل العلماء العرب القدامى، عندما وصفوا الهمزة بالجهر، لأنهم كانوا ينطقونها متبوعة بحركة فيتمون النطق إلى ألف مد، والحركة بطبيعتها مجهورة، فوصفوها بالجهر، ومن العجيب أنهم لم يجعلوها ضمن حروف القلقة، التي وصفوها جميعاً بالجهر، غير أنهم جعلوها ضمن الأصوات الشديدة، التي تتفق في مفهومها مع ما يطلق عليه بالأصوات الانفجارية باعتبارها وقفة حنجرية glottal stop

وبعد فهذه هي الأصوات الستة الصامتة، التي وقفنا عندها، لنرى إلى أي مدى كان الوصف الصوتي لها عند العلماء العرب مختلفاً أو مغايراً لما توصلت إليه الدراسات الصوتية الحديثة. ولسنا كما أسلفنا نغفل الفارق الزمني والتقدم العلمي الهائل، وما يعتمد عليه علماء الأصوات المحدثون من آلات ومخترعات وأجهزة معملية متقدمة، تضبط التجارب وتدققها. في مقابل الوسائل المتواضعة المتاحة للعلماء العرب من اعتماد على مجرد حسهم المرهف وتذوقهم الشخصي للأصوات.

---

(١) معاني القرآن، للفراء ٣٥٦/٢

(٢) انظر: البرهان، للزركشي ٢٨٤/١

(٣) انظر: مقدمتان في علوم القرآن ٢٢٦

ثانياً: الحركات عند العلماء العرب

لعل صنيع أبي الأسود الدؤلي يعد بداية اهتمام العلماء العرب بالحركات وتنبههم إلى دورها وقيمتها في إحكام اللغة وضبطها، كما يعد إدراكاً من أبي الأسود بدور الشفتين وأحوالها من فتح وضم وكسر، في التمييز بينها، يؤكد ذلك ما قاله للفتى القيسي؛ الذي استعان به في نقط المصحف[1].

أما صنيع الخليل بن أحمد، الذي تمثل في ابتكار رموز الحركات العربية، القصيرة والطويلة على السواء- وأنه وهو يقوم بوضع علامات للحركات القصيرة، مقتطعاً إياها من الحركات الطويلة، كان على وعي وإدراك بالعلاقة بينهما من حيث الكمية، فيما عبر عنه ابن جني بعد ذلك بقوله: "اعلم أن الحركات هي أبعاض أحرف المد واللين، وهي الألف والواو والياء، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، كذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحاة يسمون الفتحة- الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة.. ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف، أنك متى أشبعت واحدة منهم حدث بعدها الحرف الذي هو بعضه"[2].

ويقول- أيضاً- "الضمة قد تجري مجرى الواو، وهي واو صغيرة، كما أن الكسرة واو صغيرة، والفتحة ألف صغيرة، وهذه الحروف تنشأ متى كن مدات، نحو: رسالة وصحيفة وعجوز[3].

وأما نظرتهم إلى الحركات باعتبارها القسيم الثاني للصوامت، فإنهم لم ينظروا إليها كذلك، وإنما جعلوها أصواتاً ثانوية! حيث يقول ابن جني: "اعلم أن الحركة التي يتحملها الحرف لا تخلو أن تكون في المرتبة قبله أو معه أو بعده، فمحال أن تكون

---

[1] انظر: المحكم في نقط المصحف، للداني ٦ وإيضاح الوقف والابتداء ٤٠-٤١

[2] سر صناعة الإعراب ١٩/١

[3] المنصف ٤١٣/١ والخصائص ٣١٥/٢

الحركة في المرتبة قبل الحرف، وذلك أن الحرف كالمحل للحركة، وهي كالعرض فيه، فهي لذلك محتاجة إليه، ولا يجوز وجودها قبل وجوده، وأيضاً لو كانت الحركة مثل الحرف، لما جاز الإدغام في الكلام أصلا، ألا ترى إنك تقول: قطّع، فتدغم الطاء الأولى في الثانية، ولو كانت حركة الطاء في الرتبة قبلها، لكانت حاجزة بين الطاء الأولى وبين الطاء الثانية، ولو كان الأمر كذلك، لما جاز إدغام الأولى في الثانية، لأن بين الحرفين حركة، بطل الإدغام، فجواز الإدغام في الكلام دلالة على أن الحركة ليست قبل الحرف المتحرك بها، فقد بطل بما ذكرناه أن تكون حركة الحرف في الرتبة قبله، وبقى أن تكون معه أو بعده"[1].

كما يقول أبو على الفارسي. أنه لا يمكن فصل الحركة عن الحرف أو إمكان استقلالها عنه، ويرى أن الحركة تحدث مع الحرف، يقول ابن جني: "واستدل أبو على عن أن الحركة تحدث مع الحرف، بأن النون الساكنة إذا تحركت زالت عن الخياشيم إلى الفم، وكذلك الألف، إذا تحركت انقلبت همزة، تدل ذلك عنده على أن الحركة تحدث مع الحرف، وهو لعمرى استدلال قوي"[2]!

أدرك العلماء العرب ازدواج وظيفة رمزي كل من الواو والياء في الكتابة العربية، واختلافهما إذا كانتا رمزين للضمة الطويلة والكسرة الطويلة عنهما إذا كانت رمزين للواو والياء إذا جاءتا بعد فتحة قويتا، وكذا إذا تحركتا، كانتا أقوى، ومن تبيان ذلك أن الألف اللينة والياء بعد الكسرة، والواو بعد الضمة، إذا لقيهن حرف ساكن بعدهن، سقطن.. والياء والواو بعد الفتحة، إذا لقيهن حرف ساكن بعدهن، سقطن.. والياء والواو بعد الفتحة، إذا سكنتا، ولقيهما ساكن بعدهما، فإنهما يتحركان ولا يسقطان أبداً، كقولك: لو انطلقت يا فلان"[3].

وهكذا، فإن العلماء العرب، قد نظروا إلى الحركات نظرة ثانوية، ولعل ذلك

---

(١) سر صناعة الإعراب ٣٢/١

(٢) سر صناعة الإعراب ٣٧/١

(٣) تهذيب اللغة ٥٢/١

يرجع في أساسه إلى إهمال النظام الكتابي للعربية هذا القسم الثاني لأصواتها، ألا وهو الحركات، حيث لم تضع الأبجدية العربية رموزاً مستقلة خاصة بالحركات القصيرة، وإنما جعلوها تابعة للحروف (الصامتة) توضع فوقها أو تحتها، ولم يشأ هؤلاء العلماء أن يستخدموا لها رموزاً مستقلة، تتساوى في قدرها وقيمتها مع قدر الحروف وقيمتها، وجعلوها كالعرض للحرف مما دعا ابن جنى أن يقول: "لما كان الحروف قد توجد، ولا يوجد حركة معه، وكانت الحركة لا توجد إلا عند وجود الحرف، صارت كأنها قد حلته، وصار هو كأنه قد تضمنها"[1] وحول هذا المعنى يقول سيبويه. "لأنهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف، كان أقوى من أن يفصلوا بحركة"[2].

---

[1] سر صناعة الإعراب ٣٢/١

[2] الكتاب ٣٩٥/٢

ثانياً: في الدرس الصوتي الحديث

تعد الحركات هي القسيم الثاني للأصوات، ويعرفها دانيال جونز بأنها." أصوات مجهورة، يخرج الهواء عند النطق بها على شكل مستمر، من البلعوم والفم، دون أن يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتية تدخلاً يمنع خروجه، أو يسبب فيه احتكاكاً مسموعاً[١].

وليس من شك في أن النظام، الذي وضعه دانيال جونز، الذي أسسه على التجريب العلمي الذي قدم من خلاله وصفاً دقيقاً للحركات العالمية، باعتبارها حركات معيارية للغات العالمية، فهو لم يعتمد على نظام حركات لغة بعينها، ولم يفترض وجود هذه الحركات في لغة معينة، فهي حركات لا تنتسب إلى آية لغة وحدها، وإنما هي معايير أو مقاييس عامة، تقاس عليها حركات أية لغة يراد دراستها أو تعليمها"[٢].

لقد جاءت دراسة دانيال جونز تتويجاً لجهود العلماء السابقين في هذا المضمار القائم على وضع نظام يحكم أنظمة الحركات في اللغات الإنسانية. يمكن أن ترجع إلى جهود العالم، روبرت روبنسون R,Robinson في القرن السادس عشر، على أجزاء اللسان، وكذلك العالم، ويلز welhs سنة ١٦٥٣، الذي قدم وصفاً للحركات في كتابه عن النحو في اللغة اللاتينية، على أساس التقابلات الزوجية، سواء بالنسبة لموضع اللسان، أو بالنسبة لوضع الشفتين، فيكون وضع اللسان في نطق الحركات إما مرتفعاً وإما منخفضا وتكون الشفتان، إما مستديرة وإما ممتدة[٣].

أما العالم بيل bell، من علماء القرن التاسع عشر، فقد تميزت جهوده في

[1] D, Jones: An Out line, p. 97, And Introdnction to modern linguistics, pp, 85-86

[٢] انظر: المدخل إلى علم اللغة ١٣٩

[٣] دراسة الصوت اللغوي ١٢١

دراسة الحركات، بوصف موقع اللسان باعتبارين:

١) علو اللسان: وقد صنفه إلى مرتفع ومتوسط ومنخفض.

٢) النقطة المرتفعة: وقد قسمه إلى مقدم الفم ومؤخر الفم وخليط بينهما.

كما وصف عاملين آخرين يؤثران على موضع الحركة وهما:

١) درجة انفتاح الشفتين: ويمكن أن تكون مستديرة أو غير مستديرة.

٢) الفتحة بين مؤخرة الفم والزور: ويمكن تكبيرها لتصبح واسعة.

وقد ميز بيل bell في تصنيفه بين ستة وثلاثين نوعاً من الحركات[1].

ويأتي عمل دانيال جونز D, Jones، الذي نشره سنة ١٩٢٩، حيث قدم صورا بأشعة أكس، تبين مواقع اللسان بالنسبة للحركات الرئيسية، والذي يهمنا في هذا المقام أن تقدم لهذا الشكل، مربع الحركات المعيارية عنده من جهة، وتوزيع الحركات العربية بأنواعها عليه من جهة أخرى.

يعتمد دانيال جونز في تصنيفه للحركات المعيارية على أساسين هما:

أولاً: حالة اللسان: ومن خلال وضع اللسان، يمكن تقسيم الحركات إلى قسمين:

أ) تقسيم الحركات بالنظر إلى الجزء من اللسان الذي يفوق غيره في الارتفاع.

ب) تقسيم اللسان بالنظر إلى درجة العلو التي يرتفع إليها اللسان.

أما بالنسبة للجزء من اللسان الذي يفوق غيره في الارتفاع، فإنه يتحصل لنا ثلاثة أنواع من الحركات:

١) **الحركات الأمامية: Front vowels**

(1) انظر: دراسة الصوت اللغوي ١٢١-١٢٤.

وهي الحركات التي يرتفع الجزء الأعلى من اللسان، في أثناء النطق بها، نحو مقدم الحنك (الحنك الصلب) أو ما يسمى بالغار.

٢) **الحركات الخلفية: back vowels**

وهي الحركات التي يرتفع الجزء الخلفي من اللسان في أثناء النطق بها نحو الحنك اللين (أقصى الحنك) أو ما يسمى بالطبق.

٣) **الحركات الوسطى: Midle vowels**

وهي الحركات التي يكون أعلى نقطة في اللسان في أثناء النطق بها، في وسط اللسان.

أما بالنسبة للتقسيم الثاني، المتمثل في درجة العلو، التي يرتفع إليها اللسان، وهي تعتمد على الجزء من اللسان الذي يفوق غيره في الارتفاع، فإنه يتحصل لنا أربعة أنواع من الحركات وهي:

١) **الحركات الضيقة: close vowels**

وهي الحركات التي يرتفع اللسان في أثناء النطق بها، إلى أقصى درجة من منطقة الحركات.

٢) **الحركات المتسعة: open vowels**

وهي الحركات التي ينخفض فيها اللسان في أثناء النطق بها إلى أقصى درجة هبوط.

٣) **الحركات نصف الضيقة: half close vowels**

وهي تلك الحركات التي يرتفع اللسان في أثناء النطق بها إلى ثلث المسافة من الحركات الضيقة إلى الحركات المتسعة.

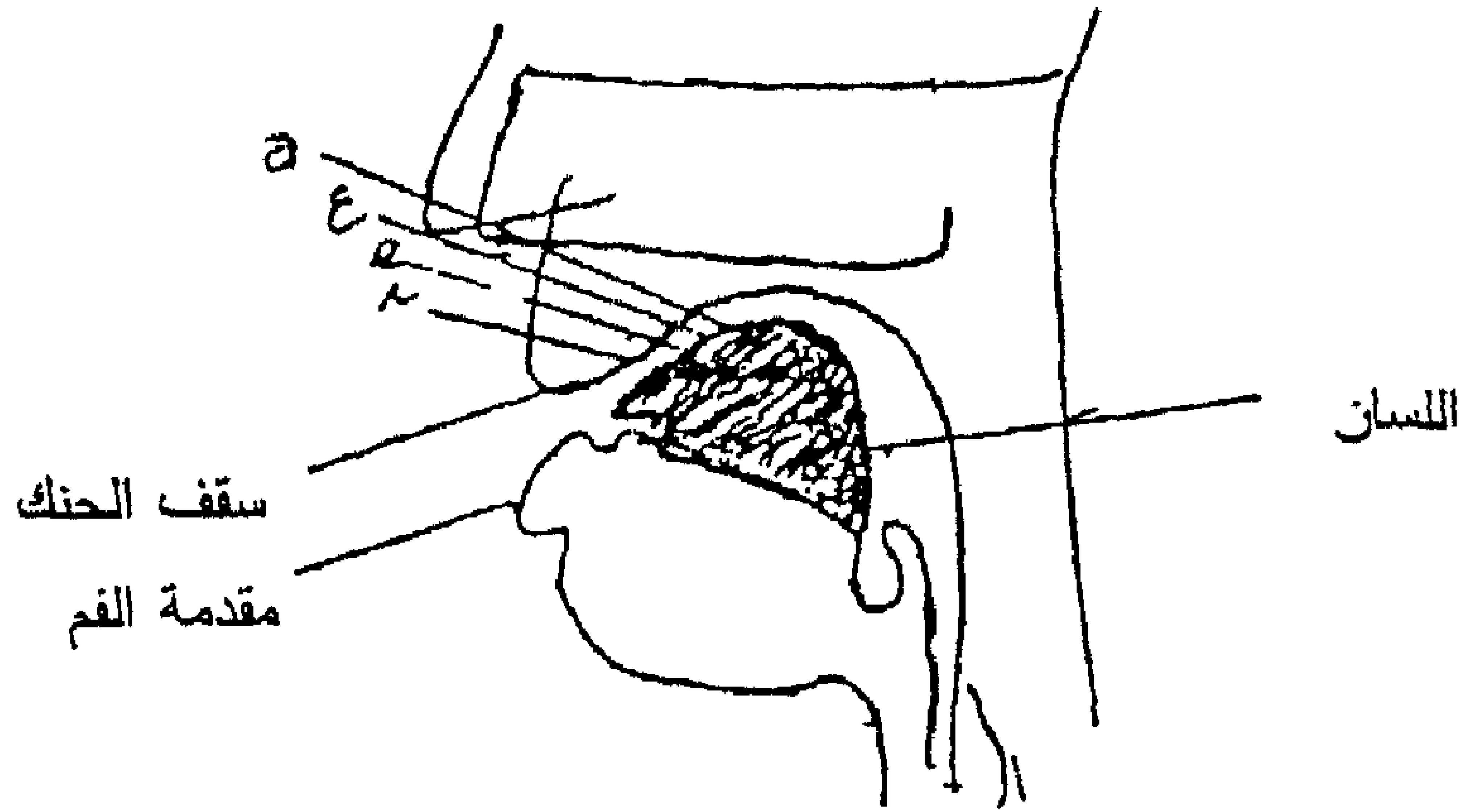
٤) **الحركات نصف المتسعة: half open vowels**

وهي تلك الحركات التي ينخفض فيها اللسان في أثناء النطق بهـا إلـى ثلـث المسافة بين الحركات الضيقة والحركات المتسعة(1).

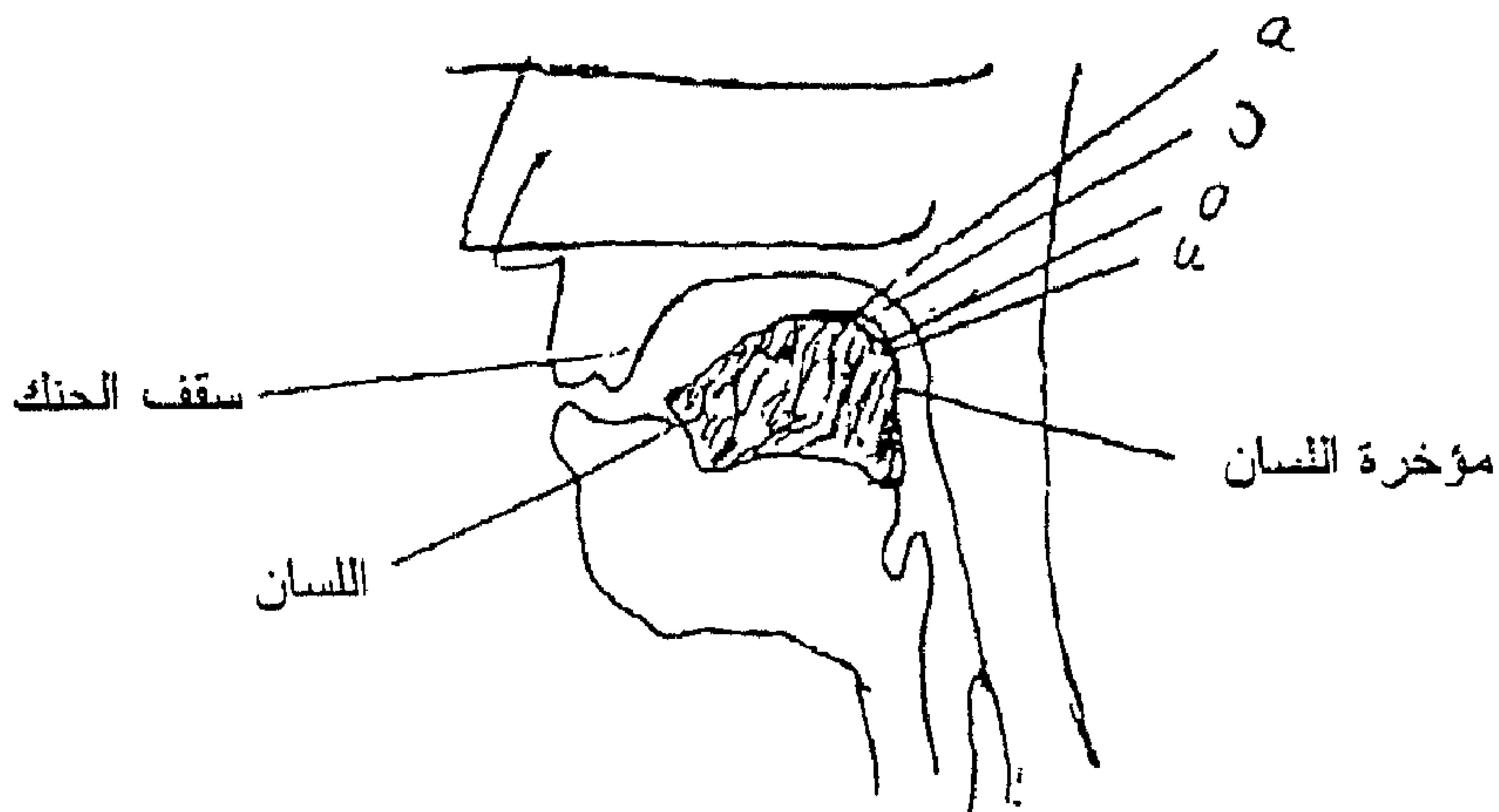
(1) See, J, Lyons: Language and linguntstics, p, 78, 1999.
See: A, Radford: linguistics, In Introduction, pp. 30-45. وكذا
حيث يقدم تقسيماً للحركات في الإنجليزية على مربع الحركات المعياريـة، مـن خـلال الأساسـين السابقين.

See: Introduction to modern linguistics pp. 86-90.
حيث قسم الحركات بالنسبة لشكل الشفتين من جهة ووضع اللسان من جهة أخرى إلى: ١-حركات ضيقة/ متسعة (مرتفعة- منخفضة). ٢-حركات أمامية/ خلفية. ٣-حركات مدورة. غيـر مـدورة (مضمومة- غير مضمومة) وذكر توزيع الحركات الإنجليزية على مربع الحركات المعياريـة حيـث ذكر الحركات الأنفية في الإنجليزية، كما ذكر الحركات المركبة والحركات المثلثة فـي الإنجليزيـة. وقدم لها وصفاً فوناتيكياً ٩١-٩٢

وضع اللسان بالنسبة لسقف الحنك عند النطق بالحركات الأمامية



وضع اللسان بالنسبة لسقف الحنك عند النطق بالحركات الخلفية.



ثانياً : بالنسبة إلى وضع الشفتين :

فينتج عن هذا الأساس ثلاثة أوضاع للشفتين وهي:

١) **وضع الانفراج.**

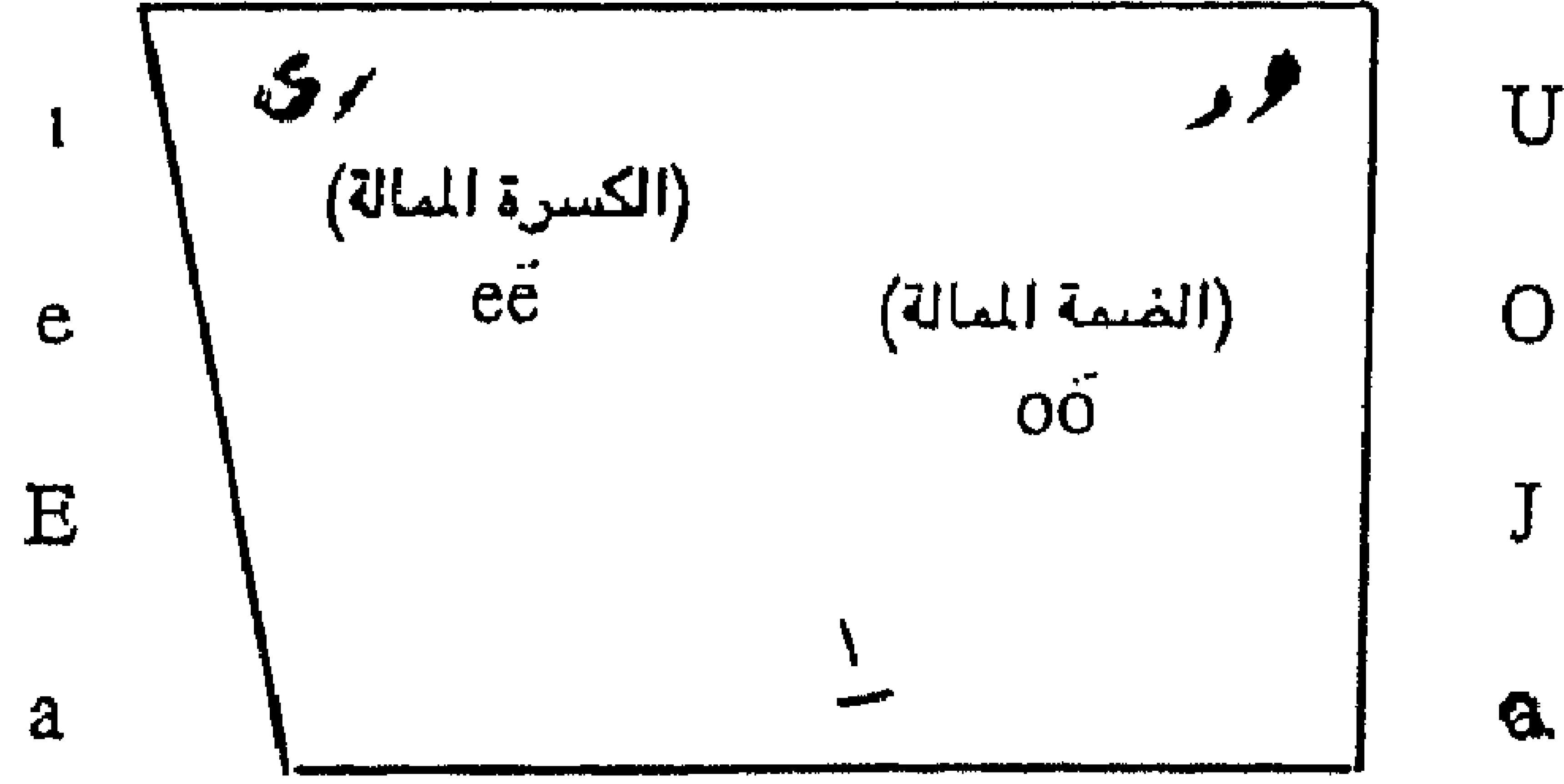
٢) **وضع الانضمام.**

٣) **وضع المحايد.**

الحركات العربية وتوزيعها على مربع دانيال جونز [١].

---

(1) Linguistics, In Introduction, p. 45.



١-الكسرة العربية (طويلة أو قصيرة)

وهي أقرب ما تكون إلى الحركة المعيارية الأولى (i) لكن مقدمة اللسان تكون أقل ارتفاعاً نحو الغار (الحنك الصلب) من الحركة المعيارية الأولى، وأعلى نقطة في هذا الجزء من اللسان تكون نحو الخلف قليلاً من الحركة الأولى، وبذلك تكون الكسرة (طويلة أو قصيرة) أمامية.

٢-الضمة العربية (طويلة أو قصيرة) :

وهي أقرب ما تكون إلى الحركة المعيارية الثامنة (u) غير أن الجزء الخلفي من اللسان، يكون أقل ارتفاعاً نحو الحنك الرخو (الطبق) من الحركة المعيارية الثامنة، وأعلى نقطة في هذا الجزء من اللسان تكون أمام أعلى نقطة للحركة الثامنة، وبذلك تكون الضمة (طويلة أو قصيرة) حركة خلفية.

٣-الفتحة العربية : (طويلة أو قصيرة) :

وهي أقرب ما تكون من الحركتين الرابعة والخامسة (a,a) أو هي بينهما من حيث جزء اللسان، فأعلى نقطة عند النطق هي وسط اللسان، من استوائه في قاع الفم وارتفاع طفيف في وسطه، فهي أذن حركة متسعة.

ثمة مجموعة أخرى من الحركات العربية، ولكنها ليست أساسية، فهي لا تعد من قبيل الفونيمات الأساسية، وإنما من قبيل الفونيمات الثانوية أو التنوعات والتغيرات التي تطرأ على النوع الأول. وهذه المجموعة من الحركات العربية هي الحركات الممالة، وتضم اللغة العربية الفصحى منها ما يلي:

١-الكسرة الممالة: (طويلة أو قصيرة):

ويرمز لها بالرمز (e-e) وهي تقع بين موضع الفتحة والكسرة بالنسبة لموضع اللسان، أي بين وضعه مستوياً في قاع الفم، ووضعه مرتفعاً من مقدمته نحو وسط الحنك، تحدث أوضاع كثيرة، تحدث بسببها أنواع متعددة من الحركات، أبرزها في أذهاننا الكسرة الممالة (e-e).

٢-الضمة الممالة: "طويلة أو قصيرة):

ويرمز لها الرمز (o-o) وهي تقع بين موضع الفتحة والضمة بالنسبة لوضع اللسان أي بين وضعه مستوياً في قاع الفم، وبين وضعه مرتفعاً من مؤخرته، نحو سقف الحنك أوضاع كثيرة تحدث عنها حركات متعددة، أبرزها في أذهاننا صوت الضمة الممالة (o,o)[١].

وبعد فالتمعن في آراء العلماء العرب ووجهات نظرهم حول أهمية الحركات ودورها، نجد أنهم قد تحدثوا عن كيفية حدوثها، وأن الهواء في أثناء النطق بها يكون حراً طليقاً، على نحو ما ذكر الخليل عن الواو والألف والياء (باستثناء الهمزة) بأنها هوائية، لأنها لا يتعلق بها شيء"[٢]. أما ابن جني فإنه يقول: "فإن اتسع مخرج الحرف حتى لا ينقطع الصوت (أي الهواء) عند امتداده واستطالته، استمر الصوت حتى ينفد.. والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: الألف ثم الياء ثم الواو"[٣]. وهو يمثل لذلك بوسيلة توضيحية بقوله: "وقد شبه بعضهم الحلق والفم بالناي، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملس ساذجاً، كما يجري الصوت في الألف غفلاً بغير صنعة.. ونظير ذلك أيضاً وتر العود.. إلا أن الصوت الذي يؤديه الوتر غفلاً غير محصور، تجده بالإضافة إلى ما أداه وهو مضغوط محصوراً أملس مهتزاً.. وجريان

---

(١) انظر: المدخل إلى علم اللغة ٩٣

(٢) العين ٦٤/١

(٣) سر صناعة الإعراب ٧/١-٨

الصوت فيه غفلا غير محصور كجريان الصوت في الألف الساكنة[1].

أما تقسيم الحركات من حيث كونها أمامية أو خلفية، ضيقة أو متسعة، على نحو ما ورد في الدرس الصوتي الحديث، فإن العلماء العرب، لم يشيروا إلى هذا الجانب، الذي يتطلب قياسات وأجهزة وآلات متطورة.. ولكننا لا نعدم من العلماء العرب من تنبه إلى شيء من هذا، فهذا هو ابن درستويه يقول: "كل ما كان ماضيه من الأفعال الثلاثية على: فعلت: بفتح العين، ولم يكن ثانية ولا ثالثة من حروف اللين، ولا حروف الحلق، فإنه يجوز في مستقبله، يفعُل، بضم العين، ويفعِل، بكسرها. كقولنا، ضرب: يضرِب وشكر: يشكُر، وليس أحدهما أولى به من الآخر، ولا فيه عند العرب إلا الاستحسان والاستخفاف، فما جاء، وقد استعمل فيه الوجهان، قولهم: ينفُر وينفِر، ويشتُم ويشتِم، فهذا يدلكم على جواز الوجهين فيه، وأنهما شيء واحد، لأن الضمة أخت الكسرة"[2].

وفي ذلك يقول أبو زيد: "طفت بين علياقيس وتميم مدة طويلة، أسأل عن هذا الباب، صغيرهم وكبيرهم، لأعرف ما كان منه بالضم أولى، وما كان منه بالكسر أولى، فلم أعرف لذلك قياساً، وإنما يتكلم به كل امرئ منهم على ما يستحسن"[3].

أما ابن جني فينص صراحة على علاقة القربى بين ياء المدوواوه، فيقول: إن بين الياء والواو قرباً ونسباً، ليس بينها وبين الألف، ألا تراها تثبت في الوقف في المكان الذي تحذفان فيه، وذلك قولك: هذا زيد، ومررت بزيد، ثم تقول: ضربت زيداً، وتراهما تجتمعان في القصيدة الواحدة ردفين، في نحو قول امرئ القيس:

قد أشهد الغارة الشعواء تحملني   جرداء معروقة اللحين سرحوبُ

ثم قال فيها:

---

(1) سر صناعة الإعراب ١/٧-٨

(2) تصحيح الفصيح ١٠٥ والمزهر ١/٢٠٧

(3) تصحيح الفصيح ١١٠ وانظر: المزهر ١/٢٠٧

كالدلو بنت عراها وهي مثقلة وخانها وذم منها وتكريب[1]

أما من حيث طول الحركات وقصرها، وأن الفرق بينها، فرق في الكمية، وطول فترة النطق في الطويلة، وقصره في القصيرة، فإن بعض العلماء العرب، فطن إلى العلاقة بين الحركات الطويلة والقصيرة، فها هو الخوارزمي يقول: "الرفع عند أصحاب المنطق من اليونانيين واو ناقصة، وكذلك الضم وأخواته، والكسر وأخواته عندهم ياء ناقصة، والفتح وأخواته عندهم ألف ناقصة، وإن شئت قلت: الواو الممدودة اللينة، ضمة مشبعة، والياء الممدودة اللينة كسرة مشبعة، والألف الممدودة، فتحة مشبعة، وعلى هذا القياس الروم والإشمام، نسبتهما إلى هذه الحركات، كنسبة الحركات إلى حروف المد واللين، أعنى الألف والواو والياء"[2].

وهذا يتفق مع معطيات الدرس الصوتي الحديث، يقول كانتينو، "يطلق اسم حركة طويلة على الحركات التي يمتد فيها إخراج النفس امتداداً يصير معه مدى النطق مساوياً لمدى النطق بحركتين بسيطتين، وقد يتعدى ذلك"[3].

غير أن العلماء العرب، قد درسوا الحركات القصيرة دراسة ثانوية، كما أسلفنا "فهم قد أطلقوا اسم حرف على كل صوت بسيط من الكلام، سواء أكان حرفاً (صامتاً) Consonant بالمعنى الحقيقي للكلمة اليوم: أم حركة طويلة (Nowel) كحروف المد واللين، ويمكن في نظام العربية أن نغفل الحركات القصيرة، وإذا ما أثبت كان ذلك بعلامات صغيرة مساعدة، تكتب فوق الحروف أو تحتها، وتدعى حركات، وهي جمع حركة، فلفظ حركة لا يقابل لفظ حرف، بل لفظ سكون، أي انعدام الحركة وهكذا.. فإنه يمكننا القول، بأن نظام الكتابة العربية هذا، قد طمس بعض الشيء عند النحاة العرب، معالم المقابلة الأساسية بين الحروف والحركات طمساً جعلهم لا

---

(1) سر صناعة الإعراب ٢٣/١، وانظر ديوان امرئ القيس ٢٢٥-٢٢٧

(2) مفاتيح العلوم ٣١

(3) دروس في علم أصوات العربية ١٤٥

يعيرون هذه المقابلة الأهمية الرئيسية التي لها في الواقع"[1].

ويقول أيضاً "إنهم يطلقون الحركة، ويقصدون حركة الحرف، ويدل هذا اللفظ دلالة واضحة على أنهم كانوا يعتبرون الحركة القصيرة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحرف السابق لها، فالحركة القصيرة هي إذن عندهم مجرد ذيل للحرف، وقد أضفى هذا الاعتبار شيئاً من الغموض على نظريتهم الصوتية[2].

ويعلق كانتينو على نظام الحركات القصيرة في العربية بقوله: "وعلى الرغم مما في هذا النظام من وضوح وسهولة، فقد قل استعماله فيما عدا القرآن الكريم، اللهم إلا إذا أرادوا ضبط كلمة من الكلمات، فبقيت الكتابة العربية، كأنها ضرب من الاختزال، يجب فهمه أولا: كي يتسنى قراءته"[3].

تناول العلماء العرب الحديث عن حركات لهجية أخرى، وهي، الإمالة بنوعيها، كالإمالة بالفتحة نحو الكسرة، كما في: رحمه، حين الوقوف عليها، أو الإمالة بالألف نحو الياء، كما فر ربا.. ولا فرق بين النوعين في الكمية.

كما تحدثوا عن تفخيم ألف المد، كما في الصلاة، بأن تمال نحو الضم، لذلك كتبوها واواً بعدها ألف هكذا، الصلواة. وتحدثوا عن الإشمام، وهو أن تمال ياء نحو الضم، كما في بناء الفعل الأجوف للمجهول، نحو، قيل- بيع.

وتحدثوا عن الإمالة الشديدة، التي تصبح الفتحة بها أقرب إلى الكسرة، وعن الإمالة الخفيفة، وهي نوع من الفتحة ممالة إلى الكسرة، ولكنها في إمالتها أقرب إلى أصلها، وهو الفتح منها إلى الكسر[4].

كما حدد العلماء العرب المواقع التي تمال فيها الألف نحو الياء، بان تكون الألف متلوة بحرف مكسور في مثل: عالم- عابد... الخ وأن يكون المقطع الموالي لها

---

(1) دروس في علم أصوات العربية ٣٠

(2) دروس في علم أصوات العربية ١٤٨

(3) دروس في علم أصوات العربية ١٧٣

(4) الأصوات اللغوية ٣٩-٤٠، وسر صناعة الإعراب ١/٥٢-٥٤

مكسوراً، نحو، عماد – سربال.. الخ أو إذا كان في أصل الفتحة ياء، كالإمالة في الأفعال الناقصة اليائية أو الأسماء المقصورة، في مثل، بكى – رمى – مشى – حبلى – معزى وكذلك في ماضي الأجوف اليائي، مثل: باد– غاب .. الخ.

ولكن قواعد الإمالة التي ذكرها العلماء العرب لا تطرد في الأمثلة الأخرى، التي وردت ممالة في اللغة، كالإمالة في: غزا– صفا– دعا، وهي أفعال واوية، حيث لجأوا في تبرير إمالتها إلى صيغة المبني للمجهول في: غُزِى– دُعِي، أو إلى صيغة المزيد، مثل، أغزى، كما اضطروا في تفسير إمالة: مات، وأصله، موت بالواو باللجوء إلى صيغة المتكلم في الماضي، مِتُ، وغير ذلك من الأمثلة التي لم تطرد مع قواعد الإمالة[1].

كما وضع العلماء العرب موانع للإمالة، تتمثل في مجاورة الألف للحروف السبعة المستعلية وكذا: اللام والراء المفخمتين، فقد ذكر سيبويه وجوب عدم إمالة مثل، قاعد– غائب– طائف– ضامن– ظالم"[2].

غير أن سيبويه يذكر– أيضاً– أنه يجب قراءة: خاف، بالإمالة، على الرغم من وجود الخاء، وذلك لأن في صيغة: خِفت، كسرة، وكذلك: طاب لأن في: طِبت الكسرة، وسار، للكسرة في: سِرت.

---

[1] انظر: الكتاب ٢/٣٨٥

[2] انظر: الكتاب ٢/٢٨١

الدراسات الصوتية عند العلماء العرب

ب - الدراسة الفونولوجية للأصوات

الدراسة الفونولوجية للأصوات

أولاً: عند العلماء العرب:

من المعلوم أن مستوى الدرس الصوتي عند العلماء العرب جاء متأخراً عن بقية المستويات اللغوية الأخرى؛ المستوى الصرفي والمستوى التركيبي، وأنه في ضوء المنهج الوصفي البنيوي، يجب أن تتقدم الدراسة الصوتية، لتكون ممهدة وموطئة للمستويات الأعلى، الأبنية والتراكيب، لكن الأمر يختلف عند مناهج لغوية أخرى حديثة، كالمنهج التوليدي التحويلي، الذي يتخذ من المستوى التركيبي المستوى الأساسي الذي ينطلق منه التحليل اللغوي، ويأتي المستوى الصوتي والصرفي والدلالي تالية عليه باعتبارها مستويات تفسيرية فحسب[1] والحق فإن سيبويه، قد جاء كتابه، الكتاب متسلطاً في المقام الأول على الجانب النحوي، فيما يطلق عليه، التركيب الأساسي في اللغة، وجاءت الدراسة الصوتية عنده في باب سماه، الإدغام، خصصه في أحوال إدغام الصيغ العربية، وما يجوز فيها الإدغام وما لا يجوز، جعل بدايته تقديماً بدراسة الأصوات العربية دراسة وصفية محضة (فوناتيكية) ألقى الضوء فيها على المخارج والصفات بأنواعها، على النحو الذي أسلفناه في هذا البحث. ثم نجده وهو يتبعه بدراسة أحوال الإدغام وما يحدث للصيغ العربية وأبنيتها من تغييرات، تحت هذا العنوان، الإدغام. ويعد هذا من وجهة نظرنا عرض طبيعي في تتابعه وتسلسله.

الدراسة الفونيمية:

من الواضح أن العلماء العرب، لم يكونوا يفرقون بين الحروف والأصوات والتنوعات الصوتية، كما هو الحال في الدراسات الصوتية الحديثة، فقد كان مصطلح حرف عندهم يشتمل على مفهوم: الوحدة الصوتية Phoneme، ومفهوم التنوع الصوتي، الألوفون allophon، ومصطلح: الصوت Sound، لقد جعل سيبويه

---

[1] انظر: تفصيلات ذلك في كتاب: مظاهر النظرية النحوية ٣٩

التنوعات الصوتية للفونيم الواحد، جعلها فونيما، فيما سماه: الحرف، وجعلها أوصافاً تعرو الأصوات، وهي ما سماها: الإدغام والإقلاب والإخفاء ونحوها[1].

لقد اتجه سيبويه وأصحابه عند النظر في استنباط الحروف من الأصوات اتجاهاً عكس ما يراه المحدثون، فالدراسات الصوتية الحديثة، تبدأ بالأصوات، وتنتهي بالحروف، حيث ينظم الباحث ما لديه من أصوات، جرت ملاحظتها ووصفها، فيبوبها إلى مجموعات، يسمى كل مجموعة منها حرفاً، وذلك كأن يجمع الأصوات المختلفة الدالة على النون، مع اختلاف المخارج بين هذه الأصوات، فيجعلها تحت عنوان واحد هو: حرف النون[2].

ولكن سيبويه وأصحابه حين قصدوا لتحليل الأصوات، كان بين أيديهم نظام كامل للحروف، ومشهور للغة العربية، وكانت الحروف التي يشتمل عليها هذا النظام قد جرى تطويعها للكتابة، منذ زمن طويل، فكان لكل حرف منها رمز كتابي، يدل على الحرف في عمومه، دون النظر إلى ما يندرج تحته من أصوات، فارتضى سيبويه وأصحابه هذا النظام الصوتي المشهور، واتخذوه نقطة ابتداء في دراساتهم للأصوات العربية، ومن هنا رأينا الأصوات العربية، التي تحت كل حرف من هذا النظام، لا تعدو أن تكون صفة لهذا الحرف، كأن تكون إدغاماً له أو إقلاباً أو إخفاء أو إمالة وهكذا جاء منهج سيبويه في دراسة الأصوات من حيث اتجاه الحركة عكس المنهج الحديث[3].

وفي هذا الإطار الذي قام به سيبويه، فإنه يجمع لنا الحروف العربية في تسعة وعشرين حرفاً[4] يتبعها بمجموعات من الحروف العربية، التي تستحسن في قراءة القرآن الكريم والشعر ونحوه، يجملها في ستة حروف، فيصل بذلك مجموع الحروف

---

[1] اللغة العربية معناها ومبناها ٥٧

[2] اللغة العربية معناها ومبناها ٥٠-٥١

[3] اللغة العربية معناها ومبناها ٥١

[4] انظر: الكتاب ٢/٤٠٤

العربية إلى خمسة وثلاثين حرفاً. وهذه الحروف المستحسنة ما هي إلا متنوعات صوتية، وليست وحدة صوتية في نظام اللغة، وهذه الحروف الستة هي: النون الخفيفة- الهمزة التي بين بين- الألف التي تمال إمالة شديدة -الشين التي كالجيم- الصاد التي تكون كالزاي- وألف التفخيم (على لغة أهل الحجاز في قولهم: الصلاة والزكاة والحياة)[1]. ثم يضيف إليها ثمانية حروف غير مستحسنة، ولا كثيرة في لغة من ترتضي عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن الكريم ولا في الشعر، وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف- والجيم التي (كالقاف) والجيم التي كالشين- والصاد الضعيفة- والصاد التي كالسين- والطاء التي كالتاء- والطاء التي كالثاء- والباء التي كالفاء[2].

وبذلك يكون إجمالي حروف العربية اثنين وأربعين حرفاً.

الدراسة الفونيمية في الدرس الصوتي الحديث:

ترجع أصول نظرية الفونيم إلى الماضي البعيد، عندما اهتدى الإنسان إلى النظام الكتابي الألفبائي؛ الذي لا يرمز إلى الكلمة ككل، أو للمقطع ككل، وإنما للأصوات التي تشكل الكلمة[3]. كما هو الحال في أنظمة الكتابة في اللغات السنسكريتية والإغريقية.

لقد استقر مصطلح فونيم Phoneme في الدراسات اللغوية الحديثة، وتعددت آراء العلماء وتنوعت حول مفهوم هذا المصطلح، باختلاف الاتجاهات اللغوية الحديثة وتنوعها. وليس من وكدنا في هذا البحث أن نفصل الحديث حول هذه الآراء والاتجاهات، وإنما تتوجه همتنا نحو التعريف الذي وضعه دانيال جونز D, Jones، الذي يرى بأن الفونيم عبارة عن "عائلة من الأصوات في لغة معينة، متشابهة الخصائص، مستعملة بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أن يقع في كلمة في نفس

---

(1) الكتاب ٢/٤٠٤ وسر صناعة الإعراب ١/٤٦

(2) الكتاب ٤/٤٠٤ وسر صناعة الإعراب ١/٤٦

(3) See: Introduction to modern linguistics, p. ١٠٥

السياق الصوتي، الذي يقع فيه الآخر"[1].

أما سبب تسمية أحد أفراد العائلة رئيسياً، فيرجع إلى:

١) كثرة ورود هذا العضو في الاستعمال اللغوي، بصورة تفوق بقية الأعضاء.

٢) كونه العضو الذي يستعمل وحده منعزلاً عن السياق الفعلي.

٣) كونه في الموقع المتوسط بين بقية الأعضاء[2].

ويذكر ماريو باي M, Pei قابلية الفونيم للتحليل والتجزئة إلى وحدات ألوفونية، حيث تشكل هذه التنوعات الصوتية المتشابهة وحدة الفونيم، وعليها يتوقف استعمال كل منها أساساً على موقعه في الكلمة، وعلى الأصوات المجاورة[3].

ومن المعلوم أن فونيمات اللغة العربية مستقلة، لا تتداخل بحيث تحمل في النطق صورة صوتية لا تختلف عنه في الصورة الخطية، وهذا الأمر مختلف عنه في اللغة الإنجليزية على سبيل المثال، في الفونيم: k له صور متعددة في الرسم الكتابي على النحو الآتي:

chold	ch	k – kite, k	K
quite	q	C – cate, k	K

وكل هذه الصور تنطق بصورة فونيم الـk، في حين أن العربية تفرق بين قال-كال:

وكذلك الحال في الفونيم:، F فهو في الرسم الكتابي في الإنجليزية:

F	F- fellow.,	F	Ph – philosophy.
F	gh – rough.,	F	FF – Off

أما في اللغة العربية، فإن فونيم ألف، وبقية الفونيمات لها صورة واحدة في

---

(1) D, Jones: The Phoneme, Its Nature and Use , p. 10, 1962.

وكذا: دروس في علم أصوات العربية ٧٩

(2) D, Jones: The Phoneme.., p, 212

(٣) أسس علم اللغة ٨٨

النطق وإن حدث بعض الإخفاق في التمثيل الخطي(1).

ولسنا هنا بصدد تفصيل حول احوال الفونيمات في الإنجليزية، وخلل الترابط بين المنطوق والمكتوب، وقد عبر عنها فندرس، بأنه مما تعاني منه اللغة الفرنسية وكذا الإنجليزية على مر أزمنتها، للدرجة التي يراها الدارسون كارثة في محتواها الوطني.

ويرى بعض علمائنا العرب بأنه يمكن أن يطلق على مصطلح، فونيم، اسم: حرف مقصوداً به الرمز الكتابي، ويكون الفرق حينئذ بين الصوت والحرف، أن الصوت هو الذي نسمعه ونحسه، أي هو الذي يرتبط بالناحية الفسيولوجية والفيزيقية، أما الحرف، فهو ذلك الرمز الكتابي، الذي يتخذ وسيلة منظورة للتعبير عن صوت معين، أو مجموعة من الأصوات لا يؤدي تبادلها في الكلمة إلى اختلاف المعنى(2).

ويفرق د/ تمام حسان بين الصوت والحرف بقوله: "هو فرق بين العمل والنظر، أو بين المثال والباب، أو بين المفردات والقسم الذي يقع فيه. فالصوت عملية نطقية، تدخل في تجارب الحواس وتسمعه الأذن، وترى العين بعض حركات الجهاز النطقي حين أدائه أما الحرف فهو عنوان مجموعة من الأصوات، يجمعها نسب معين، فهو فكرة عقلية لا عضلية، وإذا كان الصوت مما يوجده المتكلم، فإن الحرف مما يوجده الباحث"(3).

وتتميز اللغة العربية في تقابل أصواتها بأن المقابلات بين الأصوات المهموسة والمجهورة، تؤدي إلى فونيمات مختلفة، أو حروف مختلفة، لأن معنى الكلمة يتغير إحداها محل الأخرى منها، مثل: سار، زار، بعكس اللغات الألمانية، فإن الفونيم أو

---

(1) اللغة الفندريس ٤٠٥ وكذا.

See Lyones: Language and linguistics, p. 93

وكذا Introduction to modern, Linguistics 109-112

(2) المدخل إلى علم اللغة ٨٣-٨٤

(3) انظر: اللغة بين الوصفية والمعيارية ١٣٠

الحرف: S، فيما ينطق زاياً، قبل الحركة، مثل: Sehen بمعنى يرى، وسينا بعد الحركة، مثل: bis بمعنى: إلى. فصوت الزاي موجود في الألمانية غير أنه ليس فونيما مستقلاً، وإنما هو فرع من فونيم آخر(1).

كما أن اللغة العربية تقابل بين السين والصاد، في الترقيق والتفخيم، فكل صوت منهما فونيم، ومع أن صوت الصاد، يوجد في اللغة الإنجليزية في مثل: Sun= شمس، فإنه لا يعد فونيما من فونيمات اللغة الإنجليزية، لأنه لا يستخدم للتفريق بين المعاني، كما هو الحال في العربية، التي تؤدي السين فيها في فعل: سار، معنى مختلفاً عن: صار، فالسين في اللغة العربية فونيم، والصاد أيضاً فونيم، في حين أن صوت الصاد، المسموع في: Sun، ليس فونيما في الإنجليزية، وإنما هو تنوع لصوت الـ S فيها(2).

ثمة معايير كثيرة ذكرها العلماء للتفريق بين ما يطلق عليه مصطلح، الفونيم وما يكون من التنوعات الصوتية (الألوفونات) فهناك معيار التقارب الصوتي والتنوع السياقي والتوزيع التكاملي والاختبار التبادلي واختبار التمييز بين الكلمات والاختبار الدلالي وقابلية الإسقاط(3).

أنواع الفونيمات: يقسم العلماء الفونيمات إلى قسمين:

أولاً: لفونيمات التركيبية: ونعني بها تلك الوحدات الصوتية، التي تكون جزءاً من أبسط صيغة لغوية ذات معنى، منعزلة عن السياق أو قل، الفونيم الرئيسي هو ذلك العضو الذي يكون جزءاً أساسياً من الكلمة المفردة، كالباء والتاء.

ثانياً: الفونيمات فوق التركيب: وهى ظاهرة أو صفة صوتية ذات مغزي في الكلام المتصل، وهو بعكس الفونيم التركيبي، لا يكون جزءاً من تركيب الكلمة، وإنما

(1) المدخل إلى علم اللغة ٨٧

(2) انظر: دراسة الصوت اللغوي ١٧١-١٨٥

(3) انظر: دراسة الصوت اللغوي ١٧١-١٨٥

يظهر ويلاحظ فقط حين تضم إلى أخرى، أو حين تستعمل الكلمة الواحدة بصورة خاصة.

وتمثل الأبجديات المكتوبة النوع الأول، في حين تمثل المقاطع الصوتية والنبر والتنغيم والمفصل النوع الثاني[1].

الفونيمات التركيبية في اللغة العربية:

تشتمل اللغة العربية الفصحى على ثمانية وعشرين فونيما صامتاً، وستة فونيمات حركات. ونلاحظ على التنظيم الفونيمي في اللغة العربية ما يلي:

- وصف فونيمات الصوائت القصيرة بأنها فونيمات متساقطة، أي قابلة للحذف في أثناء الكلام، وهذا لا يتحقق في العربية الفصحى إلا من باب التسهيل.
- حمل بعض الفونيمات في العربية تصورات دلالية، تعكس دلالات العدد والجنس أكسبها صفة المورفيمية الصرفية.
- اعتمدت اللغة العربية على عنصر (الشكل) لتمثيل الفونيمات الصائتة القصيرة، فجعلها العلماء العرب توابع للأصوات الصامتة، وليست مستقلة بذاتها، بمعنى أنهم نظروا إليها من باب الوظيفة التباينية، وليست التمييزية[2].

ثانياً: الفونيمات فوق التركيبية في اللغة العربية[3]:

يتناول القسم الثاني من هذا الكتاب دراسات وتحليلات تفصيلية عن الفونيمات التطريزية في العربية، وذلك بالتركيز على القيم اللغوية لهذه الفونيمات التطريزية، ودورها في إحداث التغييرات المختلفة سواء على مستوى الكلمة المفردة أو على مستوى الجملة.

أولاً: النبر: عند العلماء العرب:

يدل مصطلح النبر عند العلماء العرب على الهمز، أي تحقيق نطق همزة القطع،

---

(1) انظر: علم اللغة العام ١٦١ وما بعدها.

(2) انظر: الأصوات اللغوية د/ عبد القادر ١٠٧ وما بعدها.

(3) يتناول القسم الثاني من هذا الكتاب دراسات وتحليلات تفصيلية عن الفونيمات التطريزية في العربية، وذلك بالتركيز على القيم اللغوية لهذه الفونيمات التطريزية، ودورها في إحداث التغييرات المختلفة سواء على مستوى الكلمة المفردة أو على مستوى الجملة.

في مقابل تسهيلها أو تحقيقها عند الحجازيين. ويشير ابن سينا إلى الأساس العضوي في نطق الهمزة بقوله: "فإنها تحدث من حفز قوي من الحجاب الحاجز، وعضل الصدر، لهواء كثير"[1] وقد جاء عن أبي زيد الأنصاري أنه قال أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون، وقف عليها عيسى بن عمر، فقال: ما أخذت من قول تميم إلا بالنبر، وهم أصحاب نبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا[2]: ويذكر أحد الباحثين أن العربية قد عرفت النبر، وعبرّت عنه بمسمياتها المختلفة كالهمز والعلو والرفع ومطل الحركات والارتكاز والإشباع والمد والتوتر والتضعيف، وكلها تفضي إلى مستوى دلالي واحد بوظائف تباينية تبعاً للسياق، وبرمز القيم الاستدلالية في النص اللغوي[3].

أما مطل الحركات، فقد ذكرها ابن جني بقوله: "حكى الفراء عنهم، أكلت لحما شاة، فأراد: لحم شاة، فمطل الفتحة، فأنشأ عنها ألفاً[4]. وقال أيضاً: "الحركات عند التذكر يمطلن، وذلك كقولهم عند التذكر مع الفتحة في: قمتَ، قمتا، ومع الكسرة: أنتى أي: أنتِ، ومع الضمة: قمتو في: قمتُ[5]. فالمطل عند ابن جني هو زيادة قوة الارتكاز بالإشباع أو التضعيف، وذلك يكون بزيادة الضغط على مقطع من المقاطع لإبرازه في السمع. ومن ذلك ما ورد عن سيبويه في نقله: مقروء: مقروّ، حيث تحول التوتر من همزى إلى توتر تضعيف[6]. وهذا ما يطلق عليه: النبر القصدي أو الغرضي Aimed Stress

وفي حين ينكر برجشتراسر وجود النبر في اللغة العربية بقوله: "لا نصّ نستند

---

(1) رسالة أسباب حدوث الحروف ١٦

(2) اللسان (نبر) ٧/٤٠

(3) انظر: الأصوات اللغوية، د/ عبد القادر ٣٢٩ وما بعدها.

(4) الخصائص ٣/١٢٣

(5) الخصائص ٣/١٢٩.

(6) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ١٥١.

عليه في إجابة مسألة، كيف كان حاله العربية الفصيحة في هذا الشأن، ومما يتضح من اللغة نفسها، ومن وزنها وشعرها، أن الضغط لم يوجد فيها، أو لم يكد يوجد، وذلك أن اللغة الضاغطة كثيراً ما يحدث فيها حذف الحركات غير المضغوطة وتقصيرها وتضعيفها، ونبر الحركات المضغوطة[١] فإننا نجد كارل بروكلمان يؤكد وجود النبر في العربية القديمة، الذي تبدأ رحلته من مؤخرة الوحدة الدلالية إلى مقدمتها، هو ما تغلب عليه الموسيقية، ويعتمد كمية المقاطع[٢].

ومن الواضح أن "من طبيعة العربية الفصحى أن تقصير الحركات الطويلة في المقطع المفتوح، إذا كان يسبق مقطعاً آخر منبوراً ذا حركة طويلة، فأصل مصدر: فاعل، في العربية القديمة هو: فيعال، بنبر المقطع الثاني، وقد ترتب على خلو المقطع الأول من النبر. أن قصرت حركته، صار المصدر، فِعال، مثل: قاتل قتالاً، بدلاً من. قاتل قيتالاً[٣].

وقد ذكر ذلك المبرد بقوله: "ويجئ في: فاعل، الفِعال، نحو: قاتلته قتالاً، وراميته رماءً، وكان الأصل: فيعالاً، لأن فاعلت، على وزن أفعلت وفعللت، فكان المصدر كالزلزال، والإكرام، ولكن الياء محذوفة من فيعال استخفافاً، وإن جاء بها جاء فمصيب[٤].

ومن هذه الأمثلة التي يؤثر فيها النبر بإطالة الحركات القصيرة، فتحول إلى طويلة، بسبب النبر الطارئ على المقطع الصوتي، ما ذكره ابن حزم الأندلسي في تطويل الكسرة إلى ياء طويلة في مثل: عينب في عنب. [٥] وما ذكره ابن هشام اللخمي في مثل: عامود في عمود، وباعوضه في بعوضة. وسر في داعة الله بديل:

---

(١) التطور النحوي ٧٢-٧٣

(٢) فقه اللغات السامية ٤٥

(٣) التطور النحوي ١٣٨

(٤) المقتضب ٢/١٠٠

(٥) الأحكام في أصول الأحكام ١/٣٠

دعة الله[1].

ومما ورد بتقصير الحركة ما ذكره ابن مالك عن الكسائي في قوله: "بعض كنانة تقول: معندك؟ مَصنعت؟[2] وذلك يحدث بانتقال النبر عن موضعه إلى موضع آخر من مقاطع الكلمة، لغاية دلالية من المتكلم: كما يحدثنا ابن جني عن تغييرات عضوية نطقية متنوعة من الارتكاز، تقوم بديلاً عن إرادة المتكلم إفادة دلالات لا يحفظها اللفظ في واقعه اللغوى المنطوق. "فالتطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم، ما يقوم مقام قول: طويل أو نحو ذلك، وأنت تحسُّ هذا من نفسك، إذا تأملته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلاً فتزيد في قوة اللفظ، وتمكن في تمطيط اللام، وإطالة الصوت (الهواء)[3].

النبر في الدرس الصوتي الحديث:

يفرق مالمبرج بين نوعين من النبر: نبر التردد، أو النبر الديناميكي أو النبر الزفيري، الذي يتم بمساعدة التوتر المسموع، وهو القوة الزفيرية، وذلك أن تكون أصوات مقطع منبور، إنما تنطق بمزيد من القوة، فتكون أكثر إسماعاً ووضوحاً من الأخرى[4].

أما إذا تم إبراز بعض أجزاء الجملة بمساعدة النغمة، فهو النبر الموسيقي أو نبر التنغيم[5]. وإذا كان الأساس النطقي للنبر يتوقف على القوة الزفيرية وقوة الإسماع، فإن ذلك يوقعنا في التناقض، ففي الكلمة العربية: ihda < إحدى يقع النبر على المقطع الأول: ih <د، وهو يشتمل على صائت ضيق قصير، على حين يقع النبر

---

(1) المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان ٣٧، ٥٣

(2) شواهد التوضيح ٢١٥

(3) الخصائص ٢/٣٧٠-٣٧١

(4) انظر علم الأصوات، مالمبرج ١٨٧

(5) دراسة السمع والكلام ٢٦٩ وما بعدها.

الثانوي على المقطع الثاني، الذي يشتمل على صائت واسع طويل dā[1]

ومن ثم فإن ربطاً بين النبر والأساس الفيزيقي للنطق، يكون أكثر ملائمة طالما أننا نربط بين النبر والعلو النسبي، وأن عامل الشدة intensety، هو المسئول مباشرة عن درجتي النبر، بحيث تكون كمية الشدة في المقطع المنبور أعلى في المقطع غير المنبور والشدة ترتبط باتساع الذبذبة، التي يتوقف عليها أساساً حكم الأذن على الصوت بالعلو أو الانخفاض. ثمة عوامل أخرى ترتبط بإدراك الأذن للنبر ودرجاته، أثبتتها التجارب المعملية، تتمثل في عوامل الطول: length وهو ذو ارتباط بالمدة: duration، والدرجة: Pich، وهى ذات ارتباط بالتردد[2].

ويرى د/ تمام حسان أن النبر عبارة عن "وضوح نسبي لصوت أو مقطع" إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلمة[3]. ويعرفه د/ بشر بقوله: "إن معنى هذا أن المقاطع تتفاوت فيما بينها في النطق قوة وضعفاً، فالصوت أو المقطع المنبور، تنطق ببذل طاقة أكثر نسبياً، ويتطلب من أعضاء النطق مجهوداً أشد، لاحظ الفرق مثلاً بين قوة النطق وضعفه، بين المقطع الأول في: ضرب والمقطعين الأخيرين (ض ر ب) تجد: ض، ينطق بارتكاز أكبر من زميليه في الكلمة نفسها[4].

وكما أسلفنا فإن كارل بروكلمان يقول بأن "في اللغة العربية القديمة، يدخل نوع من النبر، تغلب عليه الموسيقية، ويتوقف على كمية المقطع، فإنه يسير من مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها، حتى يقابل مقطعاً طويلاً، فيقف عنده، فإذا لم يكن في الكلمة

---

(1) دراسة السمع والكلام ٢٧٢.

(2) دراسة السمع والكلام ٢٧٢ وكذا J, Lyones: Language, p. 94.
حيث يستخدم النبر للتفريق بين الاسم والفعل في الكلمة الواحدة في اللغة الإنجليزيه، ويمثل لذلك بالكلمة: import.

(3) مناهج البحث في اللغة ١٦٠.

(4) علم اللغة العام ٢١٠.

مقطع طويل، فإن النبر يقع على المقطع الأول منها[1].

وينقسم النبر إلى ثلاثة أنواع وهي:

١) النبر القوي – الرئيسي: Primary Stress

٢) النبر الثانوي: Secondary Stress

٣) النبر الضعيف: Week Stress

وقد ميز العلماء أنواع النبر السابقة بعلامات وهي. [ا] فوق حركة المقطع المنبور نبراً قوياً، [-] فوق المقطع المبنور نبراً ثانوياً، في حين يترك المقطع المنبور ضعيفاً بلا علامة.

أما الدكتور/ إبراهيم أنيس فإنه يؤكد أن للغة العربية، كما ينطق بها قراء القرآن الكريم قانونًا في النبر، يخضع له، ولا تكاد تشذ عنه[2].

ويقدم هذا القانون بقوله: "ينظر إلى المقطع الأخير، فإن كان من النوعين الرابع والخامس،كان هو موضع النبر، وإلا نظر إلى المقطع قبل الأخير، فإن كان من النوع الثاني، أو الثالث، حكمنا بأنه موضع النبر، وأما إذا كان من النوع الأول نظرنا إلى ما قبله، فإن كان مثله، أي من النوع الأول أيضاً، كان النبر على هذا المقطع الثالث، حين نعد من آخر الكلمة، ولا يكون النبر على المقطع الرابع حين نعد من الآخر، إلا في حالة واحدة، وهي أن تكون المقاطع الثلاثة التي قبل الأخير من النوع الأول[3].

١) لنبر يقع على المقطع الأخير في مثل: نستعينْ هكذا:

ص ح ص + ص ح + ص حَ ح ص = nas + ta + cin

وفي مثل: ذاكرتْ، هكذا ص ح ح + ص ح ص ص = Za + Kart

٢) ويقع على المقطع قبل الأخير في مثل:

---

[1] فقه اللغات السامية د ٤

[2] الأصوات اللغوية ١٧١

[3] الأصوات اللغوية ١٧٢

أ) تعلّمَ: ص ح+ ص حَ' ص+ ص ح ص= ta + cal + lam

ب) يعادي: ص ح+ ص حَ' ح+ ص ح ح= Yu + ca + di

ج) يكتبُ: ص ح ص+ ص ح+ ص ح= Yak + tu , bu

٣) ويقع على المقطع الثالث من الآخر، في مثل:

أ) كتب: ص ح+ ص ح+ ص ح= Ka + ta + ba

ب) اجتمع: ص ح ص+ ص حَ' + ص ح+ ص ح= ig + ta+ ma+ ca

٤) ويقع على المقطع الرابع من الآخر، في مثل:

أ) بلحةٌ: ص حَ'+ ص ح + ص ح+ ص ح ص= ba'+ la+ ha + tun

ب) سمكةٌ: ص حَ' + ص ح+ ص ح+ ص ح ص= sa'+ ma + ka+ ton[(١)].

ويرى د/ تمام حسان أن نظام النبر الصرفي في العربية، يصادف بعض المشكلات في النطق، ويرى أن حل ذلك في إطار حل صوتي، يتمثل في اختلاف البنية المقطعية بين ما تقدمه القاعدة الصرفية، وما يتطلبه سياق الكلام، وهنا فقط يعتبر النبر ظاهرة سياقية.

ومن أمثلة الحلول لمشكلة النبر:

١) الكلمة المبدوءة بالساكن، إذا وقعت في بداية الكلام، توصل المتكلم إلى الساكن بواسطة همزة الوصل، وفي هذه الحالة، تتغير بنية المقطع الأقصر، وهو الحرف الساكن (ص) وتصبح مقطعاً طويلاً مغلقاً (ص ح ص).

٢) تعد الظاهرة الصرفية المتمثلة في ضرورة التخلص من التقاء الساكنين (فيما نسمى بظاهرة الكمية) في الدرس الصوتي الحديث، واحدة من الظواهر السياقية، التي تتطلب تغييراً في قاعدة النظام المقطعي في الوحدة الصرفية، ومن ثم يتغير مواضع النبر فيها.

٣) من متطلبات السياق الاستعمالي الإتيان بهاء السكت والإشباع وألف الندبة

---

(١) انظر: علم الأصوات، مالمبرج ٢٠١-٢٠٩ حيث توزيع آخر بأمثلة أخرى- دراسة.

وإطلاق القافية، وغير ذلك مما يؤثر في تغيير النظام القاعدي للمقطع، يؤثر ذلك كله بدوره في تغيير مواضع النبر على الكلمات، بما يتوافق مع متطلبات السياق.

٤) كما تؤثر الزوائد والملحقات على البنية المقطعية، ومواضع النبر أيضاً، ومن ذلك مثلاً: موقع النبر في الكلمة: ضرب، والكلمة: ضربهما، حيث يقع النبر في الأولى على المقطع الأول، في حين يقع النبر في الثانية، على المقطع الثاني[1].

وإذا كان بروكلمان يرى بأن النبر في اللغة العربية، هو من ذلك النوع الموسيقي الإيقاعي فيهمنا أن نذكر بأن الاعتبار الإيقاعي في النبر السياقي أوضح منه في نبر النظام الصرفي، لأن نبر النظام الصرفي، نبر للكلمة المفردة، والصيغة المفردة من الكلمة ربما قصرت بحيث لا تشتمل إلا على مقطع واحد مبنور، فلا تتسم بسمة الإيقاع.

أما السياق الاستعمالي، فإنه يحرص على إظهار موسيقى اللغة، بحفظ المسافات المتساوية أو المناسبة بين مواقع النبر، مما يعطي للغة موسيقاها الخاصة التي تعرف بها بين اللغات[2].

وتعدُّ اللغة العربية من اللغات التي لا تفرق بالنبر بين الأسماء والأفعال، كما هو الحال في اللغات النبرية، أي أنها لا تعطي النبر معنى وظيفياً في الصيغة، أو في الكلمة، ولكن يمنحها معنى وظيفياً في الكلام، أي في معنى الجمل، ويتضح ذلك إذا قارنا في النطق بين جملتي: اذكر الله- اذكري الله.

فالياء في هذا الموقع تفقد كميتها، فتصبح بمقدار كسرة، ومن هنا تصبح أحوال الأصوات واحدة في الجملتين، وتصبح فرص اللبس سانحة.. فيتدخل النبر ليفرق بين الإسنادين، فيكون النبر في الجملة الأولى، على مقطع: همزة الوصل، وفي الجملة

---

[1] انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٣٠٤ وما بعدها.

[2] اللغة العربية معناها ومبناها ٣٠٧

الثانية على مقطع الكاف، ليدل على طول الياء(1).

ومن أمثلة تأثير النبر السياقي على كمية الحركات في الشعر العربي، أن تصبح الحركة الطويلة حركة قصيرة، أو أن تشبع الحركة القصيرة وتمد، فتصبح حركة طويلة(2).

ومن أمثلة النوع الأول: قول عبد المطلب(3):

عذت بما عاذ به إبراهم أي: إبراهيم!

ومثل قول المحاصر بن المحل(4):

ولا يكاد يبرحُ الداءُ الدفِن، أي: الدفين!

ومن أمثلة النوع الثاني: مثل(5):

وقد سمعنا صوت حاد جلجال، أي جلجل

ومثل قول رؤية(6):

وقد علمنا ذلك علما غير شك، أي شكٍّ

ثانياً: المقاطع:

لم يعرض الدرس الصوتي عند العرب لدراسة المقاطع، ولم يصلنا من هؤلاء العلماء إلا نظام التقطيع الشعري الذي يتألف من تفعيلات، تتكون من الأسباب والأوتاد ونحوها، ومن ثم فإن الدراسة المقطعية لأصوات العربية وصرفها، دراسة صوتية حديثة، نالت اهتمام العلماء وعنايتهم في إطار المناهج الصوتية الحديثة.

---

(1) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٣٠٨

(2) انظر: القافية والأصوات اللغوية ١٥٢ وما بعدها.

(3) اللسان ١٥٦/١٣

(4) الخزانة ٣٢٤/٣

(5) اللسان ١٦٨/٢

(6) ديوانه ٤٣-٤٩

ويذكر مالمبرج أن العلماء قد ذهبوا مذاهب شتى (صوتية- فيزيقية، أو مخرجية أو وظيفية) وعلى الرغم من أن بعض العلماء يشككون في جدوى دراسة المقـاطع وأهميتها في التحليل اللغوي، إلا أن الدراسات التجريبية المعملية، القائمـة علـى التسجيلات الفونوغرافيه لحركة تيار الكلام، أثبت أن عضلات الصدر، تحدث نبضـة منفصلة من الضغط لكل مقطع.

كما يذكر مالمبرج أن نظام الشعر يقوم في أكثر الأحيان على عدد من المقاطع. (كما في الفرنسية) ومن ثم، فإن المقطع يعد وحدة صوتية (فونيماً) يعيها الأفـراد المتكلمون وعياً كاملاً. ويشير -أيضاً- إلى اختلاف الوحدات الصوتية (الفونيمـات) التي تشكل المقاطع في اللغات، فالمجموعة التي تنطق في لغة ما على أنهـا مقطـع واحد، تنطق في لغة أخرى على أنها مقطعان[١].

ويذكر مالمبرج أن يسبرسن Jespersen يرى في الأصوات أنهـا تميـل إلـى التجمع تبعاً لما تتميز به من جهد أو وضوح سمعي، وأن هذه الظاهرة تعـد عـاملاً حاسماً في البنية المقطعية[٢].

أما بولنجر فيرى، Bolnger أن الفونيمات لا حياة لها، إلا داخل المقطع، لأنها لا تنطق من المجموعة البشرية منفصلة وإنمـا فـي شـكل تجمعـات، بصـفاتها وخصائصها، وكيفية انتظامها في مقاطع، تعتمد على طبيعة المقطع وتشـكيلاته[٣]. وفيما يرى ماريوباي أهمية المقطع في اكتساب طريقة النطق المماثلة لأهل اللغـة، فالتجمعات الفونيمية على هيئة مقاطع، تمنح المتكلم فرصة أفضـل فـي التـدريب والمران، إذا اعتمد النطق المقطعي المتدرج البطئ[٤]. كما يؤكد أن سلم التنوعـات الصوتية. يتشكل من أصغر وحدة، وهي الفونيم، ثم المقطع، ثم النبر ثم التنغيم، وكل

---

(١) علم الأصوات ١٥٤-١٥٦.

(٢) انظر: علم الأصوات ١٥٧.

(3) Bolinger: Aspects of language, p. 47.

(٤) انظر: أسس علم اللغة ٩٧.

هذه مؤتلفة، لا يمكن ان تجتزئ أي واحدة منها، أو تسقطه، لما لعملها الوظيفي المترابط حدود كل واحد منها(١).

ويعرف المقطع من خلال اتجاهين: الاتجاه الصوتي- الاتجاه الوظيفي.

الاتجاه الصوتي: يعرفه روبنس Robins، بأنه تتابع من الأصوات في تيار الكلام، له حدٌّ أعلى أو قمة إسماع، تقع بين حدين أدنيين من الإسماع(٢).

أما بايك Pike، فيرى أنه أصغر وحدة في تركيب المفردة(٣). أما ميلوفتسكي: Milewski، فيعرفه بأنه: قطاع من سلسلة التيار الكلامي، يشتمل على صوت مقطعي اعظم يحيطه قطاعان ضعيفان من الناحية الصوتية(٤).

أما كانتينو فيعرفه على أنه: الفترة الفاصلة بين عملتين من عمليات غلق جهاز التصويت، سواء أكان الغلق كاملاً أو جزئياً، هي التي تمثل المقطع(٥).

ويعد الفارابي أحد العلماء العرب الذين تناولوا المقطع، فيقول: "كل حرف وصوت اتبع بمصوت قصير به، فإنه يسمى المقطع القصير، والعرب يسمونه الحرف المتحرك، من قبل أنهم يسمون المصوتات القصيرة حركات، وكل حرف لم يتبع بصوت أصلا، وهو يمكن أن يقرن له، فإنهم يسمونه الحرف الساكن، وكل حرف غير مصوت قُرن به مصوت طويل، فإنا نسميه المقطع الطويل(٦).

الاتجاه الوظيفي: ويعرفه دي سوسير بأنه الوحدة الأساسية التي يظهر بداخلها نشاط الفونيم كما يعرفه أحدهم بأنه وحدة تحتوي على صوت صائت واحد، وواحد فقط، إما وحده أو مع سواكن بأعداد معينة، ونظام معين، ففي الإنجليزية- مثلاً- يمكن أن تقول إن الصائت في المقطع ربما يسبق بصوامت تصل إلى ثلاثة، أو يتبع

(1) Steston: Basses of phonology, p. 25
(2) Robins: General Linguistics, p. 177, 1966
(3) Pike : Phonetics, p. 193, 1947
(4) Milewski: In Introduction To Theory Of Ianguage, p. 148
(٥) دروس في علم الأصوات العربية ١٩١
(٦) الموسيقى الكبير ١٠٧٥

بصوامت تصل إلى أربعة، كما أن الصائت قد يكون منفرداً[١]. كما يذكر بعضهم بأن الحركات تعدُّ هي النواة والجزء المركزي للمقاطع، فالكلمة: pig تشتمل على حركة، وتمثل مقطعاً واحداً، أما الكلمة: better فتشتمل على حركتين، ومن ثمة على مقطعين[٢].

التقسيم المقطعي في اللغة العربية:

يمكن تقسيم المقاطع في اللغة العربية إلى قسمين: قصير وطويل.

المقطع القصير: ما بدأ بصوت صامت وجاءت بعده حركة قصيرة، **مثال ذلك المقاطع الثلاثة في الفعل الماضي: كتب: ka– ta –ba والمقطع القصير بهذا** المعنى لا يكون إلا مفتوحاً، أي أنه يقبل الزيادة عليه، فإذا زاد عليه شيء، فإن طالت الحركة أو أضيف إليه صامت آخر، لم يعد المقطع قصيراً، بل يتحول في هذه الحالة إلى مقطع طويل[٣].

المقطع الطويل المفتوح: هو ما بدأ بصامت، ثم تلته حركة طويلة، مثل كلمة: في Fi في اللغة العربية، وهو في هذه الحالة مفتوح، لأنه يقبل الزيادة عليه.

أما المقطع الطويل المغلق: فهو ما بدأ بصامت، تليه حركة قصيرة، ثم صامت آخر، كما في كلمة: من min، وعن ean، وكذلك ما بدأ بصامت تليه حركة طويلة ثم صامت آخر، مثل كلمة: بابْ، في الوقف: bāb.

وهناك إلى جانب ذلك في اللغة العربية الفصحى، مقاطع زائدة الطول، وهي ما بدأت بصامت تليه حركة قصيرة، بعدها صامتان آخران متتابعان، مثل كلمة: مِصرْ misr وعَصرْ : casr في الوقف.

وبذلك تشتمل اللغة العربية الفصحى على خمسة أنواع من المقاطع الأساسية وهي:

---

(١) انظر: دراسة الصوت اللغوي ٣٤٣

(2) Linguistics, An Introdection, p. 95, 1999

(٣) المدخل إلى علم اللغة ١٠١

١) مقطع قصير مفتوح= ص ح.

٢) مقطع طويل مفتوح= ص ح ح.

٣) مقطع طويل مغلق= ص ح ص.

٤) مقطع طويل مغلق بحركة طويلة= ص ح ح ص.

٥) مقطع زائد الطول= ص ح ص ص.

والأنواع الثلاثة الأولى من المقاطع العربية الشائعة، وهي التي تمثل الكثرة الغالبة من الكلام العربي، أما النوعان الآخران، أي الرابع والخامس، فقليلا الشيوع، ولا يكونان إلا في أواخر الكلمات حين الوقف[١].

ثالثاً: التنغيم: Intonation

ثمة إشارات إلى بعض آثار التنغيم في الكلام للدلالة على المعاني المختلفة، نجدها عند العلماء العرب، من ذلك ما ورد في البيان والتبيين: "والصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً، ولا كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف وحسن البيان باللسان، مع الذي يكون من الإشارة من الدلّ والشكل والتفتل والتثني[٢]:

واستخدام الفارابي مصطلح: النغم ton: "والنغم الأصوات المختلفة في الحدة والثقل التي تتخيل أنها ممتدة"[٣] كما أدرك ابن جني شيئاً من آثار التنغيم في الدلالة على المعاني. "وقد حذفت الصفة، ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب، من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل، وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة. لما دلّ من الحال على موضعها، وذلك أنك تحسُّ في كلام القائل لذلك من

---

(١) انظر: الأصوات اللغوية ١٦٤ وانظر: تفصيلات حول القيم اللغوية للمقطع في اللغة العربية في القسم الثاني من هذا الكتاب ٢١٣ وما بعدها.

(٢) انظر: البيان والتبين ٧٩/١

(٣) الموسيقى الكبير ١٠٩

التطريح والتطويح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك[1].

وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأملته، لأنك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلاً! فتزيد في قوة اللفظ- الله هذه الكلمة، وتتمكن من تمطيط اللام، وإطالة الصوت بها وعليها، أي: رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك، وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنساناً، وتمكن الصوت بإنسان، وتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك، سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك، وكذلك إذا ذممته ووصفته بالضيق قلت: سألناه فوجدناه إنساناً، وتزوي وجهك وتقطبه، فيغني ذلك عن قولك: إنساناً لئيماً.

التنغيم في الدرس الصوتي الحديث:

يشبه أندريه مارتينيه التنغيم في أثناء الكلام بصفارة الإنذار، أكثر مما يذكرنا بنغم يصدر عن آلة البيانو، فيقول: "وفي أثناء الكلام يرتفع الصوت وينخفض بشكل متصل، وبما أن الأوتار، تصدر في كل لحظة صوتاً من طبقة معينة، كان بإمكان المرء أن يرسم لكل قول منحني بيانياً[2]. وهو يرى أن التنغيم شيء تلقائي، حيث لا يستطيع المتكلم أن يختار بين وجوده وعدم وجوده، ومن ثم فإن فرص استعماله لغوياً بهذا المعنى، فرص محدودة، وعلى الرغم من ذلك فإن التنغيم يؤدي دوراً يختلف أهميته من لغة لأخرى اختلافاً بيناً[3].

وإذا كانت الأوتار الصوتية هي المسئولة عن منحنى التنغيم، فإن بإمكان أي متكلم (من أي لغة كانت) إدخال بعض التمايز في أصواته، وهذا ما يحدث عند البشرية كلها بطريقة واحدة، ولو أن الأشكال تختلف من مجتمع لآخر.

وفي هذا الصدد ينبغي أن تحدد الطبقات التنغيمية في اللغات من صعود لمقاطعها أو من هبوط، لأن كثيراً من اللغات التي تنتشر في جنوب الصحراء بأفريقيا، وكذا في

---

(1) الخصائص ٢/٣٧٠-٣٧١

(2) مبادئ الساتيات العامة ٧٧

(3) مبادئ الساتيات العامة ٧٧

شرق وجنوب شرق آسيا. تنتشر اللغة النغمية، فلا تظن أن كلمتي: إجاصة وكستناء- مثلاً- في اللغة الصينية، اللذين يسميان بتسمية واحدة، وهي (لي) بان هذه التسمية تعني هاتين الدلالتين. فالكلمة: لي، تعني: إجاصة، عندما ينطق بنغمة صاعدة، في حين تعني: كستناء، عندما ينطق بنغمة هابطة(1).

ويذكر مالمبرج أن المهم في التنغيم ليس العلو المطلق، ولكن العلو النسبي، ولا سيما تنوعات العلو والمسافات الفاصلة، وفي كلمة واحدة، حيث إن النغمة التي تحمل المعنى، وهي التي تهم اللغوي(2). وأن التنوعات التنغيمية للكلام تستخدم بأشكال كثيرة الاختلاف، وذلك بحسب اختلاف اللغات، ففي اللغات الأوروبية، تعد النغمة مهمة لأصوات الجملة بشكل خاص، حيث يستطيع المتكلم أن يعبر عن سائر أنواع الحالات النفسية والعاطفية (كالرضا والغضب والدهشة والخيبة والاحتقار والكراهية) عن طريق اختلاف النغمات(3).

ويوجد عدد كبير من اللغات، ولا سيما في إفريقيا، وفي الشرق الأقصى، تستخدم الاختلافات النغمية لتمييز كلمة عن أخرى، وفي هذه اللغات، تكون النغمة عاملاً أساسياً في البنية الصوتية للكلمة أو للمجموعة ولها من حيث الدور التأثير الذي تؤديه الوحدات الصوتية: التي تكونت منها الكلمة، واللغة الصينية تعطينا مثالاًنموذجاً لذلك، ففي لهجة بكين أربع نغمات، يمكن أن يرمز لها على النحو الآتي (نقلاً عن كارل جرين K, green).

١) مستوية. ٢) صاعدة ٣) مكسورة. ٤) هابطة

وترتبط دلالة مجموعة الوحدات الصوتية التي تكون منها كلمة: chu بطريقة نطقها على نغمة أو أخرى من هذه النغمات، فهي تعني: خنزير- خيزران- سيد-

---

(1) انظر: مبادئ اللسانيات العامة ٧٨-٧٩ وكذا: Linguistics, An Introduction pp. 45-46, 1999

(2) علم الأصوات ١٩٢

(3) علم الأصوات ١٩٤ وكذا: مبادئ علم الأصوات العام ١٥٠ وما بعدها.

يسكن أو يعيش، أما باتش، فيذكر نظاما للنغمات في إحدى اللغات الجنوبية الإفريقية: الهوتنتوت Hottentot، بالطريقة التالية: قال إن فيها ست نغمات أولاهـا (عاليـة وصاعدة) وثانيتها: (متوسطة وصاعدة) وثالثتها: (خفيضة وصـاعدة) ورابعتهـا: (عالية وهابطة) وخامستها: (متوسطة وهابطة) وسادستها، (خفيضة ومستوية)[1].

ويفرق ابركومبي بين التنغيم Intonation، والنغمة Tone، ويرى أن وظيفـة من الكلام في كل لغة، هي في الغالب من النوع الأول أو الثاني، وتقسم لغات العـالم إلى القسمين: اللغات التنغيمية intonation language، واللغـات النغميـة tone language، وتكون اللغة نغمية إذا كان لحن اللغة سمة في الكلام، في حين تكـون اللغة تنغيمية إذا كان لحن اللغة سمة في الجملة[2].

واللغات النغمية نادرة وغريبة، ويذكر منها اللغة الصينية، لكن كثيراً من اللغات في أسيا وإفريقيا وفي أمريكا الشمالية والوسطى تعد من اللغات النغمية[3].

ثمة مشاكل يمكن أن تحدث في عمليات الاتصال بين المتكلمين باللغة النغمية، لا توجد في اللغات التنغيمية، حيث كشفت حالة الإسرار أن الوحدات الصوتية في اللغة النغمية صوامت كانت أو حركات، لا تتمتع بوضوح سمعي كبير بمعزل عـن لحـن الكلام: ولذلك فإن أصحاب هذه اللغات النغمية يستخدمون الطبول في إفريقيا، وتسمى الطبول المتحدثة، كما يستخدم هؤلاء المتكلمون باللغات النغمية وسيلة الصفير فـي التعبير عن لحن الكلام كما يحدث في المكسيك في قوم يسـمون المزاتيكـون the mazateco، يستخدمه الكبار ويتعلمه الصغار بعد أن يشبوا عن الطوق، ويتميز كلام الصفير هكذا بالقدرة على التواصل عبر المسافات الطويلـة، ومـن هـؤلاء الـذين يستخدمون لغة الصفير أناس يطلق عليهم: الكوميرا la Comera، في إحدى جـزر

---

(1) علم الأصوات ١٩٤-١٩٥

(2) انظر: مبادئ علم الأصوات العام ١٥٨

(3) انظر: مبادئ علم الأصوات العام ١٥٨

الكناري، ونماذج أخرى منقرضة في جبال البرانس الفرنسية(١).

أما في اللغة العربية؛ فإن التنغيم يعمل على تصنيف الجمل إلى أنماط مختلفة، تتنوع من إثبات إلى استفهام إلى تعجب وغيرها من أنماط الجمل، حيث تتكون كل واحدة من هذه الأنماط، تبعاً لاختلاف النغمات، ويتجلى تأثير التنغيم الدلالي في الجمل الاستفهامية، التي تخلو من أدوات الاستفهام. ومن ذلك قول الشاعر:

قالوا تحبها قلت بهراً   عدد الرمل والحصى والتراب

فالتنغيم الصاعد على مقاطع كلمة: تحبها، هو المبين لدلالة الاستفهام، في هذه الكلمة.

كما يعد باب الاختصاص في النحو العربي، من الأبواب التي تبرز هذه الدلالة، ففي قولهم مثلاً: نحن – العرب– أكرم الناس أخلاقاً.

فإن كلمة: العرب، منصوبة على الاختصاص، ولكن التنغيم الصوتي كما يمكنه تحديد كونها للاختصاص، بأن تكون نغمتها صاعدة، للدلالة على أن الكلام لم ينته، يمكنك أيضاً تحديد كونها خبراً، لأنه يتطلب نغمة هابطة للدلالة على تمام الكلام.

وهكذا يلعب التنغيم دوراً هاماً على مستوى الجملة في اللغة العربية الفصيحة، وأن تأثيره الدلالي في اختلاف أنماط الجمل وأنواعها من إثبات واستفهام وتعجب واختصاص ونحوها أمر هام وفعال(٢).

---

(١) مبادئ علم الأصوات العام ١٦٠-١٦٤ وكذا: J, Lyones, language, p. 95

(٢) انظر تفصيلات حول قيم التنغيم في اللغة العربية في القسم الثاني ٢١٣ وما بعدها.

أهم نتائج البحث:

١) تعد الدراسات الصوتية عند العرب، من الدراسات اللغوية الهامة التي أجاد فيها هؤلاء العلماء، خدمة للغة العربية الفصحى، لغة القرآن الكريم، وصوناً لأصواتها وضبطها وإحكاماً لمخارجها وصفاتها الأصيلة والصحيحة.

٢) مقارنة هذه الأعمال الجليلة عند العلماء العرب بمناهج الدرس الصوتي الحديث، تؤكد عمق هذه الدراسات وجدتها، ودقة ملاحظة العلماء العرب، على الرغم من الإمكانات التحليلية المتواضعة لديهم، والتقدم العلمي والتقني الهائل في الدراسات الصوتية الحديثة. حيث اتفقت بحوثهم وتحليلاتهم الفوناتيكية مع الوصف الفوناتيكي الحديث في تحديد مخارج الأصوات وصفاتها في نسبة كبيرة، وينحصر الاختلاف في عدد يسير من الأصوات هي: (الضاد – الطاء – الجيم – القاف – العين – الهمزة)

٣) لم تحظ الحركات وبخاصة القصيرة منها بالاهتمام، الذي أولاه العلماء العرب للصوامت، فجعلوها تابعة للصوامت، وأغفلوا دورها الفونيمي الهام، في تغيير المعاني والدلالات.

٤) لم يهتم العلماء العرب بدراسة التنوعات الصوتية للفونيم (الوحدة الصوتية) ولم يتنبهوا إلى الفرق بين الفونيمات الأساسية والتنوعات الصوتية، وأطلقوا عليها جميعاً مصطلح: حرف!

٥) على الرغم من تحديد العلماء العرب للأصوات المجهورة والمهموسة، باستثناء بعض الأصوات، إلا أنهم لم يدركوا دور الأوتار الصوتية في حدوث عملية الجهر والهمس.

٦) جاءت بعض المصطلحات الصوتية غير دقيقة، مثل: الأصوات المتوسطة.

٧) خلت دراستهم الفونولوجية من الحديث عن قيم النبر وتأثيره الدلالي، ووصلتنا اللغة العربية الفصحى محرومة من قيمة النبر، سواء على المستوى الصرفي أو على المستوى النحوي، باستثناء إشارات يسيره يفهم منها هذا التأثير.

٨) كما خلت دراساتهم من الإحاطة بالتنظيم المقطعي للغة العربية ودوره في بناء الصيغة والكلمات، وما يطرأ على هذه التنظيم من تغييرات سياقية.

٩) لم يضمن العلماء العرب دراستهم الفونولوجية قيم التنغيم الدلالة وتأثيرها وإمكان توظيفها في تحليل أنماط عديدة من الجمل العربية والصيغ اللغوية المسكوكة.

١٠) تميزت تقسيمات العلماء العرب للأصوات إلى مجموعات ثنائية، كما هو الحال في الدرس الصوتي الحديث. مع الإشارة إلى القيم الخلافية لهذه الثنائيات أحياناً، وبخاصة بين الأصوات المطبقة والمنفتحة.

١١) كان للتقدم العلمي الحديث وظهور التقنيات والمخترعات والآلات التكنولوجية أثر كبير في إثراء الدراسات الصوتية وتقدمها، وظهور العلوم الصوتية المتخصصة: علم الأصوات الفسيولوجي. وعلم الأصوات الفيزيائي وعلم الأصوات السمعي وعلم الأصوات المعملي التجريبي.

١٢) لم تعد الدراسات الصوتية مقصورة علي علماء اللغة، وإنما امتدت في كثير من مجالات العلوم المختلفة، سواء في الدراسات الطبية والهندسية أو في دراسة الاتصالات والمعلومات والترجمة الآلية، وتضافرت جهود علماء اللغة مع جهود العلماء في العلوم الأخرى في كشف اللثام عن العديد من المشاكل والصعوبات، وفي حل كثير من المعضلات.

القسم الثاني

الدراسات الصوتية عند العلماء العرب

الفونيمات التطريزية في العربية

المقدمة :

تعد نظرية الفونيم واحدة من النظربات اللغوية الجديرة بالاهتمام والدراسة.حيث يرجع الفضل إليها فى ابتكار الكثير من الأبجديات واختراعهـا وإنشـاء، والرمـوز الكتابية لكثير من اللغات الإنسانية المنطوقة التى كانت محرومة إلى عهد قريب مـن تمتعها بهذا النظام الأبجدى. وعلى الرغم من تشكيك بعض علماء اللغة، فـى قيمـة هذه النظرية وجدواها.فقد اقبل عليها العلماء على شـتى اتجاهـاتهم ومنـاهجهم، وساعدهم على ذلك ما شهده القرن العشرون من تقدم علمى مذهل،فى جميع مجالات العلم وجوانبه، وبخاصة الدراسات التجريبية والمعملية،واستخدام الأجهزة العلميـة المتقدمة، والوسائل التكنولوجية الحديثة. كما أفاد علماء اللغة من معطيات العلـوم الأخرى، كعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء، والبحوث التشريحية للأذن وأجزائها، باعتبارها الجهاز السمعى للإنسان، وما لها من دور هـام، فـى تقيـيم الأصـوات وتصنيفها، من حيث الوضوح السمعى وشدتة، ودرجة الصوت ونحو ذلـك. وكـذا علوم هندسة الصوت وقياساته الدقيقة للذبذبات الصوتية، وقياسات علوه واتسـاعه ونحو ذلك. كما أفاد العلماء فى دراساتهم للفونيم من دور الجهاز العصبى والتنفسى وغيرها من العلوم والدراسات المعينة.

وقد حظيت الفونيمات التطريزية (فوق التركيبية) فى ضوء هذا التقدم الكبيـر للبحث العلمى،على مختلف تخصصاته، باهتمام العلماء والباحثين، للوقـوف علـى تحديدها، ومعرفة خواصها الفيزيقية والنطقية والسمعية، ومن ثمة يتمكن العلماء من الوقوف على قيمها ووظائفها اللغوية

لقد أثبتت بحوث العلماء ودراساتهم التجريبية أهميـة الفونيمـات التطريزيـة وجدواها وأنه ــ على الرغم ــ من كونها فونيمات تطريزيـة، أى أنهـا تجميليـة تنميقية، عند قياسها بالفونيمات الرئيسية، إلا أنها لا تقل أهمية، فى دورها وتأثيرها،

وقيمها اللغوية عن تلك الفونيمات الرئيسية.

وتتنوع الفونيمات التطريزية، فى اللغات الإنسانية، فقد توجد جميعها فى لغة، وتوجد بعضها فى لغة أخرى. وأهم هذه الفونيمات هى: النبر والتنغيم والمقطع والمفصل والنغمة والطول.

ويقدم هذا البحث دراسة حول القيم اللغوية للفونيمات التطريزية، وبخاصة:

النبر والمقطع والتنغيم والمفصل، للوقوف على جدوى هذه الفونيمات، ومدى إسهامها فى الكشف عن القواعد الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية من جهة، ومعرفة القواعد التى تحكم هذه الفونيمات فى اللغة، وما قد يطرأ عليها من تحويلات وتغييرات تستوجبها قواعد السياق اللغوى،والأداء الفعلى المنطوق للغة.

وقد توجه البحث بدراسة الفونيمات التطريزية فى اللغة العربية، وقدّم القيم اللغوية لكل من فونيم النبر والمقطع والتنغيم والمفصل، وحدد القواعد الأساسية، التى تحكم هذه الفونيمات فى اللغة العربية.

كما قدّم البحث دراسة تطبيقية على نماذج مختلفة من اللغة العربية، سواء على مستوى اللغة العربية الفصحى بنوعيها: اللغة النثرية، واللغة الشعرية، وكذلك بعض النماذج التى تمثل اللغات العامية واللهجات.

وتوصلت الدراسة إلى أن قيماً لغوية كثيرة، يمكن استخلاصها من خلال دراسة هذه الفونيمات التطريزية، تكشف عن حقائق هذه اللغة العربية وخصائصها وسماتها على مختلف مستوياتها الصوتية والصرفية والنحويه والدلالية.

فإن ما تقدمه هذه الفونيمات التطريزية، بقواعدها وخصائصها، قد مكنت العلماء من كشف اللثام، عن كثير من المشاكل والصعوبات، التى تواجه الباحثين فى معرفة القواعد اللغوية الدقيقة فى اللغة العربية، التى كان يلجأ العلماء فى تحديدها إلى التأويلات والافتراضات غير المنهجية التى وردت فى تراثنا اللغوى.

إن القول ــ مثلاً ــ بأن الفعل المضارع معتل الوسط المجزوم فى قولنا: لم

يقمْ،حذفت فية الواو، لمنع التقاء الساكنين: حكم يجانبه الصواب. فالواو فـي هـذا الفعل هى من قبيل الحركات الطويلة، وليست ساكناً التقت مع سكون المـيم. ففـى قولنا، لم يقومْ. ليس هناك إلا سكون واحدة، أما الواو (حرف العلة) فإنه لم يحذف لأجل العلة السابقة، ولم يحذف البتة، وإنما تم تقصيره إلى مجرد حركة قصيرة، لمنع وقوع المقطع: ص ح ح ص، المديد المغلق، فى موضع، ليس من مواضعه فى اللغة العربية.

إن تحديد قواعد هذه الفونيمات التطريزية فى اللغة العربية، يعدُّ من المطالـب العلمية الهامة، التى لها تأثيراتها الإيجابية فى الوقوف على قواعد اللغـة العربيـة الحقيقية، البعيدة عن اللجوء إلى الافتراضات والتأويلات التى اتسمت بها الدراسـات العربية التقليدية.

ونحن اذ نقدر باحترام وإكبار، ما قدمه علماؤنا العرب القدامى، مـن خـدمات جليلة للغة العربية، فقد بذلوا قصارى جهدهم، فى حدود ما توفر لديهم من إمكانـات الوصف والتقعيد، فى ذلك الزمان المتقدم، وكانوا بمقاييس عصرنا الحديث يقفـون على قدم المساواة، فى كثير من تحليلاتهم ونتائجهم.

ولكن البحوث العلمية الحديثة، القائمة على معطيات المناهج اللغوية الحديثـة، وما تتمتع به من إمكانات التجريب المعملى والاختبار العملى، بوسـائل تكنولوجيـة دقيقة ومتقدمة، مكنت العلماء والدارسين من الوصول إلـى النتـائج الأكثـر دقـة، والأعمق تأثيراً وجدوى.

ولم يغفل البحث جهود علمائنا العرب القـدامى، ومـدى إدراكهـم للفونيمـات التطريزية، وإشاراتهم إلى جدواها وقيمتها اللغوية، على الرغم مـن تواضـع هـذه الإشارات!

وينقسم البحث إلى أربعة فصول وتمهيد، غير مقدمة وخاتمة.

ويتضمن التمهيد جدوى نظرية الفـونيم وأهميتهـا فـى الدارسـات اللغويـة،

واتجاهات العلماء فى تفسير الفونيم وتعريفه وتحليله إلى مكوناته.

الفصل الأول: بعنوان: القيم اللغوية لفونيم النبر: قدمت الدراسة من خلاله مفهوم النبر لدى العلماء، وقيمته اللغوية فى اللغات بوجه عام، وفى اللغة العربية بوجه خاص. كما حددت الدراسة قواعد النبر فى العربية، وتأثير النبر فى مستويات اللغة العربية المختلفة! الأصوات الأبنية والتراكيب والدلالة.

الفصل الثانى: بعنوان: القيم اللغوية لفونيم المقطع: قدمت الدراسة من خلاله مفهوم المقطع وتعريفاته لدى العلماء: على مختلف اتجاهاتهم، وقيمة المقطع فى الدرس اللغوى، وما يقدمه من نتائج دقيقة فى تحليلات اللغة ووصفها، وأن قواعد المقطع وأنظمته، تختلف من لغة إلى أخرى. وقد تركزت الدراسة على بيان قواعد التنظيم المقطعى وأنواعه وقيمته اللغوية فى تحديد القواعد اللغوية العربية الصحيحة، على مستوى الأبنية الصرفية، والتراكيب النحوية.

كما بينت الدراسة أثر تغير التركيب المقطعى: فى تغير الهياكل الصرفية وأوزانها، وأنظمة التراكيب النحوية كذلك.

الفصل الثالث: بعنوان: القيم اللغوية لفونيم التنغيم: قدمت الدراسة من خلاله أراء العلماء واتجاهاتهم فى تعريف التنغيم والنغم، والقيم اللغوية لكل منهما فى اللغات بوجه عام. وفى اللغة العربية بوجه خاص. وركزت الدراسة على بيان دور التنغيم الهام والرئيسى. فى الوقوف على تحديدات أنماط عديدة من الجمل العربية، سواء أكانت جملاً خبرية أم استفهامية، وما قد يطرأ على الجمل الاستفهامية من خروج على مدلولاتها، إلى مدلولات أخرى عديدة.

كما تناولت الدراسة القواعد التى تحكم فونيم التنغيم، وتأثيراته على المقاطع الصوتية وبينت دوره فى تحديد العبارات الإفصاحية ومدلولاتها. وكذا الأساليب اللغوية العربية المختلفة، كأسلوب النداء والتعجب والاختصاص ونحوها، من أساليب اللغة العربية.

الفصل الرابع: بعنوان: القيم اللغوية لفونيم المفصل: وقدمت الدراسة من خلاله أراء العلماء حول تعريف المفصل وقيمته اللغوية، فى اللغات بوجه عام، وفى اللغة العربية بوجه خاص. وركزت الدراسة على بيان ما يقدمه المفصل بأنواعه الثلاثة فى اللغة العربية: الوقفات والسكتات، والاستراحات، من إمكانات للتحليل اللغوى الدقيق، لأنماط من الجمل العربية، كالجمل الابتدائية والخبرية المعرفتين، ودور مفصل، السكت فى التوجيه الإعرابى للتراكيب والجمل العربية.

الخاتمة، وتتضمن أهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة.

والله ولى التوفيق

د/ حسام البهنساوى

تمهيد:

حول نظرية الفونيم

اختلفت آراء العلماء حول نظرية الفونيم وجدواها. حيث أيدها بعض العلماء ودافع عنها، في حين عارضها بعضهم الآخر ورفضها.

ويعد ابركرومبى "Aber Crombie" من العلماء الذين دافعوا عن نظرية الفونيم. حيث يقول: "بعض المصطلحات الفنية بمجرد صكها، يبدو أنه لا يمكن الاستغناء عنها. لدرجة تجعل من الصعب أن نتصور كيف يمضى الناس بدونها، وربما كان لفظ فونيم واحدًا من هذه المصطلحات."(١)

كما يؤكد كرامسكى "kramsky" أن اكتشاف الفونيم يعد واحداً من أهم الإنجازات التى حققها علم اللغة، وأن ذلك يعادل اكتشاف الطاقة النووية؛ لأن هذا الكشف فى مجال علم اللغة، أدى إلى ثورة فى التفكير اللغوى."(٢)

وعلى الجانب الآخر، يأتى أتباع مدرسة لندن اللغوية، فى مقدمة الرافضين لنظرية الفونيم، وعلى رأسهم رائدهم اللغوى الشهير: فيرث " Firth " الذى يصرح برفضه فى قوله: " نحن لا نجد أى وحدة، أو جزء وحدة يمكن أن يسمى: فونيم، بالإضافة إلى أن هناك تحليلات مختلفة، ليست جيدة – فى رأيى – قد قدمت حول نظرية الفونيم ".(٣)

اتجاهات العلماء حول تعريف الفونيم وآراؤهم:

تعددت تعريفات مصطلح: الفونيم وتنوعت بحسب اختلاف اتجاهات العلماء ومناهجهم. وعلى الرغم من كثرة التعريفات وتنوعها، فإن أحداً لم يقدم تعريفاً محكماً للفونيم، على حدّ قول جونز: " D,Jones " لا واحد من التعريفات التى سمعت بها، لا يمكن مهاجمته، ولا أظن أنه من الممكن تقديم تفسير لا يترك منفذاً

(1) Aber Crombie: phonetics and linguistics , p134
(2) J. Kramsky: The phoneme , P. 7
(3) J. Kramsky: The phoneme , 158

للشذوذ والاستثناء ".[1]

ويمكننا أن نقدم لآراء العلماء حول تعريفات الفونيم، بحسب اتجاهاتهم على الوجه الاتى:

أولا : الاتجاه العقلى: Mentalistic

ويرى علماء هذا الاتجاه أن الفونيم عبارة عن: صوت نموذجى يهدف المتكلم إلى نطقه، ولكنه ينحرف عن هذا النموذج، إما لأنه من الصعب تحقيقه، وإما لأنه لا يستطيع أن ينتج صوتين مكررين متطابقين، أو لنفوذ الأصوات المتجاورة[2].

ومن أنصار هذا الاتجاه اللغوى الأمريكى سابير " sapir " الذى يعرف الفونيم بقوله:

" الفونيم صوت مثالى ideal sound، نحاول تقليده فى النطق، ولكننا نفشل فى إنتاجه تماماً كما نريد، أو بنفس الصورة التى نسمعها ".[3]

كما يعرفه فان ويجك " N,van , WtJk " بقوله: " الفونيم أصغر الوحدات التى تشعر بها على أنها غير قابلة للتقسيم بأكثر عن طريق الشعور اللغوى، وأن فونيمات اللغة، تشكل فئة من العناصر اللغوية، المتمثلة فى عقل كل أعضاء المجتمع اللغوى.[4]

ويعد ماريو باى " M , pie " من أنصار هذا الاتجاه حيث يقول: " بأن الأصوات أو المجموعات الصوتية المتقاربة، التى يدرك علاقتها شعور الجماعة التى تتكلم لغة معينة ". والاختيار الموضوعى للفونيمات هو المغايرة أو الاختلاف فى المعنى، الذى يظهر أو لا يظهر، عندما يحل صوت محل آخر، مع بقاء حروف الكلمة كما هى.[5]

---

(1) Jones: The phoneme its nature and use , P. P , 11 –12
(2) J. Lyons: New Horizons in linguisties , p, 79
(3) F. p. Dinneen: An Introduction to general linduistis , p , 407
(4) (1) Kramsky: The phoneme , P , 82.

(٥) أسس علم اللغة ٥٠

وهو يعرفه على أنه " مجموعة أو تنوع أو ضرب يضم أصواتاً وثيقة الصلة (فونات) ينظر إليها المتكلمون على أنها تمثل وحدة واحدة، بغض النظر عن تنوعاتها الموضوعية"[١].

وقد قسم بودان دى كورتينى الفونيم على أساسين:

١) **عضوى:** ووظيفته دراسة الأصوات المنطوقة بالفعل.

٢) **نفسى:** وهدفه دراسة الصور الذهنية للأصوات التى تمثلها أو تحاول تحقيقها الأصوات المنطوقة.

والنوع الثانى عنده يمثل الصورة الكتابية للفونيم، أى الصورة الذهنية أو الأصوات التى يفترض أن المتكلم يحاول نطقها، ولكنه قد ينجح وقد يخفق فى ذلك.[٢]

ثانياً: الاتجاه المادى: physical

ويعد دانيال جونز هو رائد هذا الاتجاه، فالفونيم عنده عبارة عن:

"عائلة من الأصوات فى لغة معينة، متشابهة الخصائص، ومستعملة بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أن يقع فى كلمة، فى نفس السياق اللغوى، الذى يقع فيه الآخر".[٣]

والتشابه قد يكون أكوستيكياً، وقد يكون عضوياً، فالهمزة والتاء اللتان تنسبان إلى فونيم واحد فى بعض أنماط اللغة الإنجليزية، بسبب العلاقة الاكوستيكية، حيث يترجمان فى الأذن متشابهين فى بعض المواقع، على الرغم من كونهما مختلفين فى كيفية التشكيل ".[٤]

ويوضح مالمبرج تعريف دانيال جونز بأنه يشتمل على:

أولاً: أن الفونيم لابد أن تكون عنواناً على مجموعة أصوات محكومة بالسياق.

---

(١) أسس علم اللغة ٤٩

(٢) انظر: علم اللغة العام ــ الأصوات ــ ١٥٩

(3) D. Lyons: New Horizons in linguisties , p, 10

(4) D , Jones: The phoneme , its nature and use , P212

ثانياً: أن هذا السياق كتابى أكثر منه نطقياً، أو كما يقول: تروبتسكوى، إن فكرة الفونيم لدى جونز ذات علاقة وثيقة بمشكلة الكتابة الصوتية

ثالثاً: أن الأصوات المفردة، ليست فونيمات ما دامت تنطق بصورة واحدة دائماً[1] ويعلق مالمبرج بأن هذا التصور لجونز يصطدم بحقيقة وهى أن الصوت قد يكون ذا صورة واحدة فى الأذن المجردة له،ولكنه فى الواقع، كما برهن على ذلك علم الأصوات التجريبى،مجموعة أصوات، إذ من المستحيل أن ننطق صوتاً معيناً بنفس الطريقة،وفى إطار صوتى مختلف.

وعلى ذلك يصبح كل صوت أو على الأصح كل رمز عنواناً على مجموعة من الصور المنطوقة، حيث أضاف دانيال جونز إلى مصطلح: فونيم والالوفون (متنوع) مصطلحاً ثالثاً وهو: " الصوت المزدوج "

وقد كان يفهم من هذا المصطلح: عائلة من الأصوات المزدوجة غير القابلة للتبادل.[2]

ويرى جونز أن أحد أعضاء العائلة عضو رئيسى، وأن سبب كونه رئيسياً قد يكون:

١) كثرة وورود هذا العضو فى الاستعمال اللغوى بصورة تفوق بقية الأعضاء.

٢) أو لأنه العضو الذى يستعمل وحده منعزلاً عن السياق الفعلى.

٣) أو لأنه فى الموقع الوسط بين بقية الأعضاء.[3]

ثالثاً: الاتجاه الوظيفى: Founctional

ثمة وجهات نظر عديدة داخل هذا الاتجاه، نعرضها على الوجه الآتى:

١) فريق يشرح الفونيم مشيراً إلى وظيفته كوحدة مناسبة للتعبير الألفبائى، ومن

---

(١) علم الأصوات ٢٤٦

(٢) علم الأصوات ٢٤٦ – ٢٤٧

(٣) وكذا علم اللغة العام – الأصوات – ١٥٧ – ١٥٨

D , Jones: The phoneme , its nature and use , P 212

هؤلاء: ونجفيلد F.S Wingjiel: وهو يعرف الفونيم على أنه " مجموعة من أصوات الكلام متماثلة وبشكل كاف، لأن تعالج كوحدة لأغراض ألفبائية.(١)

٢) أما معظم علماء هذا الاتجاه فيشرحون الفونيم على أن وظيفته الأساسية في التفريق بين المعانى، ومن هؤلاء: ترنكا:Trinka: يقول: إن كل صوت قادر على إيجاد تغير دلالى ".(٢)

٣) بعض علماء هذا الاتجاه يشيرون إلى وظيفة الفونيم فى تركيب اللغة، وفى التمييز بين كلماتها، ومنهم تروبتسكوى؛ الذى يرى أن الفونيم هو أصغر وحدة لغوية التى تستطيع بطرق التبادل، أن تميز كلمة من كلمة أخرى، وهو يعرف الفونيم بأنها: الوحدات الصوتية، التى لا يمكن تقسيمها إلى عناصر صوتية متتابعة من وجهة نظر اللغة المعينة التى يقوم الباحث بدراستها. وهو يقرر بأن الفونيمات علامات مميزة، ولا يمكن تعريفها إلا بالرجوع إلى وظائفها فى تركيب كل لغة على حدة(٣)

ومن هذا الفريق ـ أيضاً ـ علماء مدرسة لينتجراد، التى تعرف الفونيم على أنه النماذج الصوتية التى لها قدرة على تمييز الكلمات وأشكالها.(٤) أو أنه عبارة عن الصور الصوتية المستقلة التى تميز الحدث الكلامى المعبرعن غيره من الأحداث الأخرى. (٥)

ويذكر فاشيك " Vachek " أن كل فونيم فى أى كلمة يمكن أن يؤدى وظيفيين: إحداهما: إيجابية. الأخرى: سلبية.

أما الأولى: فتكون إيجابية، حيث تساعد فى تحديد معنى الكلمة التى تحتوى عليه.

---

(1) F. D. Hamp: Aglosary of American Technical Linguistics usage , P ,8
(2) D , Jones: The phoneme.. P , 36

(٣) علم اللغة العام ١٥٩

(4) D , Jones: The phoneme , 215
(5) D , Jones: The phoneme: 127

أما الثانية: فتكون سلبية، حيث يحتفظ بالفرق بين هذه الكلمة والكلمات الأخرى.

وعلى هذا فالفونيم: K، في: call، يقاسم بقية شركائه في أداء الوظيفة الإيجابية، وهي الكلام المرتفع المقصود توجيهه للسامع من بعيد.

أما الوظيفة السلبية: فتمثل في حفظ الكلمة مختلفة ـ مثلاً و tall عن و call ... الخ

وتتضح الوظيفة الإيجابية أكثر إذا حذفت الفونيم فتغير المعنى. مثل: call. حين يصير إلى: all... الخ.

والوظيفة السلبية تتضح أكثر، إذا تغير الفونيم، فتغير المعنى، مثل: call يتغير إلى: tall... الخ [١]

رابعاً: الاتجاه التجريدي: «ABSTRACT»

وتستقل الفونيمات عند علماء هذا الاتجاه استقلالاً كاملاً عن خصائصها الصوتية المرتبطة بها. [٢]

ومن أشهر علماء هذا الاتجاه العالم الياباني: جمبو Jimbo والعالم الإنجليزي: بالمر: palmer والعالم الإنجليزي: دانيال جونز D,Jones، في آخر طور من أطوار صياغته لمفهوم: الفونيم. ويشرحها بعضهم بقوله: " بعض الأصوات لها ملامح مشتركة كثيرة. يمكن أن تلخص في مثال أو صورة أو انطباع ذهني Image، يعتبر صوتاً تجريدياً على المستوى الأول، وهناك مستوى ثانٍ من التجريد، حيث يستخلص المرء عائلة كاملة من هذه الأصوات التجريدية في شكل صورة عامة، هذه الأصوات التجريدية على المستوى الثاني هي الفونيمات. [٣]

وينتقد تروبتسكوي هذا الاتجاه بقوله:

١) إن التجريد على المستوى الأول يتم على أساس تماثل أكوستيكي نطقي، في

---

[١] انظر: دراسة الصوت اللغوي ١٥٢

[2] D , Jones: The phoneme , P - 83
[3] D , Jones: The phoneme , pp 83 - 84

حين أنه على المستوى الثانى يتم على أساس صلة الأصوات ببيئاتها. هذان الأساسان مختلفان لدرجة أنه لا يمكن اعتبارهما مستويين لحركة التجريد.

٢) أن الأصوات الحقيقية إنما تحيا ما دامت تحققات للفونيم، وعلى هذا فالمستوى الأول من التجريد هو الثانى.(١)

ومن علماء هذا الاتجاه كذلك توادل **W.F Twaddell**، الذى يقول عن الفونيم:" بأنها مجرد وحدات افتراضية تجريدية، ليس لها وجود حقيقى، سواء أكان وجوداً مادياً أو ذهنياً " (٢)

وعلى الرغم من اختلاف وجهات نظر العلماء حول تعريف الفونيم وتفسيره، إلا أن هذه التعريفات والتفسيرات تقودنا إلى نتائج متماثلة أو متقاربة، وتؤدى إلى أهداف علمية واحدة، يمكن تلخيصها فيما يلى:

١) الفونيم تميز كلمة من أخرى، وبالتالى تفرق بين الكلمات من الناحية الصرفية والنحوية والدلالية.

٢) الفونيم وسيلة مهمة فى تسهيل عملية تعليم وتعلم اللغات الأجنبية، فالأصوات الفعلية الحقيقة لأية لغة كثيرة إلى حدً كبير، ولكن فونيمات كل لغة تقل عن عدد هذه الأصوات الفعلية بصورة ملحوظة.

فالتعرف على الفونيمات (وهى قليلة العدد) أيسر سبيل إلى تعلم الأصوات المنطوقة بالفعل، وهى كثيرة نسبياً.

٣) تساعد الفونيم على ابتكار أبجديات منظمة دقيقة للغات،.. يكتفى بالرمز إليها فى الكتابة برمز واحد.

وبذلك تصبح الأبجدية عملية بسيطة.(٣)

---

(1) D , Jones New Horizousin linguistcs , p 81

(2) D. Jones: The phoneme. P 216

وانظر: وجهة نظر تروبتسكوى وتطورها فى: علم الأصوات ٢٣٥ – ٢٤٥

(٣) انظر: علم اللغة العام ــ الأصوات ١٦٠ – ١٦١

مكونات الفونيم:

نستطيع بعد تقديم وجهات نظر العلماء واتجاهاتهم، حول تعريف الفـونيم، أن نحصرها فى قسمين اثنين من ناحية مكونات الفونيم:

القسم الأول: مكونات الفونيم عبارة عن أصوات Sounds، فالفونيم أشبه بالنوع الذى يجمع تحته أفراده.

القسم الثانى: مكونات الفونيم عبارة عن ملامح صوتية مميـزة distinctive feature ـ أو تجمعات من أفراد النوع الذى يحوى من الصفات العامة المشتركة ما يربطه إلى شكله.

ففى القسم الأول: يكون الناتج فى مكونات الفونيم مادياً، أو صوتاً فعلياً، قـابلاً للتحليل مرة أخرى إلى عناصر ومكونات.

أما فى القسم الثانى: فيكون الناتج فى مكونات الفونيم ملمحاً أو كيفية نطقية، لا وجود لها بمفردها، وإنما وجودها يكون بانضمامها إلى غيرها من الملامـح التـى تشكل الصوت اللغوى.[1]

وينبغى التنويه إلى أن هؤلاء الذين يرون مكونات الفونيم فى صـورة ملامـح تميزية، لم يفرقوا بين الفونيمات الأولية (التركيبية) وبـين الفونيمـات الثانويـة (التطريزية) حيث نجد: لاديفوجد " ladefoged " يجمع تحت أشكال الملامح سـتة وعشرين ملمحاً على التتابع، وفى نهاية القائمة، يجمع ما يدخل تحـت الفونيمـات التطريزية، مثل: النبر والنغم [2]

تحليل الفونيم إلى ألوفونات:

أشار علماء الاتجاه المادى (التركيبى) ومنهم: دانيال جونز إلى جواز تحليـل الفونيم إلى أفراد أو أعضاء، تسمى: ألوفونات، أو تنوعات مشروطة. كمـا أدخـل

---

[1] انظر: دراسة الصوت اللغوى ١٥٤- ١٥٥

[2] انظر: دراسة الصوت اللغوى ١٥٥ وكذا: D , Jones: The phoneme , p 117

ماريوياى ذلك فى تعريفه بقوله: عن الفونيم بأنه " يشتمل على مجموعة من الفونات المتشابهة أو التنوعات الصوتية، التى يتوقف استعمال كل منها علـى موقعـه فـى الكلمة، وعلى الأصوات المجـاورة.(١)

فالنون العربية مثلاً، تعد فونيماً واحداً من فونيمات اللغة العربية، يمكن تحليلها إلى أفرادها أو تنوعاتها الصوتية، فهى فونيم تركيبى ذات وظيفة لغوية، تختلف عن قيمة فونيم التاء أو الثاء... الخ

أما صورها المختلفة أو تنوعاتها، فلها وظيفة نطقية محضة، أى إنـه يمكـن تمييزها فى النطق والسماع على أنها صوت النون، وليست صوتاً آخر، فهى لا تملك وظيفة لغوية، ولا تستطيع تغيير معانى الكلمات بـإحلال إحـدى هـذه التنوعـات (الألوفونات) محل الأخرى.

فهذه التنوعات لا تتبادل فيما بينها فى المواقع أو البيئة الصوتية الواحدة، فتفيد بهذا التغير وظيفة لغوية، لأن هذا التغير لا يؤدى إلى تغيّر فى المعنى (٢)

التنظيم الفوينمى فى اللغة العربية:

تشتمل اللغة العربية الفصحى ولهجاتها على تنظيمين فونيميين وهما:

أولاً: الفونيمات الأساسية (التركيبية):

وهى التى تكون جزءاً من أبسط صيغة لغوية ذات معنى، منعزلة عن السـياق، ويؤدى تغيرها إلى تغير فى دلالة الصيغة ومعناها.

---

(١) انظر: أسس علم اللغة ٨٦ – ٨٨

(٢) انظر: علم اللغة العام ـ الأصوات ١٥٦ – ١٥٧ وكذا: علم اللغة ـ مقدمة للقارئ العربـى ٢١٥ والمدخل إلى علم اللغة ٨٦ حيث يرون بأن الفونيمات التطريزية عبارة عن ملامح غير تركيبيـة، ويرمز لها عادة برموز إضافية خارج رموز الجزئيات التركيبية ولما كانت هذه الملامح تنوع معانى الرسائل اللغوية، كما يحدث تماماً من التقابل بين الصوامت والحركات (الفونيمات التركيبية) سميت هى أيضاً: فونيمات.وهذه الملامح كثيرة ومـن أهمهـا ١– النبـر Stress ٢– النغمـة tone ٣– التنغيم intonation ٤– المفصل Juncture ٥ – الطول length

وتشتمل اللغة العربية الفصحى على ثمانية وعشرين فونيماً أساسياً (تركيبــاً) صامتاً وعلى ستة فونيمات أساسية أخرى من الحركات.

ثانياً: الفونيمات التطزيزية (فوق التركيبية) :(١)

وهى تلك التى لا تكون جزءاً من تركيب الكلمة، وإنما تظهر وتلاحظ فقط حــين تضم إلى أخرى، أى حين تستعمل الكلمة الواحدة بصورة خاصــة. وتشــتمل اللغــة العربية على أربعة أنواع من هذه الفونيمات التطريزية وهى: ١- النبر ٢- المقاطع الصوتية ٣- التنغيم ٤- المفصل.

وهذه الأربعة هى موضوع دراستنا فى هذا البحث ويعتنى البحث ــ فى المقــام الأول ــ بإلقاء الضوء على القيم اللغوية لهذه الفونيمات، ومدى تأثيرها وفاعليتهــا فى تحديد القواعد اللغوية على مستوياتها المختلفة: الأصوات والأبنيــة والتراكيــب والدلالة.

---

(1) R. H. Robins: general liguistics , P 107 , 136 - 137 , 141 , 147 Dinneen: In Introduction to general linguistics , P,408
وكذا: Malemberg , phonetics , P 80

الفصل الأول

القيم اللغوية لفونيم النبر

تعريف النبر: Stress:

يذكر لاديفوجد " adefoged " أنه ليس من تعريف للنبر، ولكن العلماء قدموا تعريفات عديدة، نذكر منها:

١) النبر: عبارة عن إضافة كمية من الطاقة الفسيولوجية لنظام إنتاج الكلام، موزعة على القنوات الرئوية والتصويتية والنطقية.(١)

٢) انطباع عن طاقة زائدة فى النطق للمقطع المنبور، وينتج عنها نطق المقطع أعلى وأطول من المقاطع الأخرى فى نفس الكلمة.(٢)

٣) النبر عبارة عن الجهد العضلى الأقوى، الذى يمكن أن نشعر به متصلاً ببعض المقاطع فى مقابل مقاطع أخرى.(٣)

٤) النبر عبارة عن البروز الذى يعطى لمقطع واحد داخل ما تشكل الوحدة البروزية التى تتطابق فى معظم اللغات، وهى ما يسمى بالكلمة. (٤)

كما يطلق بعضهم علية مصطلح الارتكاز: Accent،ويرجعه فى أغلب الأحوال إلى ارتباط اثنين أو أكثر من عوامله وهى:

١) الارتكاز. ٢) الدرجة أو التنغيم.

فالارتكاز: هو درجة قوة النفس التى ينطق بها صوت أو مقطع، وليس كل صوت أو مقطع ينطق بنفس الدرجة.

فدرجة قوة النفس فى نطق الأصوات والمقاطع المختلفة، تتفاوت تفاوتاً بيناً، فالصوت أو المقطع الذى ينطق بارتكاز أكبر، يتضمن طاقة أعظم نسبياً، ويتطلب من

---

(1) J,ladefoged: preliminaries of linguisties phonetics, P83
(2) Dinneen: In Introduction to general linguisties P, 41
(3) J. D,O, Connor: phonetics , P 49
(4) A..Martient: Elements of general linguisties , P, 100

أعضاء النطق الخاصة جهداً أعنف فى النطق، بالإضافة إلى قوة النفس.

وهكذا فإن الصوت او المقطع الذى ينطق بارتكاز أكبر من سواه فى كلمة من الكلمات يبرز بروزاً موضوعياً عن سائر الأعضاء أو المقاطع،التى يجاورها (١).

ويذكر د/ أنيس بأن النبر عبارة عن نشاط فى جميع أعضاء النطق فى وقت واحد حيث تنشط عضلات الرئتين عند النطق بمقطع منبور نشاطاً كبيراً، كما تقوى حركات الوترين الصوتيين وتقتربان أحدهما من الأخرى، ليسمحا بتسرب أقل مقدار من الهواء، فتعظم لذلك سعة الذبذبات، ويترتب عليه أن يصبح الصوت عالياً واضحاً فى السمع. هذا فى حالة الأصوات المجهورة. أما فى حالة الأصوات المهموسة، فيبتعد الوتران الصوتيان أحدهما عن الآخر أكثر من ابتعادها مع الصوت المهموس غير المنبور،

وبذلك يتسرب مقدار أكبر من الهواء.كما نلاحظ ــ أيضاً ــ مع الصوت المنبور نشاطاً فى أعضاء النطق الأخرى، كأقصى الحنك واللسان والشفتين. (٢)

وتتفق التعريفات السابقة فى أن النبر يقتضى طاقة زائدة،أو جهداً عضلياً إضافيًا،حيث يؤكد جونز بأن " المقطع المنبور بقوة، ينطقه المتكلم بجهد أعظم من

---

(١) علم اللغة ــ مقدمه للقارىء العربى ١٨٨ــ ١٨٩

وكذا: MacCarthy: English pronunciation , pp 150 - 160

وانظر: مناهج البحث فى اللغة ١٩٤ واللغة العربية معناها ومبناها ١٧٤

(٢) انظر: الأصوات اللغوية ١٦٩ ومناهج البحث فى اللغة ١٩٤، وعلم اللغة العام ١٦٢ والأصوات اللغوية د/عبد القادر ٢٥١ كما يذكر د/أنيس بأننا نلحظ حين النطق بصوت غير منبور فتوراً فى أعضاء النطق، فالمسافة بين الوترين الصوتيين مع المجهورات تتسع نسبياً، وبذلك يقل ضغط الهواء فى أثناء تسربه، وتقل سعة الذبذبات.

كما نلحظ أن المسافة بين الوترين الصوتيين مع المهموسات، لا تكون من الاتساع بحيث تسمح بمرور قدر كبير من الهواء. وكذلك تفتر باقى أعضاء النطق، فلا يسد أقصى الحنك الفراغ الأنفى سداً محكماً، كما يحدث مع الصوت المنبور. ويكون الوضع اللسانى أقل دقة وإحكاماً، ويضعف نشاط حركة الشفتين. ويترتب على هذا الخمول فى عضلات النطق أن يقل وضوح الصوت فى السمع، فينخفض الصوت فيصعب تمييزه من مسافة عندها يمكن تمييز الصوت المنبور.

المقاطع المجاورة له فى الكلام، أو الجملة. فالنبر إذن نشاط ذاتى للمتكلم، ينتج عنه نوع من البروز لأحد الأصوات، أو المقاطع بالنسبة لما يحيط به.(١)

أما الأثر السمعى المرتبط بالنبر فهو: العلو loundness،ودرجات النبر بالنسبة للسامع درجات من العلو (٢)

---

(1) D,jones: the phoneme, its nature and use, pp 134 – 135

(٢) دراسة الصوت اللغوى ١٨٨، وكذا D.jones: the phoneme , P155 وإذا ربطنا بين الوضوح السمعى والنبر، واعتبرنا أن درجة النبر ذات علاقة بدرجة الوضوح السمعى، أسلمنا ذلك إلى وجوه من التناقص: ففى الكلمة العربية إحدى ihda<، نجد النبر القوى على المقطع الأول، وهو يشتمل على صائت ضيق قصير: ih<. على حين يقع النبر الثانوى على المقطع الثانى، الذى يشتمل على صائت واسع وطويل: da! ويذكر د/ سعد مصلوح بأنه ثبت لديه بالتجارب المعملية على مواد لغوية عربية متنوعة وبأجهزة مختلفة أن ثمة عوامل فيزيقية أخرى ترتبط بسإدراك الأذن للنبر ودرجاته.انظر: دراسة السمع والكلام ٢٧١ - ٢٧٢

قيم النبر ووظائفه

واللغات الإنسانية ليست سواء فى استخدام النبر استخداما لغوياً،للتفريق بين المعانى، ومن ثم فالنبر ليس فونيما فى كل اللغات.وإنما يعد فونيما ــ فقط ــ فى تلك اللغات التى تستخدمه،وتسمى تلك اللغات باللغات النبرية.stress languages (١)

وتكون اللغات الأخرى من ثمة اللغات غير النبرية وتتميز اللغات النبرية بأنها تثبت فى مكان معين، فهو فى الفنلندية والتشيكية على المقطع الأول. وفى البولندية على المقطع قبل الأخير.(٢)

ومن اللغات التى تحدد موضع النبر كذلك الفرنسية والهنغارية والسواحلية.(٣)

أما اللغات التى تستخدم النبر كفونيم، فيكون موضع النبر فيها حراً، ويستخدم حينئذ للتفريق بين المعانى أو الصيغ عن طريق تغير مكانه.

واللغة الإنجليزية تعد مثالاً جيداً لوقوع هذا النبر الحر free stress، ففى الكلمة: import، إذا نطقت بنبر المقطع الأول، كانت اسماً، وإذا نطقت بنبر المقطع الثانى: import، كانت فعلاً. وكذلك الحال فى الكلمات: Subject، present، convert premit، contract، increase، insult (٤)

وليس دور النبر فى اللغة الإنجليزية مقصوراً على تغيير الصيغة بين الاسمية والفعلية، فهو قد يكون كذلك العامل الوحيد للتفريق بين كلمتين، وبالتالى بين معنيين، فكلمة: August (شهر أغسطس أو علم على شخص) تملك جهداً أقوى على المقطع الأول. أما كلمة: august (مهيب أو جليل) فتملك جهداً أعظم على

---

(١) انظر: مبادىء اللسانيات العامة ٨٢، وكذا: See: D.jones: the phoneme , P.136

(٢) انظر: مبادئ اللسانيات العهامة ٨٢، وكذا: B,Malemberg: phonetics , P , 81

(3) Robins: General linguistics , P , 109

(٤) دراسة الصوت اللغوى ١٨٨ وكذا: علم اللغة ــ مقدمة للقارئ العربى ١٩٩

المقطع الثانى.[١]

وينطبق هذا على ثنائيات فى هذه اللغة الإنجليزية، وذلك فى مثل:

below تحت، billowموجة (متلاطم كـالموج)، insight نفـاذ البصـيرة، incite يحرص [٢].

وليس كل النبر فى اللغة الإنجليزية مفرقاً بين المعانى، فمعظـم كلمـات اللغـة الإنجليزية، لا يؤدى تغير موضع النبر فيها إلى اختلاف المعنى، ولكنـه يـؤذى أذن السامع، لخروجه على المعيار اللغوى، ومن أمثلة ذلك فـى الإنجليزيـة، الكلمـات: billow،sensitive، النبر فيها على المقطع الأول. والكلمة: polite، النبر فيها على المقطع الثانى، والكلمـات: congregation،international، sinsitivirysعلـى المقطع الثالث.

ولو وضع النبر على مقطع آخر من مقاطع الكلمة من قبل أجنبى، تحت تـأثير لغته القومية، لأدى إلى سوء فهم يمكن أن يحدث! [٣]

وللنبر استخدام آخر تشترك فيه كل اللغات؛ النبرية وغير النبرية، وهو الدلالـة على معانٍ إضافية، كالتأكيد، ويسمى النبر حينئذ: emphatic أو: الانفعال ويسـمى حينئذ emotional stress. [٤]

وهناك اختلاف بين اللغات فى القوة التى ينطق بها المقطع المنبـور بالنسـبة للمقطع غير المنبور، ففى الفرنسية، الفرق ضعيف بين الاثنين، ولكن فـى اللغـات

---

(١) الأصوات اللغوية ١٧٠ وكذا: دراسة الصوت اللغوى ١٨٩

و كذا D , Jones: The phoneme , its nature and use , P , 145

(2) O , connor: phonetics , P. P 104 – 234

(٣) الأصوات اللغوية ١٧٠ وكذا: دراسة الصوت اللغوى ١٨٩

وكذا: O, connor: phonetics , P 194 , 234:

(٤)دراسة الأصوات اللغوى ١٩٠ ـــ وكذا: Malemberg: phonetics , P, 88

الجرمانية، قد يكون المقطع المنبور قويـاً جداً، وغير المنبور ضعيفاً جداً.[١]

وكان يظن ولفترة طويلة أن النبر موضعه الحركة فى معظم اللغـات الأوربيـة الحالية، أى إن علامته المميزة، هى ذروة المنحنى الذى ترسمه شدة النطق.

أما فى الوقت الحاضر، فإن نتائج الأبحاث تشير إلى أنه فى لغة كالإنجليزيـة ـ مثلاً ـ تتجسد دائماً العلامة المميزة لكل نبر فى التغيير السريع الذى يحصـل فـى منحنى الطبقة الصوتية. على أن خاصية تعتمد ـ غالباً ـ على تعاظم فـى الشـدة وازدياد فى المد، كما تكون مرفوقه بهما.[٢]

فوظيفة النبر إذن هى وظيفة تباينية بالدرجة الأولى، أى إنه يساعد الكلمـة أو الوحدة المنبورة، لأن تتباين عن الوحدات الأخرى، من النوع ذاتـه الموجـود فـى الكلام. ولذلك فإنه يوجد فى اللغة الواحدة نبر واحد وليس نبرات. وإذا وقع النبر فى إحدى اللغات ـ دائماً ـ على المقطع الأخير منها، كان التباين كاملاً، لأن الكلمة فى هذه الحالة مختلفة اختلافاً بيناً وواضحاً عما يسبقها أو يتلوها.[٣]

أما حيثما لا يمكن معرفة مكان النبر مسبقاً، وينبغى على المرء أن يتعلمه فـى كل كلمة على حدة، وحينما لا يشكل سمة ثابتة لنهاية وبداية وحدة النبر، فى مثـل هذه الحالة تكون للنبر وظيفة أوجية (قممية) إذ يشير إلى وجود عدد من المقاطع الهامة فى الكلام مما يسهل علينا تحليل الخطاب.[٤]

ويميل أندريه مارتينيه إلى إعطاء النبر قيمة تمييزية،حتى فـى هـذه الحالـة الأخيرة، التى لا يعرف المرء فيها مكاناً ثابتاً للنبر، وأى تقاطع ينبغى نبره.[٥]

---

[1] F. Brosnahan , Malemberg: Introdustiopn to phonetics , P 82

[٢] مبادئ اللسانيات العامة ـ مترجم ٨٣

[٣] مبادئ اللسانيات العامة ٨٥

[٤] مبادئ اللسانيات العامة ٨٥

[٥] انظر:مبادئ اللسانيات العامة ٨٥ ـ ٨٦ حيث يقدم أمثلة من اللغة الأسبانية والإنجليزية، يبين مـن خلالها وظيفة النبر التمييزية، وأنها الوظيفة الأساسية للنبر فى جميع اللغات التى يؤدى فيها النبر وظيفة لغوية. وأنه ليست للنبر وظيفة تقابلية! لكنه يذكر بأن هذه الوظيفة التمييزية (التباينية) =

النبر والنغمات:

يمكننا القول بأن النبر يستفيد إلى حد بعيد من الطبقة الصوتية، حتى إنه يستفيد منها أكثر مما كان يظن لأمد بعيد، ويشترك النبر فى هذه الخاصية الفيزيائية مع النغمات.

وثمة سؤال عما إذا كانت اللغة الواحدة،يمكن أن تشتمل على النبر والنغمات، كواقعين لغويين مستقلين.

ومما يبدو أن المرء لا يستطيع أن يتكلم عن النبر فى تلك اللغات، التى تكون فيها جميع المقاطع قابلة لدخول نغمة عليها.

فإن التأكيد النبرى يتم لأحد المقاطع فى كل وحدة نبرية، على حساب إمكانية التمييز بين النغمات فى بقية المقاطع. وهذا يعنى أنه توجد لغات نغمية بلا نبر يكون فيها لكل مقطع نغمة تمييزية.

كما توجد لغات نبرية فيها نغمات، وعندئذ يكون لكل كلمة، أو لكل وحدة نبرية نغمة تمييزية واحدة فقط، ويرتبط موضعها بموضع النبر ذاته.[١]

ويمكننا أن نقول بأن فى كل نغمة نوعاً من النبر، وأن نوعين من النبر فى اللغة، التى تميز بين نغمتين مرتبطتين بالنبر.

ويمكن اعتبار اللغة الأسوجية مثالاً لوجود النوعين من النبر فيها:

النوع البسيط كما فى كلمة: Komma (فاصلة) والنوع المركب، كما فى كلمة

= قد تطمس بعض الشىء فى اللغات التى لا يمكن فيها تعيين موقع النبر مسبقاً، لأن السامع يتعرف على الكلمة أولاً بالنظر إلى القمة التى يرسمها النبر. ففى كلمة: pasé (أنا غيرت) فى الأسبانية، تعرف قبل كل شىء بانتمائها إلى الترتيب المقطعى: / ـَ ـ / ثم تدخل السمع ضمن هذا الإطار بوصفها تختلف عن: Fasó (وهو يعبر) لكن المرء لن يقابلها بحال من الأحوال بكلمة:
Pósa (أنا أعبر) التى يحمل جذورها فى الأصل الترتيب النبرى / ـ ـَ / لذلك تصبح مثل هذه المقابلة غير واردة، طالما أن السامع قد عرف مسبقاً الترتيب النبرى / ـَ ـ / لكلمة pasé. مبادئ اللسانيات العامة ٨٦

(١) انظر: مبادئ اللسانيات العامة ٨٣

Komma (جاء) ويقال بأن الأغريقية الأتيكية (لغة قدماء الإغريق فى أثينا وما حولها) كانت تستعمل نوعين من النبر مختلفين:

١) نبر الحدة ٢) نبر المد

علماً بأن التقابل بينهما لا يحصل سوى فى المقطع الأخير من الكلمة،إذا اشتمل على صوت صائت ممدود أو على إدغام بين صوتين صائتين.[١]

أنواع النبر :

ثمة نوعان من النبر يشيعان بين اللغات النبرية وهما:

أ- النبر الرئيسى ب- النبر الثانوى:

ففى الكلمة الإنجليزية: opposition (معارضة) نجد أن المقطع الأول والثالث منبوران، فالأول منبور نبراً ثانوياً، فى حين ينبر المقطع الثالث نبراً رئيسياً شديد الوضوح.

كما يوجد فى الكلمة الألمانية: Augenblick (لحظة أو برهة) فالنبر الرئيسى يقع على المقطع الأول: Au، والنبر الثانوى يقع على المقطع: blick وليس الأمر سواء، فيما إذا وقع أحد النبرين فى هذا الموقع أو ذاك: إذ إن التمييز بينهما، هو ما يسمح لنا أن نفرق فى اللغة الألمانية ــ مثلاً ــ بين: uebersetzem ــ (عدى النهر) حيث يقع النبر الرئيسى على: set، والثانوى على: ue، وبين:uebersetzen

---

(١) انظر: مبادئ اللسانيات العامة ٨٣ – ٨٤ ويرى د / أنيس أنه لا علاقة بين النبر وبين درجة الصوت أو نغمته الموسيقية، وأن النبر بنوعيه: نبر الكلمة، ونبر الجملة، ليس إلا شدة فى الصوت أو ارتفاعاً، وأنهما أى الشدة والارتفاع، يتوقفان على نسبة ضغط الهواء المندفع من الرئتين.انظر:الأصوات اللغوية ١٧٤

والحق، فإن التجارب المعملية قد أثبتت أن عوامل حدوث النبر تتمثل فى: الكمية والضغط والتنغيم، وأن الضغط وحده لا يعد نبراً، إنه ــ فقط ــ عامل من عوامل النبر، وصحيح أن الضغط هو أبرز عوامل النبر، حيث يعرف النبر بدرجة الضغط، أكثر من العوامل الأخرى. بل إن الضغط نفسه يمتلك صورتين هنا: القوة والنغمة، وهما بدورهما يؤثران تأثيراً فاعلاً فى حدوث النبر.. انظر: مناهج البحث فى اللغة ١٩٤.

(ترحم) حيث يكون توزيع النبر معكوساً.

ولكن واقع الأمر أن التمييز بين نبر رئيسى وآخر ثانوى، لا يكفى لإعطاء وصف شامل لنظام النبر فى اللغات المعينة، لأنه من الوجهة النظرية، توجد فى الكلمة المركبة درجات مختلفة من النبر بعدد العناصر المتتالية فيها. (١)

ففى اللغة الألمانية – مثلاً – ليس هناك لبس فى الأمر، فكل عنصر فى الكلمة المركبة يحتفظ بنبره الذى كان له ككلمة مستقلة، وسواء استعملت: **Figur**، كحلقة مستقلة فى الكلام، أو كعنصر فى كلمة مركبة مثل: **wachs figur** (تمثال الشمع) تتألف من: **wachs** (شمع)، **figur** (تمثال – شكل) فالنبر يقع دائما على المقطع الثانى منه.(٢)

لكن الأمر يختلف فى اللغة الروسية، حيث لا يحافظ سوى عنصر واحد فى الكلمة المركبة على نبره الأصلى،وهكذا تفقد – مثلاً – الكلمة: **nos** (أنف) نبرها، كما يفقد صوتها الصائت درجة اتساعه الأصلية، عندما يصبح عنصراً فى الكلمة المركبة: **nosorog** (٣).

أما فى اللغة الإنجليزية، فالوصف يكون أكثر تعقيداً، لأن جزءا كبيراً من مفرداتها يعود إلى كلمات استعيرت إما من الفرنسية فى القرون الوسطى، حيث وصلت عن طريق النقل الشفوى،وإما من اللغة اللاتينية أو الإغريقية الكلاسيكية، حيث وصلت بصورتها الكتابية قبل زمن غير بعيد. وجميع هذه الكلمات أخضعت لقواعد النبر التقليدية (٤)

---

(١) انظر: مبادئ اللسانيات العامة ٨٧

(٢) انظر:مبادئ اللسانيات العامة ٨٧

(٣) مبادىء اللسانيات العامة ٨٧

(٤) مبادىء اللسانيات العامة ٨٨

النبر فى اللغة العربية

تخلو الدراسات اللغوية العربية من بحوث عند العلماء العرب القدامى، حول قيم النبر وقواعده ووظائفه، فلم يستعمل العلماء العرب مصطلح النبـر: stress بهـذا المعنى، على الرغم من وروده فى بحوثهم الصوتية، للدلالة على تحقيق نطق الهمزة عند بنى تميم.

والحق، فإنه ليس لدينا من دليل يهدينا إلى موضع النبر فى اللغة العربية، كمـا كان ينطق بها فى العصور الإسلامية الأولى.

وإذا كان برجشتراسر يرى: أنه لا نصّ نستند عليه فى إجابة مسألة، كيف كان حال العربية الفصيحة فى هذا الشأن، ومما يتضح من اللغـة نفسـها، ومـن وزن شعرها، أن الضغط لم يوجد فيها، ولم يكد يوجد، وذلك أن اللغة الضاغطة، يكثر فيها حذف الحركات، غير المضغوطة وتقصيرها وتضعيفها، ومدّ الحركات المضغوطة.

وقد رأينا أن كل ذلك نادر فى اللغة العربية، إذا نظرنا إلـى اللهجـات العربيـة الدارجة، وجدنا فيها ـ كلها ـ فيما أعرف الضغط، وهو فى بعضـها قـوى، وفـى بعضها متوسط، غير أنها تتخالف فى موضعه من الكلمة فى كثير من الحالات. (١)

فإننا نجد بروكلمان يقول:" فى اللغة العربية القديمة، يدخل نوع من النبر، تغلب عليه الموسيقية، ويتوقف على كمية المقطع، فإنه يسير من مؤخرة الكلمـة نحـو مقدمتها، حتى يقابل مقطعاً طويلاً، فيقف عنده، فإذا لم يكن فى الكلمة مقطع طويل، فإن النبر يقع على المقطع الأول فيها." (٢)

وإذا كان برجشتراسر يرى بأن اللغة العربية لم يوجد فيها الضغط، ولـم يكـد يوجد،لما ذكره من أسباب تتعلق بتأثير الضغط على حذف الحركات أو تقصـيرها أو تضعيفها، فإننا نقول بأن الشعر العربى تضمن شواهد من هذا القبيل، تم فيها تقصير

---

(١) التطور النحوى ٣٦

(٢) فقه اللغات السامية ٤٥

الحركات الطوال أو العكس، تطويل الحركات القصار، وكذا التضعيف والمدّ.[1]

أما القرآن الكريم، الذى يتلوه المسلمون ويجودونه ويقرأونه فى عباداتهم وفى كل زمان ومكان، كما أنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) عن أمين الوحى جبريل عليه السلام،فإن هذا النص القرآنى الكريم، حسبما نسمعه من قرّاء القرآن الكريم فى مصر وفى غيرها من بلدان المسلمين، تخضع هذه القراءات لقانون، بحسب كل جماعة لغوية، ففى مصر تخضع قراءة القراء لقانون النبر، لا تكاد قراءاتهم تشذ عنه.

مواضع النبر وقواعده فى اللغة العربية

للنبر فى اللغة العربية قواعد مطردة، بل إن أطرادها ربما كان أثبت من اطراد قواعد النحو [2]

وتتسم قواعد النبر هذه بأنها قليلة، لأنها تدور حول توالى العدد القليل من المقاطع فى الكلمة، أو فى السياق. ومن ثم فإنها يسهل تطبيقها ومعالجتها واستخلاص ما تشتمل علية من نتائج.

وثمة دراستان جديرتان بالاهتمام قام بهما عالمان جليلان، لتحديد مواضع النبر واستخلاص القوانين الحاكمة لهذه المواضع.

أولاً: الدراسة التى قام بها العالم اللغوى الدكتور/إبراهيم أنيس، فى كتابه: الأصوات اللغوية.

ثانياً: الدراسة التى قام بها العالم الجليل الدكتور/تمام حسان، فى كتابه: مناهج البحث فى اللغة.

ويمكننا أن نقسم النبر فى اللغة العربية إلى نوعين رئيسيين:

أولاً: نبر الكلمة أو الصيغة الصرفية.

ثانياً: نبر الجملة أو السياق الكلامى.

---

(1) انظر: القافية والأصوات العربية ١٥٢ وما بعدها.

(2) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١٧١

أولاً: نبر الكلمة (النبر الصرفى)

إن نبر الكلمة أو الصيغة الصرفية المفردة، هو نبر صامت، صمت القاعدة نفسها، وصمت اللغة كذلك. وهذا النوع من النبر إنما يمثل مقررات القاعدة، ولا علاقة بينة وبين متطلبات السياق:

والحق، فإن طبيعة الصياغة العربية لأبنيتها ومفرداتها، قد مكنت العلماء من تصنيفها وتقسيمها فى أقسام وأوزان صرفية. صحيح أن هذه القوالب والموازين تستوعب كثيراً من مفردات وألفاظ القالب بدقة تامة، لكن بعض الألفاظ والمفردات قد تختلف أو تخرج عن قالبها وميزانها! لكن هذه القوالب والأوزان فى نهاية الأمر، هى الوعاء المناسب لصبِّ الصيغة واحتوائها.

واللغة العربية بهذه الميزة قد امتلكت الوسيلة التى تمكن العلماء من تحديد مواضع النبر على صيغها وأوزانها، بل إنها كما يبدو تتميز عن لغات أخرى عديدة توصف بإنها لغات نبرية فى هذا التحديد الصرفى.

ويصبح النبر حينئذ على مستوى الصيغة الصرفية أو الكلمة ذا قيمة صرفية، تتمثل فى تقديم القيم الخلافية؛ التى تفرق بين معنى صرفى ومعنى آخر ويمكن بواسطة النبر أن نفرق بين طوائف من الصيغ مثل: فَعِل، فعَّل، فاعل فعيل حيث يفرق بين الكلمات الأربع بالكمية وبين الثلاثة الأولى، وبين الرابعة بالنبر حيث يقع النبر فى الكلمات الثلاث الأولى على المقطع الأول، فى حين يقع النبر فى الكلمة الرابعة على المقطع الثانى[1].

---

[1] انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١٧١

ولبيان كيفية كون النبر فى اللغة العربية من وظيفة الميزان الصرفى، وليس من وظيفة المثال أو اللفظة،ففى كلمة: فاعلْ: fácil باعتبارها صيغة صرفية أو قالباً لأمثلتها، فإن النبر يقع فيها على المقطع الأول، هكذا: ص حَ' ح + ص ح ص، فى حالة تسكين آخرها.

وهذه الصيغة: فاعلْ،باعتبارها ميزاناً صرفياً، لأمثلة عديدة من ألفاظ اللغة ومفرداتها، فإن النبر يقع فيها جميعها على المقطع الأول، ففى كلمة: عاملْ، قاتلْ ناجحْ، وكاتبْ.وغيرها، فإن النبر يقع فيها على المقطع الأول: ص حَ' ح، وأما صيغة: مفعولْ: mafcul، باعتبارها قالباً أو ميزاناً صرفياً، =

وعلى الرغم من أن التقسيم الصرفى للكلمات العربية، يعد تقسيما محكماً، إلا أن هذا التقسيم ليس يسيراً أو سهلاً فى حالة التقعيد، فأوزان الصيغ العربية كثيرة العدد، مما يؤدى إلى كثرة القواعد الحاكمة لموضع النبر على هذه الصيغ. ومن ثم فإن اتخاذ النظام المقطعى للصيغ، وتحديد مواضع النبر من خلال المقاطع، يعدّ أكثر تحديداً وتدقيقاً وتناولاً، لأن عدد المقاطع فى اللغة العربية هى خمسة مقاطع، ثلاثة أساسية واثنان فرعيان، وبذلك يمكن تحديد مواضع النبر فى مواضع المقاطع المحدودة، مما يؤدى إلى الاختصار فى عدد قواعد النبر، وسهولة ضبطها وتحديدها.(١)

ويمكننا فى ضوء هذا التيسير، باعتماد النظام المقطعى فى اللغة العربية أساساً لتحديد مواضع النبر فيها، فإننا قبل أن نوضح القانون الأساسى الذى يحكم مواضع النبر على مقاطع الكلمة، ينبغى أن نذكر بأن نبر الكلمة أو الصيغة، يمكن أن ينقسم بحسب الشدة والقوة إلى نوعين اثنين:

أولاً: النبر الرئيسى (الأول) ويرمز له بالرمز: ˈ فوق قمة المقطع أو ذروته أى فوق الحركات، قصيرة كانت أم طويلة.

ثانياً: النبر الثانوى: ويرمز له بالرمز: ˌ فواق قمة المقطع أو ذروتة، أى فوق الحركات القصيرة أو الطويلة كذلك.

= لأمثلة لغوية عديدة، فإن النبر يقع فيها على المقطع الثانى، هكذا: ص ح ص + ص حˈ ح ص، فى حالة تسكين الآخر. وأما فى صيغة: مستفعل mustafcil، باعتبارها قالباً أو ميزاناً صرفياً، لأمثله لغوية عديدة، فإن النبر يقع فيها على المقطع الثانى، هكذا، ص ح ص + ص حَˈ ص + ص ح ص فى حالة تسكين الآخر.

وهكذا مع بقية الأوزان والقوالب اللغوية العربية، فإنه يمكن تحديد مواضع النبر عليها وبالتالى على أمثلتها العديدة، التى تمثل مفردات اللغة وألفاظها.

(١) يختلف العلماء العرب والدارسون حول عدد المقاطع العربية، ففى حين يجعلها بعضهم خمسة مقاطع، يرى آخرون بأنها ستة مقاطع.

أولاً: مواضع النبر الرئيسى وقواعده

أولاً: يكون النبر الرئيسى فى الكلمة على المقطع الأخير، إذا كان هذا المقطع من النوع الرابع: ص ح ح ص المديد المغلق، أو من النوع الخامس: ص ح ص ص. الزائد الطول المغلق.

ولا يمكن أن يوجد هذان المقطعان فى اللغة العربية الفصحى، إلا فى حالتين:

١) فى حالة التقاء الساكنين على حدهما (كما يقول العلماء العرب) أى إن الصامت الأخير فى نهاية المقطع، هو نفسه الصامت الأول فى بداية المقطع التالى. مثال ذلك، قولنا: وللضالِّين.حيث تتألف الكلمة من المقاطع الآتية: ضالّ لينْ = ص ح ح ص + ص ح' حَ ص، بنبر المقطع الأخير.

٢) فى حالة الوقف: وأمثلتها عديدة فى اللغة العربية، ومثال ذلك قولنا. مفعولْ،بتسكين الآخر،ويكون النبر فيها هكذا،ص ح ص + ص ح ح' ص وكذلك أمثلة: يفعلانْ، بتسكين الأخر، فيكون النبر على المقطع الأخير هكذا: ص ح ص + ص ح + ص ح ح' ص. وكذلك فى أمثلة: فُعْلْ أو فِعْلْ أو فَعْلْ، ومِصْرْ وقُفْلْ وعَصْرْ وهى تتألف من مقطع واحد هو: ص ح ص ص، ويقع عليه النبر الرئيسى.(١)

ثانياً: يكون النبر على المقطع قبل الأخير، إذا لم تكن الكلمة منتهية بالنوعين السابقين، وذلك فى الحالات الآتية: (٢)

١) إذ كان المقطع قبل الأخير طويلاً والمقطع الأخير قصيراً.

---

(١) انظر: الأصوات اللغوية ١٧٧ ومناهج البحث فى اللغة ١٩٥ واللغة العربية معناها ومبناها ١٧٢-١٧٣ والبيان فى روائع القرآن ٢٦٢-٢٦٣ ويقع النبر أيضاً على المقطع الأخير فى جميع الكلمات أحادية المقطع وذلك فى مثل: قِ: فعل أمر: يتألف من مقطع واحد ص ح، عَدْ: فعل أمر، يتألف من مقطع طويل مغلق ص ح ص، فى: حرف الجر، يتألف من مقطع طويل مفتوح ص ح ح وهكذا.

(٢) انظر: الأصوات اللغوية ١٧٢ واللغة العربية معناها ومبناها ١٧٣ ومناهج البحث فى اللغة ١٩٥ ومدخل إلى علم اللغة ٨١

ومن أمثلة ذلك:أعطيت: تتألف من: ص ح ص + ص ح' ص + ص ح

٢) إذا كان المقطع قبل الأخير طويلاً والمقطع الأخير طويلاً مثله:

ومن أمثلته ذلك: ينادى: تتألف من: ص ح + ص ح' ح + ص ح ح

مُعلِّمْ: تتألف من: ص ح + ص ح' ص + ص ح ص

٣) إذا كان المقطع قبل الأخير قصيراً، والأخير قصيراً مثله:

ومن أمثلته: استفهمَ: تتألف من: ص ح ص + ص ح ص + ص ح' + ص ح، قاتلَ: تتألف من:

ص ح ح + ص ح' + ص ح، يكْتبُ: تتألف من: ص ح ص + ص ح' + ص ح، انطلقْ: تتألف من: ص ح ص + ص ح' + ص ح ص

١) إذا كان ماقبل الأخر طويلاً، اغتفر فيه التقاء الساكنين، ولم يكن الأخير طـويلاً آخر.مثال ذلـك: أتحـاجونى: تتـألف مـن: ص ح + ص ح + ص ح' ح + ص ح ح + ص ح ص، دوييــه: تتــألف مــن: ص ح ح + ص ح' ص + ص ح ص

ثالثاً: يقع النبر على المقطع الثالث من الآخر، فى الحالات الآتية:

١) إذا كان المقطع الثالث الآخر قصيراً متلواً بقصيرين:

ومثال ذلك: كتب: تتألف من: ص ح' + ص ح + ص ح

وكذلك جميع الأفعال الثلاثية فى الزمن الماضى السالمة والمهموزة والمثال.

ومثال: علَّمك: تتألف من: ص ح ص + ص ح' + ص ح + ص ح

٢) إذا كان المقطع الثالث من الآخر قصيراً متلواً بقصير وطويل:

مثال ذلك: لَعِبَ: تتألف من: ص ح' + ص ح + ص ح ص

وكذلك: فَرِحٌ: تتألف من: ص ح' + ص ح + ص ح ص

وكذلك: عِنَبٌ: تتألف من: ص ح + ص ح + ص ح ص

وكذلك: بلَحٌ: تتألف من: ص ح' + ص ح + ص ح ص

٣) إذا كان المقطع الثالث من الآخر طويلاً متلواً بقصرين:

مثال ذلك: بيتك: تتألف من: ص ح' ص + ص ح + ص ح

٤) إذا كان المقطع الثالث من الآخر طويلاً: متلواً بقصير وطويل:

مثال ذلك: بينكم: تتألف من: ص ح' ص + ص ح + ص ح ص

مثل: مصطفى: تتألف من: ص ح' ص + ص ح + ص ح ح

ومثل: اخرجوا: تتألف من: ص ح' ص + ص ح + ص ح ح

ومثل: نَظْرةْ: تتألف من: ص ح' ص + ص ح + ص ح ص

ومثل: بَسْمة: تتألف من: ص ح' ص + ص ح + ص ح ص

٥) كما يقع النبر على المقطع الثالث قبل النبر الأول، وإذا كان هذا المقطع المذكور، يكوّن مع اللذين يليانه، فيقعان بينه وبين النبر الأولى، أحد النماذج الآتية.(١)

أ) طويل + قصير + طويل، قبل النبر الأول: مثال ذلك:

يستقيمونْ: تتألف من: ص ح' ص + ص ح + ص ح ح + ص ح ح' ص

مستجيبونْ: تتألف من: ص ح' ص + ص ح + ص ح ح + ص ح' ح ص

مستطيلاتْ: تتألف من: ص ح' ص + ص ح + ص ح ح + ص ح' ح ص

ب) طويل + قصير + قصير، قبل النبر الأول، مثال ذلك: ينطلقونْ:

تتألف من: ص ح' ص + ص ح + ص ح + ص ح' ح ص، يستبقونْ:

تتألف من: ص ح' ص+ ص ح + ص ح + ص ح + ص ح ح' ص

محترمون: تتألف من: ص ح' ص + ص ح + ص ح + ص ح' ح ص

ج) قصير + قصير + قصير، قبل النبر الأول، مثال ذلك

بقَرتانْ: تتألف من: ص ح' + ص ح + ص ح + ص ح ح' ص

---

(١) انظر اللغة العربية معناها ومنباها ١٧٤

كلمتانْ: تتألف من: ص ح' + ص ح + ص ح + ص ح ح' ص

ضَرَبتانْ: تتألف من: ص ح' + ص ح + ص ح + ص ح ح' ص

ولا يقع النبر على سابق على ما ذكرنا.

رابعاً:يقع النبر على المقطع الرابع من الآخر، إذا كان الأخير طويلاً والرابع من الأخير قصيراً، وبينهما قصيران، وذلك فى مثل:[1]

بَلَحَةٌ: تتألف من: ص ح' + ص ح + ص ح + ص ح ص

يرثنى: تتألف من: ص ح' + ص ح + ص ح + ص ح ح

يعدهم: تتألف من: ص ح' + ص ح + ص ح + ص ح ص

وَسِعةٌ: تتألف من: ص ح' + ص ح + ص ح + ص ح ص

ضربها: تتألف من: ص ح' + ص ح + ص ح + ص ح ح

وفى هذه الحالة الأخيرة، يغلب فى المقطع الأخير أن يكون تنويناً أو إضماراً أو إشباعاً. ولايقع النبر على مقطع يسبق هذا الرابع من الآخر[2] وفى هذه الحالة من النبر تعد من الحالات النادرة الوقوع فى اللغة العربية.[3]

وهذه القواعد التى أسلفناها لمواضع النبر فى اللغة العربية الفصيحة، كما يلتزم بها قراء القرآن الكريم فى مصر، تقوم على أساس النظر إلى مقاطع الكلمة المفردة من الآخر أى من مقطعها الأخير. فإذا كان المقطع الأخير من المقطعين: ص ح ح ص أو ص ح ص ص الزائد الطول المغلق، أو المديد المغلق، فإن النبر يقع عليها. وإلا نظرنا إلى المقطع الذى قبل الأخير. فإن كان من النوع الثانى أو الثالث الطويل المغلق: ص ح ص والطويل المفتوح: ص ح ح، حكمنا بأنه موضع النبر أما إذا كان من النوع الأول؛ القصير المفتوح: ص ح: نظرنا إلى ما قبله فإن كان مثله، أى من

---

[1] انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١٧٤ والأصوات اللغوية ١٧٢

[2] انظر: اللغة العربية معناها ومنباها ١٧٤

[3] انظر: الأصوات اللغوية ١٧٢

النوع القصير المفتوح: ص ح– أيضاً – كان النبر على هذا المقطع الثالث من الآخر ويكون النبر على المقطع الرابع من الآخر فى حالة كون المقاطع الثلاثة التى قبل الآخر من نوع المقطع القصير المفتوح: ص ح. (١)

وقبل أن ننتقل للحديث عن قواعد النبر الثانوى فى الكلمة أو فى الصيغة الصرفية، نلقى بعض الضوء على مواضع النبر وقواعده فى الكلمة على مستوى اللهجات العربية الحديثة، ونخص بالذكر اللهجات المصرية.

والملاحظ أن مواضع النبر فى اللهجات المصرية الحديثة، تختلف عن مواضعها فى اللغة العربية الفصحى، ومن ثم فإنها تخضع لقوانين مختلفة عن قوانين النبر فى اللغة العربية الفصحى ففى لهجات الصعيد الحديثة نلاحظ اختلافات فى مواضع النبر عن مواضعه فى لهجات الوجه البحرى بوجه عام. وثمة اختلافات، أخرى فى مواضع النبر بين أقاليم الصعيد أيضاً وكذلك ثمة اختلافات أخرى فى مواضع النبر بين أقاليم الوجه البحرى أيضاً.

ففى كلمة: ربنا: حسبما تنطق بها لهجات أهل الصعيد بعامة هكذا: rā̆b binih، مع إغلاق المقطع الأخير بهاء، السكت نجدهم يؤثرون النبر على المقطع الثالث حين نعدُّ من الآخر هكذا: ص ح ح' +ص ح + ص ح ص حيث نلاحظ إطالة حركة المقطع الأول، مع اختلاس كسرة المقطع الثانى ويحدث هذا الأمر فى نبر المقطع الثالث حين يعد من الآخر، عندما يكون المقطع قبل الأخير، من النوع الأول القصير المفتوح: ص ح أما أهالى الوجه البحرى وكذلك سكان القاهرة بوجه عام، مع ملاحظة وجود فرق عند بعض أقاليم الوجه البحرى، فإنهم يجعلون النبر فى الكلمة: ربنا، هكذا rab bi nih على المقطع الثانى من الآخر هكذا: ص ح ص + ص ح' + ص ح ص مع إغلاق المقطع الأخير المفتوح ــ كذلك ــ بهاء السكت ــ أو باختلاس حركة المقطع الأخير عند بعضهم الآخر.

ويمكننا التمثيل لهذا الاختلاف فى مواضع النبر بين الإقليمين الشمالى البحرى

---

(١) انظر: الأصوات اللغوية ١٧٣

والجنوبى الصعيدى بما يأتى: ففى كلمة: كتبهم، جمع كتاب المسندة إلى ضمير الجمع للغائبين، فعند أهالى الوجه البحرى والقاهرة، تنطق هكـذا ku tu bu hum بنبـر المقطع الرابع حين تعد من الآخر هكذا:

ص ح[1] + ص ح + ص ح + ص ح ص. فى حين نجد أهالى الصعيد ينبـرون المقطع الثالث حين نعد من الآخر هكذا:ku tu bu hum ، مع اخـتلاس وتخفيـف حركة المقطع الثانى من الآخر، قبل الأخير.

ومما هو ملاحظ أن أهالى الصعيد، ينقلون النبر إلى المقطع الثالث حين تعد من الآخر، إذا كانت الكلمة غير متنهية بمقطع من النوعين الرابع والخـامس، ص ح ح ص، ص ح ص ص. وكان مقطعها قبل الأخير من النوع الأول.فى حين نلاحـظ أن أهالى الوجه البحرى وسكان القاهرة، لا ينقلون النبر فى مثل هذه الحالات إلا حـين يكون المقطعان، قبل الأخير وما يسبقه،من النوع الأول. ففى كلمة: بلحه: ba li hih كما ينطبقها أهالى الصعيد، باختلاس حركة المقطع الثانى والإتيان بهاء السكت فـى المقطع الثالث، يقع النبر على المقطع الثالث هكـذا: ص ح + ص ح + ص ح ص لكن أهالى الوجه البحرى وسكان القاهرة، ينبرون المقطع الثانى أى ما قبل الآخـر هكذا: ص ح + ص ح + ص ح ص

مواضع النبر الثانوى وقواعده

تنحصر مواضع النبر الثـانوى علـى الكلمـة أوالكلمـات التـى تزيـد علـى مقطعين،حيث يقع هذا النبر، بعد تمتع المقطع بالنبر الأولى الرئيسى. ومن هنا فـإن مجال النبر الثانوى أضيق فى الكلمة، وإن كان وجوده أكثر فى الكلمات أو العبارات والجمل.

ومواضع النبر الثانوى فى الكلمة العربية تتنوع وتتعدد. كما هو الحال فـى النبر الرئيسى ويمكننا تحديد مواضع النبر الثانوى على الوجه الآتى:

أولاً: يقع النبر الثانوى على المقطع الذى قبل المقطع المنبور نبراً رئيسياً، إذا كـان

المقطع الثانوى طويلاً من النوع الرابع: ص ح ح ص. [١]

ومثال ذلك؛ كلمة: ضالّين: تتألف من مقطعين هكذا:

ص ح ح' ص + ص ح ح' ص.حيث يقع النبر الرئيسى على المقطع الأخير:لينْ = ص ح ح ص، فى حين يقع النبر الثانوى على المقطع: ضالْ = ص ح ح ص.

ومثال ذلك ـ أيضاً ـ كلمة: مدْهامّات، تتألف من مقطعين طويلين من نوع ص ح ح ص هكذا: ص ح ص+ ص ح ح ص+ ص ح ح ص، حيث يقع النبر الرئيسى على المقطع الأخير، فى حين يقع النبر الثانوى على المقطع قبل الأخير.

ومثال ذلك ـ أيضاً ـ شابّات:تتألف من مقطعين من النوع الرابع:

ص ح ح ص،هكذا ص ح ح' ص + ص ح ح' ص،حيث يقع النبر الرئيسى على المقطع الأخير، ويقع النبر الثانوى على المقطع قبل الأخير.

ثانياً: يقع النبر الثانوى على المقطع الذى بينه وبين المقطع المنبور نبراً رئيسياً مقطع آخر، إذا كان المقطع الثانوى المنبور، يكونَ مع الذى يفصل بينه وبين المقطع المنبور نبراً رئيسياً أحد الأنساق الآتية: [٢]

أ) مقطع طويل + مقطع طويل، ومثال ذلك:

كلمة: علّمناه، تتألف من: ص ح' ص + ص ح ص + ص ح ح' ص

كلمة: مستبْقينْ: تتألف من: ص ح' ص + ص ح ص + ص ح ح' ص

كلمة: يستخفون: تتألف من: ص ح' ص + ص ح ص + ص ح ح' ص

كلمة: عاشرناهم، تتألف من: ص ح ح + ص ح ص + ص ح ح + ص ح ص

ب) مقطع طويل + مقطع قصير: ومثال ذلك:

كلمة: مستقيم، تتألف من: ص ح' ص + ص ح + ص ح ح' ص

(١) انظر: مناهج البحث فى اللغة ١٩٦ واللغة العربية معناها ومبناها ١٧٤

(٢) انظر: مناهج البحث فى اللغة ١٩٦ واللغة العربية معناها ومبناها ١٧٤

ثالثاً: يقع النبر الثانوى على المقطع قبل المنبور نبراً رئيسياً، إذا كانت المقاطع الثلاثة السابقة لهذا المقطع المنبور نبراً رئيسياً تكون نسقاً فى صورة:[1]

مقطع طويل + مقطع قصير + مقطع قصير أو مقطع طويل. ومثال ذلك كلمة: مستجمين، تتألف من: ص ح' ص + ص ح + ص ح ص + ص ح ح' ص

وكلمة، يستفيدون،تتألف من:

ص ح' ص + ص ح + ص ح ح +ص ح ح' ص

وكلمة: محتملوهم: تتألف من:

ص ح' ص + ص ح + ص ح + ص ح' ح + ص ح ص

ولا يقع النبر الثانوى فى الكلمة العربية على المقطع الرابع السابق للمقطع المنبور نبراً رئيسياً.

بين النبر الرئيسى والنبر الثانوى

يؤدى النبر الرئيسى وظائفه على مستوى الكلمة المفردة، ومن ثم فإن مجاله هو المجال الصرفى، حيث تتباين الأوزان والصيغ الصرفية بفعل تأثير النبر ومواضعه لكن النبر الثانوى،يعد قيمة إيقاعية فى المقام الأول، ومن ثم فإن مجال تحقيقها يتضمن الكلمة؛ التى لابد من اشتمالها على أكثر من مقطعين، للدرجة التى تطلب النطق بها ضرورة توفر التوازن الإيقاعى بين مقاطعها وأجزائها.

كما أن السياق،يعد مجالاً هاماً من مجالات النبر الثانوى، حيث يتطلب السياق ضرورة وجود عنصر الإيقاع، حتى يحدث التوزان والتماسك بين عناصر العبارة أو الجملة، وما قد يطرأ عليها من خلل بسبب ما يتطلبه السياق فى زيادات تمثل اللواحق والسوابق والحروف والأدوات وغيرها، ويعجز النبر الرئيسى وحده عن إحداث هذا التوازن والتماسك.

- فالنبر الرئيسى إذن مجاله ومنطقة عمله تنحصر فى الكلمة المفردة، ومن ثم

---

[1] انظر: مناهج البحث فىاللغة ١٩٦ - ١٩٧ واللغة العربية معناها ومبناها ١٧٤

فإن قيمته هى قيمة صرفية محضة.

– أما النبر الثانوى، فمجاله يشتمل كلاً من الكلمة، شريطة أن تكثر مقاطعها، لحاجتها إلى عنصر التوازن الإيقاعى. وكذلك: الجملة والسياق للقيام بنفس وظيفة التوازن الإيقاعى، لعدم قدرة النبر الرئيسى على النهوض بذلك وحده.

– إذا كنا نحدد مواضع النبر الرئيسى من مؤخرة الكلمة، أى بحسب مقاطعها من الآخر، فإن تحديد مواضع النبر الثانوى تحسب من نقطة إنتهاء النبر الرئيسى.

– ضرورة وجود مسافة سابقة بين موضع النبر الأولى والنبر الثانوى، بمقدار مقطعى يساوى كلمة عربية واحدة، مع مراعاة ما يتطلبه التركيب المقطعى من حركات وصوامت.

ففى كلمة، يستميلونْ: التى تتألف من التركيب المقطعى الآتى:

(ص ح' ص + ص ح +ص ح ح + ص ح ح' ص) أى من أربعة مقاطع: يقع النبر الرئيسى فيها على المقطع الأخير: ص ح ح ص، لأنه من النوع الرابع. ويقع النبر الثانوى فيها على المقطع الرابع حين نعد من الآخر: ص ح ص. حيث نجد أن كمية الحركات والصوامت المشكلة للمقاطع السابقة للمقطع المنبور نبراً رئيسياً،هى بمقدار كلمة عربية واحدة، فيتكون التركيب المقطعى:

يستجى = ص ح ص + ص ح + ص ح ح مساوياً مثلاً للتركيب المقطعى للكلمة العربية: يرتقى = ص ح ص + ص ح + ص ح ح

– وبسبب أن هذه المسافة السابقة على النبر الرئيسى ليست كلمة من كلمات الأوزان العربية، على الرغم من وفرة مقاطعها التى تمتلكها من نسيج كلمة عربية، لهذا السبب لم يقع عليها النبر الرئيسى، وإنما وقع عليها النبر الثانوى.

– يعدُ إيقاع النبر الرئيسى أقوى إسماعاً ووضوحاً من نظيره النبر الثانوى،حيث إن ضغط الحجاب الحاجز على الرئتين يكون أقوى منه عند إيقاع النبرالثانوى.

– تحتاج اللغة العربية إلى درجة من التوازن الإيقاعى، بسبب ما يطرأ على سياقاتها من تطويل وتقصير أو من زيادة وتجرد أو من اتصال وانفصال، ولا يمكن

للنبر الرئيسى وحده من النهوض بهذا التوازن الإيقاعى، وإنما يحتـــاح إلـــى النبـــر الثانوى لإحداثه.

– كلما تقاربت أعداد المقاطع بين كل من النبر الرئيسى والنبر الثانوى أو انتظم اختلاف بعضها عن بعض، حسن إيقاعها.[1]

[1] انظر: البيان فى روائع القرآن ٢٦٨–٢٧٠

ثانياً : نبر الجملة (النبر الدلالى)

يعد نبر الجملة هو القسيم الثانى لنبر الكلمة فى اللغة العربية، وهو نبر سياقى،يقوم بدور دلالى هام فى تحديد القيم الدلالية لسياقات اللغة وتراكيبها المختلفة.

والمقصود بنبر الجملة أن "يعمد المتكلم إلى كلمة فى جملته،فيزيد من نبرها، ويميزها على غيرها من كلمات الجملة، رغبة منه فى تأكيدها أو الإشارة إلى غرض خاص. وقد يختلف الغرض من الجملة تبعاً لاختلاف الكلمة المختصة بزيادة نبرها." [1]

ففى قولنا ــ مثلاً هل سافر أخوك أمس ؟

فإن الغرض الدلالى يختلف بحسب اختلاف مواضع النبر على أجزاء الجملة.أو بحسب النبر الزائد فى كلماتها.

فإن كان النبر الزائد (الرئيسى) واقعاً على الكلمة: سافر، فتكون دلالتها الأساسية أن المتكلم يشك فى حدوث السفر.

---

[1] انظر: الأصوات اللغوية ١٧٤ وكذا: مناهج البحث فى اللغة ١٩٧

- حيث نجد اختلافاً بين نبر الصيغة ونبر السياق، على الرغم من اتفاقهما أحياناً، وأن نبر السياق يمكن وصفه، فى حين يأتى نبر الصيغة تأكيدياً أو تقريرياً، بمعنى أن دفعة الهواء فى النبر التأكيدى تكون أقوى منها فى النبر التقريرى.وأن درجة الصوت تكون أشد منها فى النبر التأكيدى منها فى النبر التقريرى.
- كما تلاحظ أن أى مقطع فى المجموعة الكلامية (أى الجملة) معالج لأن يكون موضعاً للنبر سواء أكان فى وسطها أو فى آخرها.
- وأن المسافة بين حالتى نبر رئيسى وثانوى،أو رئيسى ورئيسى آخر،أو ثانوى وثانوى آخر، لاتتعدى أربعة مقاطع.وأن المتحكم فى هذه المسافات هو عامل التوازن الإيقاعى فى الكلام.
- وليس بالضرورة أن يقع النبر الرئيسى أولاً متلواً بنبر ثانوى، على التعاقب، فقد تتجاوز حالات من النبر الرئيسى أو من النبر الثانوى، دون أن يتخللها النوع الآخر.
- كما نلاحظ أن المسافة بين كل حالتى نبر تبدو وكأنها متساوية تقريباً،وهذا ما نسميه بالإيقاع.

أما إذا كان النبر الرئيسى على الكلمة: أخوك، فتكون دلالتها الأساسية فى الشك فى فاعل السفر، فقد يكون شخصاً آخر هو الذى قام بالسفر.

أما إذا كان النبر الرئيسى على كلمة: أمس،فإن دلالتها الأساسية تكون فى الشك فى تاريخ السفر.

وكذلك الحال فى قولنا: كسر الطفل الزجاج،فإذا كان التركيز على فعل الكسر، وقع النبر الرئيسى على الفعل: كسر.أما إذا كان التأكد من أن الطفل وليس غيره من الكبار هو فاعل الكسر، وقع النبر الرئيسى على الفاعل: الطفل أما إذا كان التأكد على أن الزجاج هو المكسور، وليس شيئاً آخر وقع النبر الرئيسي على كلمة:الزجاج

وتركيز النبر الرئيسى على الكلمة المنبورة فى الجملة، بهدف تحديد المعنى، لا يعدو أن يكون زيادة فى نبر المقطع الهام فيها. ففى كلمة: أخوك، التى تتألف من التركيب المقطعى: ص ح + ص ح ح ح' + ص ح   >a h̲ū k a

فإن المقطع المنبور فيها، هو المقطع قبل الأخير = ص ح 'ح

وهذا الموضع المنبور،المقطع الطويل المفتوح ص ح ح، هو موضع النبر فى الكلمة: أخوك، فى حالة إفرادها، وفقاً لقواعد النبر فى الكلمات المفردة، وليس ثمه اختلاف سوى فى زيادة شدة النبر.

وكذلك الحال فى المثال الثانى: فإن كلمة: الزجاج،تتألف من التركيب المقطعى: ص ح ص + ص ح + ص ح ح ص   >az zuǧāǧ   فإن موضع النبر فيها يقع على المقطع الأخير،لأنه من النوع الرابع المديد المغلق ص ح ح ص. ويقع عليه النبر فى حاله كون الكلمة مفردة، وليس من اختلاف فى موضع النبر فى كونها فى سياق، عن وضعها مفردة، إلا فى زيادة شدة النبر فى السياق.

«قيم النبر ووظائفه فى اللغة العربية»

يؤثر النبر باعتباره فونيما تطريزياً تأثيرات هامة على مستوى الصيغة الصرفية من جهة، وعلى مستوى السياق اللغوى والجملة والتراكيب اللغوية على أختلاف صورها من ناحية أخرى. وتتنوع تأثيرات النبر وقيمه على كافة مستويات اللغة، سواء على المستوى الصوتى أو المقطعى: حيث يؤثر النبر على أنماط التراكيب المقطعية فيحدث لبعض المقاطع تقصير أو تطويل، وقد يحدث لبعضها إغلاق أو انفتاح،كما قد يحدث اندماج بين مقطعين أو أكثر، أو تفريق وتكثير لمقطع واحد. وهذا التغير المقطعى الذى يحدثه النبر يؤثر بالتالى على أبنية اللغة وصيغها الصرفية، فيؤدى إلى تعديلها أو تغييرها. ومن ثم، فإننا نستطيع القول بأن النبر فى حقيقته إنما هو ظاهرة سياقية، لأن كل القواعد التى ذكرت للنبر آنفاً،ليست واحدة منها تمثل حلاً لمشكلة معينة، فى موضع معين. ولكنها – فقط – تمثل نظام النبر للكلمة المفردة، ذلك النظام الذى استخلصه العلماء من خلال قراءة النص القرآنى الكريم وتلاوته، باعتباره النصّ اللغوى الوحيد، الذى ورد إلينا متواتراً نطقاً ومشافهة، كما أنزل على النبى محمد ﷺ وفيما يلى نقدم صوراً متنوعة، تمثل قيم النبر وتاثيراته على مستويات اللغة العربية:

أولاً: ظاهرة التوصيل إلى النطق بالساكن: فالكلمة المبدوءةبالساكن فى بداية الكلام، تستوجب من المتكلم أن ينطق بهمزة، يطلق عليها همزة الوصل ليتمكن من النطق بواسطتها عبور هذا الحاجز الساكن. وبذلك يتغير التركيب المقطعى، من المقطع (ص) إلى تركيب مقطعى طويل مغلق (ص ح ص).

وبذلك فإن همزة الوصل، قد غيرت التركيب المقطعى، الذى يمثل القاعدة الأصلية لنظام اللغة إلى تركيب مقطعى آخر يمثل قواعد الأداء والنطق الفعلى.

– فى حين نجد الكلمة المبدوءة بالساكن،فى وسط الكلام، تتطلب حلاً آخر، يستوجب تغيير النظام المقطعى الأصلى للغة، إلى نظام مقطعى يتواءم مع قواعد الأداء والنطق الفعلى فى السياق.وذلك بفعل تأثيرات النبر الطارىء على المقاطع

حسب متطلبات الأداء ويمكن التمثيل لهذه الظاهرة بالأمثله الآتية:

كلمة: الكاتب:يتألف تركيبها المقطعى فى بداية الكلام من:al+kā + tib <

هكذا = ص ح ص + ص ح[1] ح + ص ح ص.حيث تحول المقطع (ص) وفق قواعد النظام الأصلى للغة. إلى مقطع أدائى فعلى بواسطة همزة القطع، إلى التركيب: ص ح ص

أما إذا وقعت كلمة: الكاتب فى وسط الكلام هكذا: جاء الكاتب.. فإن لكل من الفعل:جاء والاسم: الكاتبُ تركيباً مقطعياً بأصل قاعدة اللغة وهو:

جاء = ص ح ح + ص ح،الكاتب:ص ح ص+ ص ح ح + ص ح ص.

فإذا وضعنا الكلمتين فى سياق لغوى، تغيرت التراكيب المقطعيـة لكـل منهمـا هكذا: (ص ح ح + ص ح ص + ص ح ح + ص ح ص) بدلاً من.

(ص ح ح + ص ح + ص ح ص +ص ح ح + ص ح ص) حيـث نجـد المقطع الثانى من صنع الظاهرة السياقية ومتطلبات الأداء، حيث امتد المقطع الكلامى من نهاية كلمة سابقة إلى بداية كلمة لاحقة، وحل محل مقطعين من مقاطع النظـام الأصلى للغة هما: ءِ =ص ح فى الفعل:جاء، لْ (ص) فى:ال من كلمة الكاتب.

وبالتالى تاثرت قيم النبر ومواضعه الطارئة فى تشكيل تراكيب مقطعية مختلفـة استوجبتها متطلبات السياق والأداء الفعلى، وبالتالى تغيرت مواضع النبر الرئيسـى والثانوى هى الأخرى.

ثانياً: ظاهرة الكمية:ففى الكلمات المنتهية بحروف المد الثلاثـة: الألـف والـواو والياء إذا وقعت قبل كلمة مبدوءة بالساكن، فإن الحركة الطويلة أو حرف المدّ يفقد كمية الطول، ويصبح مجرد حركة قصـيرة. وبالتـالى تتغيـر التراكيـب المقطعية، بسبب قواعد السياق والأداء الفعلى، عما كانت عليه فـى القاعـدة الأصلية لنظام اللغة.ويتسبب فى هذا التقصير ذلك النبر الطارىء على مقـاطع العبارة أو الجملة.

ففى الكلمة: الجندى: تنتهى بالمقطع الطويل المفتوح: دى = ص ح ح

وفى الكلمة: الهمام: تبدأ بالمقطع المتناهى الصغر: لْ = ص

وعندما تكون منهما عبارة: الجندى الهمام، فإن التركيب المقطعى للمقطعين السابق ذكرهما يكونان التركيب المقطعى المديد المغلق: ديلْ = ص ح ح ص. ولكن بسبب انتقال مواضع النبر، تأثر تكوين هذا المقطع، وتحول إلى التركيب المقطعى: ص ح ص، دِ لْ، يفقد كمية الهواء اللازمة لطوله! وتحولت الحركة الطويلة أو المد إلى مجرد كسرة قصيرة. وليس تقصير الياء هنا كما ذكر العلماء العرب بسبب التخلص من التقاء الساكنين حيث إن الياء ليست ساكنة، ولكنها حركة طويلة، وإنما بسبب تأثير النبر الطارىء وتغير مواضع النبر فى الأداء الفعلى والسياق.

ثالثاً: من الظواهر التى تستوجبها ضرورات الأداء الفعلى والسياق، الإتيان بهاء السكت أو الإشباع وألف الندبة وإطلاق القافية، وغيرها من ضرورات الأداء. ويعدُّ النبر الطارىء على مواضعه المختلفة سبباً فى تغيير التراكيب المقطعية لمثل هذه الحالات السابقة. ففى كلمة: حسابيه ـ مثلاً ـ فى قوله تعالى: ﴿ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ [الحاقة / ٢٠].

فإن الكلمة قبل هاء السكت تتألف من التركيب المقطعى:

حسابى = ص ح + ص ح ح + ص ح ح.اقتضت ضرورات الأداء القرآنى الكريم الإتيان بهاء السكت فتغيرت مواضع النبر، وبفعل هذا التغير للنبر الطارىء، تغيرت التراكيب المقطعية للكلمة، وتحول المقطع الطويل المفتوح فى آخر الكلمة =ص ح ح، إلى تركيبين اثنين هما:ص ح + ص ح ص حيث قصرت الحركة الطويلة فى نهاية الكلمة، الياء إلى مجرد كسرة قصيرة، فكانت هاء السكت لإغلاق المقطع. للحفاظ على إيقاع الفاصلة القرآنية الكريمة.

رابعاً: ما يطراء على الصيغ الصرفية من زوائد كسوابق أو لواحق، تؤثر فى تغيير تراكيب الصيغ المقطعية، ويؤثر بدورة النبر الطارىء فى تكوينات المقاطع وتراكيبها.

ففى الفعل المضارع: يسعى، فإن تركيبه المقطعى يتألف من:

ص ح ص + ص ح ح. وعند إسناده إلى واو الجماعة، تقتضى ضرورات

الإداء السياقى أن تقصر الألف المقصورة إلى حركة فتحة قصيرة، بسبب تأثير النبر الطارىء الذى أثر بدوره فى تراكيب الصيغة مقطعياً.. وتحول التركيب الأصلى لنظام اللغة من التركيب المقطعى:يسعاونَ = ص ح ص + ص ح ح ...ح ح + ص ح إلى التركيب المقطعى الذى يمثل الأداء السياقى وإمكانياته هكذا:

ص ح ص + ص ح ص +ص ح حيث أثر النبر الطارىء فى تقصير الألف المقصورة، فتحولت إلى مجرد فتحة قصيرة لصوت العين، ثم يحدث انزلاق صوتى بين هذه الفتحة القصيرة وواو الجماعة،فينشأ الصوت الانزلاقى: aw، الذى يشكل مع الصامت السابق عليه التركيب المقطعى: عَوْ: ص ح ص.

كما يتأثر النبر بدوره بما يحدث للصيغ المفردة أو فى تراكيب الكلام من تغيرات تقتضيها ضرورات تكوين الصيغ الصرفية، والتراكيب السياقية فى الأداء اللغوى المنطوق.

ويؤدى ذلك إلى انتقال النبر عن مواضعه فى المقاطع، فيتقدم تارة ويتأخر تارة أخرى.

١) فالفعل الثلاثى: شرب sa ra ba يتألف من التركيب المقطعى:

ص ح' + ص ح + ص ح، حيث يقع النبر على المقطع الثالث حين نعد من الآخر.

عندما نصوغ منه المضارع:يشرب yaš + ra + bu، يتألف من التركيب المقطعى:

ص ح ص + ص ح' + ص ح،فإن النبر ينتقل إلى المقطع قبل الأخر.

٢) والفعل الخماسى: انصلح:in sa la ha <-، يتألف من التركيب المقطعى:

ص ح ص + ص حَ +ص ح + ص ح، حيث يقع النبر فيه على المقطع الثالث حين نعد من الأخر = صَ وعندما نصوغ المصدر منه:انصلاحٌ

in si la hun <-، يتألف من التركيب المقطعى:ص ح ص + ص ح + ص ح ح' + ص ح ص.

فإن النبر ينتقل إلى المقطع قبل الأخير: لا = ص ح ح

٣) عند إسناد الأفعال إلى الضمائر، ويستتبع ذلك تغييراً فى التركيب المقطعى، فإن مواضع النبر تتغير أيضاً. فعند إسناد الفعل: شرب sǎ + ra+ba، الذى يتألف من التركيب المقطعى: ص ح[١] + ص ح + ص ح، بنبر المقطع الثالث حين نعد من الآخر.

عند إسناده إلى تاء الفاعل: شـرب:sa + rab + tu، يتـألف مـن التركيب المقطعى: ص ح + ص ح[١] ص + ص ح، حيث انتقل النبر إلى المقطع قبل الأخير، وكذلك الحال فى إسناده إلى ضمير المتكلمين (نا) sǎ + rab + na

تتألف من:ص ح + ص ح[١] ص + ص ح ح، انتقل النبر إلى المقطع قبل الأخير كذلك.

أما إذا أسند إلى واو الجماعة:sǎ ra bū، يتألف من ص ح + ص ح + ص ح ح فإن النبر يبقى على ما هو عليه فى المقطع الثالث حين نعد الأخر.

٤) عند إسناد المصادر إلى الضمائر ــ أيضاً ــ وتتغير تراكيب المقاطع بها، فـإن النبر تتغير مواضعه كذلك. مثال ذلك:استقبال: is + tik + bā + lun <

يتألف من: ص ح ص + ص ح ص + ص ح[١] ح + ص ح ص، بنبر المقطع: با= ص ح ح قبل الأخير.وعند إسناده إلى ضـمير المتكلمـين: نــا، هكــذا: استقبالنا is + tik + bā +lu +nā<، تتألف من:

ص ح ص + ص ح ص + ص ح ح + ص ح[١] + ص ح ح. فإن النبر ينتقـل إلى المقطع: لُ = ص ح القصير المفتوح. ومن الملاحظ أن انتقال النبر فيما ذكرناه لا يتجاوز مقطعاً واحداً، على أنه فى بعض الأحيان، قد يتجاوز مقطعين.(١)

ففى مثل الفعل: شرب sa + ra + ba يتألف من: ص ح[١] + ص ح + ص ح

عند إسناده إلى خطاب جمع الإناث: شربتين sǎ + rab + tun +na، يتألف من

---

(١) انظر: الأصوات اللغوية ١٧٧

ص ح + ص ح ص + ص ح' ص + ص ح، ينتقل النبر إلى المقطع قبل الأخر.

وحول تأثير النبر فى لغة الشعر، نذكر بعض النماذج التى أثر النبر فيها، تارة بتطويل الحركات القصيرة، وتارة أخرى بتقصير الحركات الطويلة. وقد أدى ذلك إلى تغيير فى التركيب المقطعى لهذه الكلمات.

١) فمن النماذج التى قصرت فيها الحركات الطويلة:قول عبد المطلب:[١]

عزت بما عاذ به إبراهمْ

حيث قصرت الياء الطويلة فى كلمة: إبراهيم إلى مجرد كسرة قصيرة.

والتركيب المقطعى الأصلى للكلمة:ص ح ص+ ص ح ح+ ص ح ح' ص بالوقف حيث يقع النبر على المقطع الأخير المديد المغلق: ص ح ح ص، تحول هذا التركيب إلى التركيب: ص ح ص + ص ح ح' + ص ح ص، بنبر المقطع قبل الأخير حيث أثر انتقال النبر عن موضعه إلى تقصير الحركة الطويلة فى الكلمة.

٢) ماوراه أبو زيد فى نوادره [٢]

أنا على طول الكلالِ التوّانِ

حيث تم تقصير حركة الياء الطويلة فى كلمة: التوانى، إلى مجرد كسره قصيرة بسبب تأثير النبر الطارىء.فالتركيب المقطعى الأصلى للكلمة هو:

ص ح ص + ص ح + ص ح ح' ص + ص ح ح، الذى قصرت فيه الياء هكذا: ص ح ص + ص ح + ص ح 'ح + ص ح. وذلك للتخلص من التركيب المقطعى: ص ح ح ص، الذى لايرد فى الشعر أصلاً.

ومن أمثلة تأثير النبر فى تطويل الحركات القصيرة ما يلى:قول الراجز:[٣]

يترك سيلا جارح الكلومِ　　　مناقعاً بالصعصف الكرتُومِ

---

[١] المعرب، للجو البقى ٩ / ١، ١٣ / ١

[٢] النوادر، لأبى زيد ١٠٣ والخزانة ٣/٣٢٤

[٣] اللسان ١٢/٥١٦ ومعجم البلدان ١٢-٢٥

ففى كلمة: الكرتُم، طالت حركة الضمة بسبب النبر الطارىء فى الكلمة، حيث تحول التركيب المقطعى الأصلى للكلمة وهو:

ص ح ص + ص ح ص + ص ح + ص ح، إلى التركيب المقطعى:

ص ح ص + ص ح ص + ص ح ح + ص ح، حيث أثر النبر على المقطع قبل الأخر فأطال حركته. وكقول الشاعر: (١)

لا أحد لى بنيضال   أصبحت كشنَّ البال

ففى كلمة: نِضال، طالت حركة الكسرة القصيرة، بسبب النبر الطارىء، فتحولت إلى ياء طويلة، وتحول التركيب المقطعى الأصلى للكلمة وهو:

ص ح + ص ح + ص ح ح' + ص ح، إلى التركيب:

ص ح + ص ح ح' + ص ح ح + ص ح، حيث أثر النبر الطارىء على المقطع الثالث حين نعد من الأخر على تطويل حركتة.

ولعل مما يذكر حول تأثير النبر على أوزان الصيغ الصرفية، ما حدث من تغيير لصيغة المصدر من الوزن: فاعل، التى هى فى الأصل القديم: فيعال. حيث إن من طبيعة اللغة العربية أن تقصر الحركات الطويلة، فى المقطع المفتوح، إذا كان يسبق مقطعاً آخر منبوراً ذا حركة طويلة.(٢)

ففى المصدر الأصلى للفعل:فاعل،فيعالُ: ص ح ح' + ص ح ح + ص ح

نبر المقطع الأول، وقد ترتب على خلو المقطع الأول من النبر أن قصرت حركتة فصارت الصيغة: فِعالُ، وتركيبها المقطعى، ص ح + ص ح ح' + ص ح. وأصبحت هذه الصيغة: فعال، هى الصيغة المستعملة فى أمثلة هذا الوزن ونماذجه فنحن نقول: قاتل، ومصدره:قتال. وشارك،ومصدره:شراك.بدلا من البناء الأصلى للغة: فيتال، شيراك!!

---

(١) أسرار العربية،لابن الانبارى ٤٤

(٢) انظر: التطور اللغوى ١٢٨

وقد فطن إلى ذلك المبرد، إذ يقول: ويجيء في: فاعل الفعال، نحو: قاتلته قتالاً،وراميته رماء، وكان الأصل: فيعالاً، لأن فاعلت على وزن: أفعلت وفعللت،فكان المصدر كالزلزال والإكرام، ولكن الياء محذوفة من: فيعال، استخفافاً، وإن جاء بها جاء فمصيب.(١)

فى حين نجد أن هذه الياء الطويلة: تبقى كما هى بسب النبر الثانوى الذى وقع على مقطعها هكذا: دينارُ، تتألف من: ص ح حˈ + ص ح ˈح + ص ح، حيث يقع النبر الأساسى على المقطع قبل الأخير، ويقع نبر ثانوى تسبب فى إطالة كسرة الدال، فنشأت الحركة الطويلة ياء المد.

وبسبب زوال هذا النبر فى بعض اللهجات الحديثة، فقد قصرت الحركة لمجرد كسرة قصيرة.

هكذا: دِنارْ: ص ح + ص ح ˈح ص. بتسكين الآخر،، وكذلك قول بعض العامة فى: ميعاد، ميعاد: بتقصير الكسرة الطويلة إلى كسرة قصيرة، بسبب زوال النبر الثانوى عن المقطع الأول كذلك، فأصبحت: دنارْ هكذا:

ص ح + ص ح ˈح ص وأمثلة كثيرة فى اللهجات العامية، قصرت فيها الحركة الطويلة إلى حركة قصيرة بسبب انحسار النبر الثانوى عن مقاطعها ومن ذلك كلمة: فِرانْ بدلاً من: فيرانْ، جمع فأر حيث تحول تركيبها المقطعى من:

ص ح ˈح + ص ح ˈح ص مع التسكين إلى: ص ح + ص ح حˈ ص وكذلك كلمة، كنون فى كانون، موقد النار عند الفلاحين فى القرى ونحوها، تحول التركيب المقطعى فيها من: ص حˈ ح + ص ح حˈ ص، بنبر المقطع الأول نبراً ثانوياً، إلى: ص ح + ص ح ح ص بانحسار النبر الثانوى عن المقطع الأول، وبقاء النبر الرئيسى فقط من المقطع الأخير.

– وعلى العكس من ذلك نجد أن لهجة الأندلس العربية، فى القرن الرابع الهجرى مثلاً:كانت تنبر المقطع الأول من صيغة: فِعال،فتطول حركته، بعد أن كانت

---

(١) المقتضب. للمبرد ٢/١٠٠ وشرحان على مراح الأرواح ١٦

قصيرة وذلك فى مثل قولهم: طيراز وتيلاد، وثيمار وطيحال، وإيكاف، بدلاً من:طراز، تِلاد، وثِمار، وطِحال، وإكاف.[1] ففى الكلمات السابقة جمعياً، كان التركيب المقطعى الأصلى فى قواعد اللغة العربية هو: ص ح + ص ح' ح ص، عند تسكين أواخرها جمعياً، بنبر رئيسى فقط على المقطع الآخر المديد المغلق ص ح ح ص. وبسبب النبر الطارىء الثانوى، على المقطع الأول فقد طالت حركته وأصبح التركيب المقطعى لهذه الكلمات على ألسنة الأندلسيين فى هذا الزمان هو:

ص ح 'ح + ص ح ح' ص، مع تسكين الآخر بنبر رئيسى على المقطع الأخير ونبر ثانوى على المقطع الأول.

- ويبدو أن هذا النبر على المقطع الأول عند الأندلسيين كان شائعاً بها فى كثير من الكلمات فقد روى ابن حزم الأندلسى (ت ٤٥٦هـ) أنهم كانوا يقولون: العينب، فى: العنب[2] كما روى عنهم ابن هشام قولهم: سر فى داعة الله، بدلاً من: دعة الله، وكذلك: باعوضه: فى: بعوضة: وعينب: فى عنب، وعامود فى عمود.[3] ففى كلمة عينب بإطالة الكسرة القصيرة التى وردت فى النصين السابقين، فإن النبر الثانوى الطارئ على المقطع الأول منها هو السبب فى هذه الإطالة فالتركيب المقطعى لكلمة: عنب هو:

ص ح + ص ح' ص، وبتأثر المقطع الأول بالنبر الثانوى تحول التركيب المقطعى إلى: ص ح 'ح + ص ح' ص.

أما كلمة: دعة: فتركيبها المقطعى هو: ص ح + ص ح' ص، وبسبب النبر الثانوى الطارئ، تحول التركيب المقطعى للكلمة إلى:داعةً هكذا:

ص ح ح' + ص ح' ص بتطويل الفتحة القصيرة إلى ألف طويلة أما فى كلمة: باعوضه وعامود، فإن الفتحة القصيرة فيها كانت تتأثر بالنبر الثانوى الطارئ

---

[1] انظر لحن العوام، للزبيدى ٧٦،٧٨

[2] انظر: الإحكام لابن حزم ١/٣٠

[3] انظر المدخل إلى تقويم اللسان ١٣٧، ٥٣، ٦٦

أيضاً،حيث كان التركيب المقطعى للأولى هو: بعوضه:

ص ح + ص ح ح + ص ح' ص بنبر المقطع الأخير فقط وبتأثير النبر الثانوى أصبح التركيب المقطعى، ص ح 'ح + ص ح ح + ص خ' ص وفى الثانية: عمود فكان تركيبها هو: ص ح + ص ح 'ح ص، وبتأثير النبر الثانوى الطارئ أصبح تركيبها المقطعى: ص ح 'ح + ص ح ح' ص

كما أورد ابن كمال باشا(ت ٩٤٠هـ) عن عامة عصره أنهم كانوا يقولون: الإيباء فى: الإباء، والآوان فى الأوان.

وفى كلتا الكلمتين فقد تأثرتا بفعل النبر الثانوى الطارئ على المقطع، فطالت حركة الأولى إلى ياء طويلة هكذا:

ص ح ص + ص ح + ص ح 'ح ص: التسكين، وطالت حركة الثانية إلى المد بالفتحة هكذا: ص ح ص + ص ح 'ح + ص ح 'ح ص، بالتسكين.

يكثر مثل ذلك فى لهجاتنا الحديثة أيضاً فهم يقولون: عينبْ. طوحال، كوتب إيبر، عومر وكلمات كثيرة غيرها، بإطالة الحركات القصيرة إلى الحركات الطويلة وأصل الكلمات السابقة هو عنب، كُتب، إبر، عمر...

كما يؤثر وجود النبر ـ أحياناً ـ فى سقوط الحركات من المقاطع التالية للنبر، فقد دلت الملاحظة ـ مثلاً ـ على أنه إذا توالى فى اللغات السامية مقطعان قصيران، أولهما منبور: فإن حركة المقطع الثانى تسقط فى الكلام، ففى العربية مثلاً: [1]

– وَهْوَ بدلاً من: وَهُوَ فالتركيب المقطعى الأصلى:ص ح + ص 'ح + ص ح، أثر النبر فى المقطع الأول، على المقطع الثانى، فانحسرت وزالت حركته فأصبح التركيب المقطعى هو: وَهْوَ هكذا: ص ح' ص + ص ح بإدماج المقطعين الأول والثانى فى مقطع واحد منبور. بعده مقطع قصير مفتوح.

– وكلمة مَعْهُ بدلاً من: مَعَهُ: فالتركيب المقطعى الأصلى هو:

---

(1) انظر: التطور اللغوى ١٣٠

ص ح' + ص ح + ص ح حيث أثر نبر المقطع الأول على حركة المقطع الثانى فأزالها. واندمج المقطعان الأول الثانى، فـأصبح التركيب المقطعى للكلمــة: ص ح' ص + ص ح.

– وكذلك فى الكلمة: فلْنذهبْ بدلاً من فلِنذهبْ: حيث أثر النبر على المقطع الأول فى زوال حركة المقطع الثانى، واندماجهما فى مقطع واحد.

– فالتركيب الأصل هو: ص ح+ ص ح + ص ح ص + ص ح ص. تحول إلى: ص ح' ص+ ص ح ص + ص ح ص نبر ثانوى على المقطع الأول وبنبر رئيسـى على المقطع قبل الآخر.

– وأما الكلمة: يذَّكرْ، الناتجة عن: يتْذكرْ، بحسب قانون المخالفة، بـدلاً مـن: يَتَذكرْ فالتركيب الأصلى لمقاطعها هو: يتذكر، هكذا:

ص ح' + ص ح + ص ح' ص + ص ح ص مع التسكين فى الآخـر، بنبـر رئيسى على المقطع قبل الأخير، وبنبر ثانوى على المقطع الأول، وقد أثر هذا النبـر الثانوى على حركة المقطع الثانى فأزالها وأصبح التركيب المقطعى هو: يَتْذكر، هكذا: ص ح' ص + ص ح' ص + ص ح ص، باندماج المقطعين الأول والثانى فى مقطع طويل مغلق بنبر ثانوى،وبنبر رئيسى على المقطع قبل الأخر! كما أن سقوط حركـة لام الأمر الداخلة على المقاطع، عند اتصالها بالفاء أو الواو أمـرٌ لازم فـى قـراءة القرآن الكريم، فلم ترد الصورة الأصلية للظاهرة فى أية قراءة قرآنية [1] ويقول ابن خالويه: فلو قرأ قارئ: فلِينظر الإنسان بكسر اللام: لكان سائغاً فى العربية، غير أنه لايقرأ به، إذا لم يتقدم به إمام، والقراءة سنة، يأخذها آخر عن أول، ولا تحمل على قياس العربية.[2] حيث نجد تأثير النبر الثانوى فى جميع القـراءات القرآنيـة علـى حركة المقطع الثانى، فالتركيب المقطعى فى أصل اللغة هو: ص ح + ص ح + ص ح ص + ص ح ص بالتسكين والتركيب المقطعى بتأثير النبر الثانوى فـى جميـع

---

(1) التطور اللغوى ١٣٠

(2) إعراب ثلاثين سورة ٤٢

القراءات هو:

ص ح ص + ص ح ص + ص ح ص ويمكننا فى ضوء هذا القانون أن نفسر سبب توالى الفتحة، قبل تاء التأنيث فى بعض المؤنثات فى اللغات السامية. ففى العربية تقول: أخت، وبنت[١] حيث أثر النبر الثانوى على المقطع الأول فيهما إلى استقاط الحركة، الفتحة فى الأولى والكسرة فى الثانية، واندمج المقطعان للكلمة فى مقطع واحد هكذا: ص ح ص ص الزائد الطول المغلق، مع تسكين الآخر بدلاً من المقطعين الأصليين هما: ص ح + ص ح ص مع تسكين الآخر ومن أمثلة ذلك فى اللغات السامية الأخرى، كلمة: Rest: بمعنى:ميراث. وكلمة: habt، بمعنى: هبة فى الحبشية. إذ الأصل فيهما: Resat، habat وكذلك: šartu بمعنى اشعر، béltu: بمعنى: زوجة أو سيدة بعلة فى اللغة الأكادية، فإن الأصل فيهما هو: šaratu، bélatu، وما أشبه ذلك [٢]

وكذلك يمكننا تفسير ما أورده الكسائى،من أن بعض كنابة يقولون: معندك ؟ مصنعت؟ [٣] أن ذلك راجع إلى انتقال النبر من: ما الاستفهامية إلى ما بعدها فى العبارتين. فى لغة كنانة، فأدى إلى تقصير حركتها إلى مجرد فتحة قصيرة ففى قولهم: معندكْ ؟ بتسكين الآخر فإن تركيبها المقطعى الأصلى هو: ما عندك هكذا: ص ح' ح + ص ح' ص + ص ح ص، فأثر انحسار النبر الثانوى على الحركة الطويلة فقصرت إلى مجرد فتحة قصيرة وأصبح التركيب المقطعى هو: ص ح' + ص ح ص + ص ح ص بنبر رئيسى واحد. وكذلك الحال فى الكلمة الثانية. كما يمكننا عن طريق النبر أن نحدد بعض العبارات والصيغ التى يدخلها اللبس أحياناً فتختلط دلالتها فى أذهان المستعمين لها أو القارئين من ذلك مثلاً: العبارة: عظيم الأخلاق، للمفرد، والعبارة: عظيمو الأخلاق، للجمع. فقد تتشابه العبارتان فى آذان

---

(١) انظر: التطور اللغوى ١٣٠

(٢) انظر: التطور اللغوى ١٣١

(٣) شواهد التوضيح، لابن مالك ٢١٥

المستمع، ولا يستطيع التفريق بينهما إلا عن طريق النبر...

ففى العبارة الأولى فإن التركيب المقطعى فيها:

ص ح + ص ح ح + ص ح ص + ص ح' ص + ص ح' ح ص

ففى العبارة الثانية فإن التركيب المقطعى فيهـا:: ص ح + ص ح' ح + ص ح ص + ص ح ص + ص ح' ح ص، حيث النبر الرئيسى فيهما على المقطع الأخيـر المديد المغلق ص ح ح ص والنبر الثانوى فى العبارة الأولى علـى المقطـع الأول، والنبر الثانوى فى العبارة الثانية على المقطع الثالث حين نعد من الآخر.

كما أن كلمة: ليلى، وليلاء، ويسمعها المستمع كلمة واحدة، ولايفرق بينهما إلا النبر فيكون النبر فى: ليلى، هكـذا: ص ح' ص + ص ح ح علـى المقطـع الأول ويكون النبر فى: ليلاء، هكذا:ص ح ص + ص ح 'ح على المقطع الأخيـر حيـث تسقط الهمزة.

وبعد، فإننا نستطيع القول بأن العلماء العرب: لم يتناولوا النبر باعتباره فونيماً تطريزياً، يمتلك بضغوطاته المتنوعة على المقاطع والصيغ والتراكيب القـدرة علـى تغييرها وتحديد مدلولاتها.

وهم عندما تحدثوا عن النبر، إنما كانوا يقصدون به تحقيق نطق همزة القطع، فى مقابل تسهيلها أو تخفيفها عند الحجازيين، على النحو الـذى ذكـره أبـو زيـد الأنصارى أنه قال: أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون وقـف عليهـا عيسى بن عمر. فقال: ما أخذت من قول تميم إلا النبر، وهم أصحاب نبـر، وأهـل الحجاز اذا اضطروا نبروا." [١] ويذكر أحد الباحثين المحدثين أن العربية قد عرفت النبر، وعبرت عنه، بمسمياتها المختلفة كـالهمز والعلووالرفـع ومطـل الحركـات والارتكاز والإشباع والمد والتوتر والتضعيف،وكلها تفضى إلى مستوى دلالي واحـد بوظائف مختلفة تباينيه للسياق وبرمز القيم الاستدلالية فى النص اللغوى.[٢] أمـا

---

(١) اللسان (نبر) ٧/٤٠

(٢) انظر الأصوات اللغوية د/ عبد القادر ٣٢٩ وما بعدها

مطل الحركات، فقد ذكرها ابن جنى بقوله: " حكى الفراء عنهم، أكلت لحمــاً شــاة. أراد: لحم شاة، فمطل الفتحة، فأنشأ عنها ألفاً:[1] وقال أيضاً: " الحركات عند التــذكر يمطلن، وذلك كقولهم عند التذكر مع الفتحة فى قمت، قمتا. ومع الكسرة: أنتــى أى: أنتِ. ومع الضمة:قمتو فى:قمتُ"[2] فالمطل إذن عند ابن جنــى، هــو زيــادة قــوة الارتكاز بالإشباع أو التضعيف وذلك يكون بضغط زائد على مقطــع مــن المقــاطع لإبرازه فى السمع.ومن ذلك أيضاً ماورد عن سيبويه فى نقله: مقروء: مقروّ، حيث تحول التوتر من همزى إلى توتر تضعيف[3] وهذا هو مايطلق عيه: النبر القصــدى أو الغرضى: Aimed stress.

---

[1] الخصائص ٣/١٢٣

[2] الخصائص ٣/١٢٩

[3] القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ١٥١

الفصل الثانى

القيم اللغوية لفونيم المقطع

أهمية المقطع وجدواه

اختلفت آراء العلماء حول أهمية المقطع وجدواه فى الدراسات الصوتية فثمة فريق منهم يرى بألا أهمية للمقطع، تذكر منهم: سويت: Sweet الذى يصرح برفضه قائلاً: " إن القسم الوحيد الذى يتحقق فى الكلام عملياً، هو المجموعة النفسية التى تعود إلى الضرورة العضوية للتنفس.

وأما رويشل: Rousselot: فإنه يقول " إن الكلمة والمقطع كليهما لا يوجد إلا فى الكلام.

كما ذكر سكربتور Scribture" أن الكلام لا يحتوى على قوالب من الأصوات، كما تمثلها الحروف، أو المجموعات أكبر كالمقطع. " (١) وبعد انتشار الدراسات التجريبية والبحوث المعملية، حظيت دراسة المقطع والاهتمام به بعناية العلماء والباحثين، وخفت بالتالى حملات الرافضين حيث أثبتت تلك التجارب والفحوص المعملية التجريبية، وأن الصدر لا يواصل ضغطا ثابتاً خلال المجموعة النفسية وأن عضلات الصدر تنتج نبضة منفصلة من الضغط لكل مقطع[٢].

وأكب العلماء على دراسة المقاطع الصوتية. بعد ما تيقنوا من وجودها فى الأحداث الكلامية وأهميتها فى تقسيم المنطوقات بحسب الخفقات الصدرية الممثلة لحقيقة المقطع نطقياً وأصبحت دراسة المقطع باعتبارد فونيماً تطريزياً مؤثراً تأخذ مكانتها عند العلماء والباحثين.

ونقدم فيما يلى مجموعة من الأسباب التى تبين أهمية دراسة المقطع وقيمته:[٣]

---

(1) H , stetson: Motor Phoneties , b , 135
(2) H , stetson: Motor Phoneties , b , 3

(٣) انظر: دراسة الصوت اللغوى ٢٣٨ وما بعدها.

أولاً: أن اللغة كلام،والمتكلمون لا يستطيعون نطق أصوات الفونميات كاملة بنفسها، أو هم لا يفعلون ذلك، إن استطاعوا، وإنما ينطقون الأصوات فى شكل تجمعات هى: المقاطع، ولذا يقال: إنه فى المقطع يخرج الفونيم إلى الحياة ولكى تصف المقطع أنت تخبر كيف تشكله الفونيمات، ولتصف الفونيمات، أنت تدرس كيف تنظم نفسها فى المقاطع.(١)

ثانياً: يساعد المقطع كثيراً فى اتخاذ قرار بالنسبة لأفضل تحليل لصوت أو مجموعة صوتية، تعد من الناحية الصوتية غامضة.

ثالثاً: يعد المقطع هو مجال العمل بالنسبة للطرق الثلاثة الأكثر أهمية، التى تعدل أصوات الكلام وهى ١- النبر (كلمة أو جملة) ٢- الإطالة ٣- صعود درجة الصوت وهبوطه.

رابعاً:المقطع موجود أردنا أم لم نرد،فالمقاييس العروضية فى بعض اللغات عروضية، كما أن بعض طرق الكتابة قد وضعت على أساس مقطعى.

خامساً: المقطع يشكل درجة فى السلم الهرمى للوحدات الصوتية، التى تشكل كل منها من أصغر وحدة تسبقه. فالوحدة الصغرى هى الفونيم، أو يأتى المقطع المكون من فونيمات بترتيب معين، ثم تأتى مجموعة النغم.

سادساً: لقد أثبتت التسجيلات الصوتية أن المتحدثين الذين يتمهلون فىكلامهم، يظنون أنهم يتكلمون فى شكل الأصوات منفصلة، أنهم واهمون، لأنهم ينتجون مقاطع فى واقع الأمر(٢)

سابعاً: المقطع يعد أكبر وحدة يمكننا الاحتياج إليها فى شرح كيفية تجمع الفونيمات فى اللغة، فإذا فحصنا تركيب مقطع مفرد أمكننا أن نعتبر الوحدات الكبرى كتتابعات من المقاطع. (٣)

---

(1) H , stetson: Motor Phoneties p , 47
(2) H, stetson: motor phonetics , p25
(3) H, stetson: motor phonetics, p.2

ثامناً: الكلمة، مصطلح له فى المقام الأول مغزى نحوى، أما المصطلح الأساسى الفونولوجى الخاص لمجموعة من الصوامت والحركات لها مركز الوحدة، فهو المقطع.

والمقطع بهذا الاعتبار أصغر وحدة يمكن نطقها بنفسها. (١)

تاسعاً: يعد المقطع أساساً لاكتساب طريقة النطق المطابقة لنطق أصحاب اللغة. فأحسن طريقة للتعوّد على النطق الصحيح للنغمات الصوتية، وللوقفات الموجودة فى لغة أجنبية هى نطق الكلمات. أو مجموعة الكلمات ببطء، مقطعا مقطعا، مع الوقفات الصحيحة بين كل مقطع ومقطع. وبالتدريج يزيد المرء من سرعة نطق الحدث الكلامى، حتى يصل إلى السرعة العادية. (٢)

تعريفات المقطع :

اختلفت ــ أيضاً ــ وجهات نظر العلماء وآراؤهم، حول تعريف المقطع، باختلاف اتجاهاتهم ومناهجهم فى البحث.فثمة اتجاه يعرف المقطع أكوستيكيا، واتجاه آخر، يعرفه نطقياً مادياً، واتجاه ثالث يعرفه وظيفياً فونولوجياً.

كما يمكن أن يرجع هذا الاختلاف حول تعريف المقطع، إلى أن الأجهزة التى يمكن الاعتماد عليها فى الدراسات الصوتية، لم تكن حتى هذا الوقت، تمكنّ العلماء أو تتيح لهم القدرة على أن يعينوا حدود المقاطع على المنحنيات والرسوم التى يحصلون عليها. (٣)

ونحن إذ نوجه اهتمامنا فى تعريف المقطع على الاتجاهين الأسايين وهما:

١) اتجاه النطقى (المادى). ٢) الاتجاه الوظيفى (الفونولوجى)

فإننا سنشير أيضاً إلى الأسس الأخرى المؤثرة فى تحديد المقطع وبيان ماهيته.

---

(1) D, Bolinger: Aspects of language ,p 48

(٢) أسس علم اللغة ٩٧

(٣) علم الأصوات، مالمبرج ١٥٤ ومدخل للصواتة التوليدية ٦٤

أولاً: الاتجاه النطقى:

وقد تعددت تعريفات العلماء ومنطلقاتهم لتحديد ماهية المقطع فـي إطـار هـذا الاتجاه حيث يرى بعضهم:

١) المقطع: عبارة عن تتابع من الأصوات الكلامية، له حد أعلى أو قمة إسـماع طبيعية، تقع بين حدين أدنيين من الإسماع.(١)

٢) المقطع: عبارة عن قطاع من تيار الكلام: يحوى صوتاً مقطعياً ذا حجم أعظم، محاطاً بقطاعين أضعف أكوستيكيا.(٢)

٣) المقطع: عبارة عن أصغر وحدة فى تركيب الكلمة. (٣)

٤) المقطع: عبارة عن عنصر أو أكثر خلالها نبضة صدرية واحدة قمة إسماع أو بروز (٤)

٥) وقد ركز بعض العلماء على الناحية الفسيولوجية، فعرف المقطـع علـى أنـه نبضة صدرية أو وحدة منفردة لتحرك هواء الرئتين: لا تضمن أكثر من قمـة كلامية، أو قمة تموج مستمر من التوتر فى الجهاز العضلى النطقى، أو نفخـة هواء من الصدر.(٥)

---

(1) R. W. Robins: General linguistics , p,137

كان هذا التعريف، هو الشائع فى الفكر الصوتى التقليدى، حيث كان العلماء ينظرون إلـى المقطـع على أنه يتكون من حركة تعتبر دعامة أو نواة، يحوطها بعض الصوامت.حيث اكتسبت هذه التسمية لأنها التى تصوت مع شيء آخر،لأنها لا تصوت وحدها. كما أطلق على الحركات مصوتات، لأنهـا قادرة على التصويت دون الاعتماد على شيء آخر.انظر، علم الأصوات،مالمبرج ١٥٥

(2) T. Malewski: I ntroduction to study of language, p. p 148-159

(3) K. Pike: phonemics , p, 193

(4) K. Pike: phonemics , p, 60

(5) H,Stetson: Base of phonology, p, 52

حيث قام بقياس نشاط عضلات التنفس، وقد لاحظ وجود علاقة بين المقاطع وبين تشنج العضـلات التنفسية، وقارن بين المنحنيات فى هذه التنوعات العضلية، مع منحنى التوتر المسـموع، ورأى أن ثمة تقابلاً كاملاً، فى أثناء إنتاج المقطع، يتزايد هذا التوتر المسموع ويتناقص متوازياً مع تنوعات نشاط العضلات التنفسية. كما أنه تشير منحنيات التوتر هذه، إلى التقابل بين المقاطع والحدود =

فنحن فى أثناء الكلام نلاحظ أن الضلوع السفلى من القفص الصدرى،يتم تثبيتها فى حالة الرفع عند الزفير، بينما تتوالى عضلات البطن ضغط الهواء، وهكذا يتوتر النشاط فى فراغ الصدر، فيزيد ذلك من توتر الحجاب الحاجز الذى يقوم بمقاومة نشاط عضلات البطن، وبذلك يتم التحكم فى عملية الزفير بواسطة التوازن بين القوتين.. وهكذا فإن الزفير الذى يصاحبه نطق بمجموعة نفسية معينة، فإنه يتم طرده فى صورة قمم مقطعية ووديان مقطعية.(١)

ثانياً : الاتجاه الفونولوجى (الوظيفى) :

ويعرف المقطع فى ضوء معطيات هذا الاتجاه بالنظر إلى كونه وحدة فى كل لغة على حدة، وحينئذ لابد أن يشير تعريف المقطع إلى عدد من التتابعات المختلفة من الصوامت والحركات، بالإضافة إلى عدد من الملامح الأخرى،مثل: الطول والنبر والتنغيم، أو إلى حركات مفردة أو صوامت مفردة، تعتبر فى اللغة المعينة كمجموعة واحدة بالنسبة لأى تحليل آخر. (٢) ويستوجب هذا، أن التعريف الفونولوجى للمقطع لابد أن يكون تعريفاً خاصاً باللغة المعينة، أو بمجموعة اللغات المشتركة فى خصائصها الصوتية، وليس ثمة تعريف فونولوجى عام،لأن فى ذلك مخالفة للحقيقة. المؤكدة بأن لكل لغة نظاماً مقطعياً خاصاً بها (٣)ومن تعريفات المقطع فونولوجياً:

١) المقطع: عبارة عن الوحدة التى يمكن أن يشمل درجة واحدة من النبر، أو

= القصوى للتوتر كما سجلها العالم الألمانى: زوينر zwiner وتتفق هذه المعطيات الفيزيقية مع النظرية الفسيولوجية لعلماء الأصوات الفرنسيين. الذين يرون أن زيادة شد العضلات فى الفم والحنجرة، يتجلى فيزيقياً فى تقوية وترالأصوات.وقد تأكد ستيتسون Setetsonالذى قاس ضغط الشفتين واللسان. وقاس ضغط الهواء فى الفم، فلاحظ ضغطاً أكثر قوة فى البداية، وأقل قوة عند نهاية المقطع.

انظر: علم الأصوات، مالمبرج ١٦٢

(١) انظر: دراسة السمع والكلام ٢٦٥-٢٦٦ وأصوات اللغة ١٤١

(2) R.H.Robins , General linguitics , p 137

(٣) دراسة الصوت اللغوى ٢٤٢

وقفة واحدة، كما فى كثير من اللغات.(١)

٢) ويعرفه دىسوسير أنه الوحدة الأساسية،التى يؤدى الفونيم وظيفة داخلها.(٢)

الأساس السمعى للمقطع:

اهتم علماء الأصوات، بدراسة الأساس السمعى للمقطع، وهم يرون أن نواة المقطع أو قمته، تتمز بالنطق الواسع، وهذا الاتساع فى النطق، يجعل منها دائماً أعلى مكوناته فى السمع. وهذا هو الذى جعل أصحاب النظرية التقليدية التى تمتد إلى كل من دى سوسير De soussure ويسبرسن O Jesperson: يجعلون من الوضوح السمعى أساساً لتغير المقطع. حيث نجد: يسبرسن، يقسم الأصوات فى مجموعات يمكن ترتيبها تنازلياً أو تصاعدياً. من حيث قوة وضوح إسماعها. وتأتى الصوائت الواسعة ــ عنده ــ طبقاً لهذا التصنيف فى قمة الأصوات وضوحاً سمعياً، تليها الصوائت الضيقة، ثم تتبعها الصوائت نصف الرنانة (الإنطلاقية غير المحتكة). ثم الانطلاقية الاحتكاكية المجهورة، ثم الانطلاقية الاحتكاكية المهموسة، ثم الانفجارية المجهورة، وتمثل الانفجارات المهموسة أدنى درجات سلم الوضوح السمعى.(٣)

---

(1) R. H. Robins general linguistics, p, 136

(2) H, stetson , Bases of phonology , p ,17

(٣) انظر: دراسة السمع والكلام ١٦٧ وانظر: أصوات اللغة ١٣٤ وما بعدها حيث يقسم الأصوات بحسب قوة إسماعها تصاعدياً ــ فى أية لغةــ على حسب الترتيب الأتى:

١) أصوات عديمة الإسماع: وهى الأصوات الانحباسية المهموسة،مثل P. K.

٢) أصوات قوة إسماعها. (١): وهى الأصوات الانحباسية المجهورة، وهى أصوات يمكن سماعها دون انفجار... حيث يتوقع سماع لصوت بعد فترة وجيزة من حدوثه ويمثل لها بالأصوات G , D , B:

٣) أصوات قوة إسماعها. (٢): وهى الأصوات الاحتكاكية المهموسة، وتتفاوت قوة إسماعها بحسب قوة انطلاق الهواء.وتمثلها الأصوات: H , S , F

٤) أصوات قوة إسماعها. (٣): وهى الأصوات الاحتكاكية المجهورة. وتمثلها الأصوات: Z. V

٥) أصوات قمة إسماعها (٤): وهى الأصوات الأنفية الجانبية والترددية المجهورة أى الأصوات المائعة.تمثلها الأصوات R , L , M , N

ومن ثم فيمكننا فى ضوء الوضوح السمعى للأصوات، وتقسيم المقاطع على أساسة أن نذكر تقسيمين أساسيين للأصوات:

أولاً: الأصوات المقطعية

وهى الأصوات التى لا تقع إلا قمة أو نواة فى المقطع، ولهذا فهـــى مقطعيـــة: syllabic ولا يدخل فى هذا النوع من الأصوات إلا الحركات الواسعة، التى لا يعلوها صوت فى قمة الإسماع، وذلك مثل الفتحة الطويلة (العربية) مثلاً.

ثانياً: أصوات غير مقطعية، أو هامشية، لأنها لا تقع إلا هامشياً فى المقطـــع، فهـــى غير مقطعية Non syllabic،وهى تشتمل علـــى الأصـــوات الأقـــل إســـماعاً، وتمثلها الصوامت الانفجارية المهموسة.

ثالثاً: ثمة نوع ثالث يصلح للحالتين، بحسب قوة إسماع ما يصاحبه من الأصوات.

أسس التقسيم المقطعى:

إن رسم حدود المقاطع، لابد أن يخضع للقواعد الفونولوجية، التى تحكم كل لغة على حدة، ولهذا يقول روبنس Robins حين يُتّخذ قرار من الناحيـــة الفونولوجيـــة لتنسيب الصامت لمقطع معين، فإنه ينسب للحركة التالية لا السابقة، وعلى هذا، فإن الحدث الكلامى: ح ص، يجب أن يقسم إلى (ح ـ ص ح) وليس إلى (ح ص ـــ ح) وهذا بناء على أن المقطع: ص ح، أكثر استخداماً فى كل اللغات من المقطع: ح ص.

وبعض اللغات تقيد استخدام: ح ص، تقييداً شديداً، ولا تسمح به إلا مع صوامت معينة.(١)

واللغة العربية الفصحى، لا يبدأ فيها المقطع بحركة، ولا بساكنين متتاليين، ولا تسمح بتوالى الساكنين فى مقطع واحد إلا عند حالة الوقف، كما أن أقل كمية يتكون منها المقطع فى اللغة العربية صوتان. وهى فى ذلك تخالف كثيراً من اللغات الأخرى.

---

٦) أصوات قوة إسماعها (٦): وهذه أقوى الأصوات إسماعاً، وهى الحركات المجهورة التـــى يخـــرج الهواء فى أثناء النطق بها حراً دون اعتراض أو عائق فى مجرى الهواء. انظر: أصـــوات اللغـــة ١٣٥-١٣٦

(1) R. H. Robins: General linguistics , p , 138

القيم اللغوية للمقطع فى اللغة العربية وقواعده

أشكال المقطع فى اللغة العربية :

تنقسم المقاطع فى اللغة العربية إلى قسمين اثنين:

أولاً: المقطع القصير: وهو الذى يبدأ بصوت صامت، تتلوه حركة قصيرة.وهو أصغر صورة للمقطع العربى (١)

ثانياً: المقطع الطويل: وهو المقطع الذى يتكون من صوت صامت، تتلوه حركة طويلة أو صامت تتلوه حركة قصيرة يتبعها صامت مغلق.

وبالنظر إلى القسمين السابقين للمقطع،القصير والطويل يتبين لنا أن النوع الأول. لا يكون إلا مفتوحاً. أما النوع الثانى، فإنه يكون مفتوحاً، ويكون مغلقاً. ويمكن إطالة المقطع الطويل المفتوح، عن طريق زيادته بصامت، فيصبح المقطع مديداً مغلقاً.

كما يمكن إطالة المقطع الطويل المغلق، عن طريق زيادته بصامت، فيصبح المقطع زائد الطول مغلقاً بصامتين.

ونستطيع بذلك أن نقول بأن اللغة العربية تشتمل على خمسة أنواع من المقاطع وهى:

١) المقطع القصير المفتوح: ص ح، وذلك فى مثل: كَ + تَ + بَ Ka + Ta +ba

(١) يرى د/تمام حسان أن اللغة العربية تشتمل وفقاً لقواعد النظام اللغوى على المقطع المتناهى الصغر:ص، الذى يتحول إلى مقطع طويل مغلق فى متطلبات السياق، أو وفقاً للأداء الفعلى. ففعل الأمر من: كتب هو، كْتبْ المؤلفة مقطعياً وفقاً لقواعد النظام من: ص+ ص ح ص ووفقاً لمتطلبات السياق أو وفقاً لقواعد الآداء، جىء بهمزة وصل، فأصبح الفعل الأمر: اكْتبْ، وتركيبه المقطعى: ص ح ص + ص ح ص

كما نجده أيضاً يقول بوجود المقطع: ح ص فى اللغة العربية، وجعلة النوع السادس من أنواع المقاطع العربية، ومثل له بال التعريف. أنظر: مناهج البحث فى اللغة ١٦٤ ولا يصح هذا التركيب المقطعى لا ل التعريف إلا بعد إسقاط همزة الوصل منها، واحتساب الحركة التى تليها فقط.غير أنه فيما يبدو أنه يجعل همزة الوصل، تمثل الحركة القصيرة، ولامها، تمثل الصامت.

حيث يتألف الفعل: كتب، من ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة= ص ح + ص ح + ص ح

٢) المقطع الطويل المفتوح: ص ح ح، وذلك فى مثل: كـا = Kā= ص ح ح والنوعان السابقان لا يكونان إلا مفتوحين.

٣) المقطع الطويل المغلق:ص ح ص، وذلك فى مثل: تبْ = Tib = ص ح ص

٤) المقطع المديد المغلق: ص ح ح ص، وذلك فى مثل: قالْ = Kāl عند تسكين الآخر، أو كما فى:دابةْ، عند الوقف dab + bah وتركيبها المقطعى: ص ح ح ص.

٥) المقطع الزائد الطويل، ص ح ص ص، وذلك فى مثل: مِصْرْ.misr وعَصْـرْ: asr < عند تسكين الآخر. أو عند الوقف على الآخر.

والنوعان الرابع والخامس من المقاطع النادرة الشيوع فى اللغة العربية الفصحى، ولا يكونان إلا فى النثر فقط وبشرط الوقف، أو كما ذكر العلماء العرب، التقاء الساكنين على حدّهما، كما فى الكلمة: ضالّين، التى تتألف من مقطعين هما ضالْ = ص ح ح ص، لين = ص ح ح ص. حيث يكون الصامت الأخير فى المقطع الأول: ضالّ، نهاية له، وهو نفسه بداية للمقطع التالى: لين.

خصائص المقطع العربى وسماته :

أولاً: وبعد أن قدمنا لتقسيمات المقاطع وتحديد أنواعها فى اللغة العربية. يمكننا أن نقف على خصائص هذا التنظيم المقطعى العربى، حيث نجد أن أقل ما تتركب منه الكلمة العربية، هو مقطع واحد، وأن أكثر ما تتكون منه الكلمة العربية هو: سبعة مقاطع.

١) كلمة: قِ: فعل الأمر: من الفعل: وقى، يتألف من:

أ) مقطع واحد قصير مفتوح = ص ح وكذلك كثير من الحروف والأدوات، تتألف من التركيب المقطعى: ص ح وذلك مثل: واو العطف وفاء العطف ولام الجر وباء الجر وغيرها.

ب) المقطع: ص ح ح، تتألف منه صيغ صرفية عربية كثيرة، تمثل كلمة واحدة مستقلة مثال ذلك: ما، النافية أو المصدرية، في: حرف الجر وغيرها من الصيغ.

ج) المقطع: ص ح ص، تتألف منه صيغ صرفية عربية كثيرة، تمثل كلمة واحدة مستقلة مثال ذلك: حرف الجر: مِنْ، ضمير الموصول:مَنْ، وأداة الجزم: إنْ، وغيرها من الصيغ الصرفية.

٢) ثمة كلمات عربية ثنائية المقطع،تمثل الصيغ الصرفية العربية علىاختلافها: فالفعل: اكْتُبْ: ص ح ص + ص ح ص فعل أمر.

وكلمة: كاتبْ = ص ح ح + ص ح ص مع تسكين الآخر والأداة: مهما = ص ص ح + ص ح ح، وغيرها من الصيغ.

٣) ثمة كلمات عربية ثلاثية المقطع، مثال ذلك: الفعل: كتب = ص ح + ص ح + ص ح وكلمة: كاتبُ = ص ح ح + ص ح + ص ح ص، مع تحريك الآخر.

٤) كلمة رباعية المقطع: مثال ذلك، الفعل: استقبلَ، يتألف من:

ص ح ص + ص ح ص + ص ح + ص ح، والعلم: إبراهيمُ: يتألف من: ص ح ص + ص ح ح + ص ح ح + ص ح، مع تحريك الآخر.

٥) كلمة خماسية المقطع: مثال ذلك: احتفالاتُ، تتألف من:

ص ح ص + ص ح + ص ح ح + ص ح ح + ص ح. مع تحريك الآخر

٦) كلمة سداسية المقطع. مثال ذلك: احتفالاتهم: تتألف من:

ص ح ص + ص ح + ص ح ح + ص ح ح + ص ح + ص ح ص

٧) كلمة سباعية المقطع: مثال ذلك: احتفالاتّهنَّ، تتألف من:

ص ح ص + ص ح + ص ح ح + ص ح ح + ص ح + ص ح ص + ص ح

وكلمة: فسيكفيكهمو. تتألف من:

ص ح + ص ح + ص ح ص + ص ح ح + ص ح + ص ح +ص ح ح

وكذلك كلمة: أفنلزمكُموها: تتألف من:

ص ح + ص ح + ص ح ص + ص ح ص + ص ح + ص ح ح + ص ح ح

وهذا النوع من الكلمات التى تتألف من سبعة مقاطع نادر فى اللغة العربية، وإنما الكثرة الغالبة من الكلام العربى تتكون من مجاميع من المقاطع، كل مجموعة لا تكاد تزيد على أربعة مقاطع. (١)

ثانياً: أن المقطع العربى لابد أن يبدأ بصامت. حيث لا يمكن أن تبدأ الكلمة العربية بحركة. (٢) كما هو الحال فى بعض اللغات الأوربية، كالإنجليزية والفرنسية.

ثالثاً: أنه لا يجوز أن تبدأ الكلمة العربية بصامتين. فلا يمكن أن يتضمن المقطع العربى التركيب: ص ص ح مثلاً أو بأكثر من صامتين فى البداية مثل: ص ص ص ح.(٣)

رابعاً: لا تزيد مقاطع الكلمة المجردة من اللواحق على أربعة مقاطع إلا نادراً مثال ذلك صيغة: يتفعَّلُ، وصيغة: يتفاعَلُ. مثال الصيغة الأولى الفعل: يتقدَّم، تتألف من التركيب المقطعى:

ص ح + ص ح + ص ح ص + ص ح + ص ح ومثال الصيغة الثانية، الفعل: يتقابل، الذى يتألف من التركيب المقطعى:

ص ح + ص ح + ص ح ح + ص ح + ص ح

وكذلك ما يشتق من الصيغتين أحياناً، فمن الصيغة الأولى، فإن اسم الفاعل منها – مثلاً – هو: متقدِّمُ، يتألف من التركيب المقطعى:

---

(١) الأصوات اللغوية ١٦٢

(٢) انظر: مناهج للبحث فى اللغة ١٦٤،حيث عدّ / تمام حسان المقطع: ح ص، من المقاطع العربية، ومثل بأداة التعريف: ال:

(٣) وتمثلها الكلمات الإنجليزية. Street، strong، وقد أشار مالمبرج إلى ميل اللغات اللاتينية إلى التخلص من هذه التراكيب المقطعية، التى تبتعد عن الشكل الأمثل. حسب تحديد يسبرسن. انظر: علم الأصوات ١٦٧

ص ح + ص ح + ص ح ص + ص ح + ص ح.

وكذلك اشتقاق اسم الفاعل من الصيغة الثانية هو: متقابل، يتألف من التركيب المقطعى: ص ح + ص ح + ص ح + ص ح ح + ص ح + ص ح.

لكن هذه الصيغ قليلة العدد من حيث الكمية، إذا ما قيست بالكثرة أو الوفرة التى تتسم بها الكلمات العربية المؤلفة من أربعة مقاطع أو ثلاثة مقاطع. فهى صيغ لا تمثل اطراداً فى قاعدة التكوين المقطعى للغة العربية.

خامساً: يقيد فى اللغة العربية توالى مقطعين طويلين مفتوحين:ص ح ح، ولا يسمح بتوالى ثلاثة مقاطع منها فى كلمة واحدة مجردة.

فكلمة: إبراهيمُ: يقيد فيها توالى المقطعين: ص ح ح + ص ح ح، بضرورة تحريك المقطع الأخير هكذا: ص ح + ص ح ح + ص ح ح + ص ح.

فعند الوقف، يزول هذا التوالى، وينشأ التركيب المقطعى: إبراهيمْ، هكذا ص ح ص +ص ح ح +ص ح ح ص.باندماج المقطعين الأخيرين فى مقطع واحد !

سادساً: لا يقبل التركيب المقطعى العربى أن يتجاوز أكثر من صامتين فى وسط الكلمة ففى مثل الفعل: يكتبُ، يتألف من: ص ح ص + ص ح + ص ح. حيث لا تزيد الصوامت فى وسط الفعل على صامتين هما: الكاف + التاء.

وفى العلم: أحمد، يتألف من: ص ح ص + ص ح + ص ح. حيث لا تزيد الصوامت فى وسط العلم على صامتين هما الحاء + الميم.

وكذلك فى كلمة: دَرْسه: تتألف من: ص ح ص + ص ح + ص ح.. لا تزيد فيها الصوامت على صامتين فى وسطها وهما: الراء + السين.

فإذا تجاوزت ثلاث صوامت فى حالات الوصل بين الكلمات، تم تحريك الصامت الأول، للتخلص من هذا التجاوز:الذى تأباه أنظمة التركيب المقطعى فى العربية. ومثال ذلك عبارة: مِنْ الأرض وتتألف من:

ص ح ص + ص ح ص + ص ح ص ص.

حيث توالت أربعة صوامت وهى النون + الهمزة + اللام + الهمزة، ولذلك يتم

تحريك النون فى حرف الجر: مِنَ الأرض، ليصبح التركيب المقطعى فيها: ص ح + ص ح ص +ص ح ص ص بتسكين الآخر، وتتقلص الصوامت المتجاوزة فى وسط الكلمة إلى ثلاثة فقط وهى: النون + اللام + الهمزة. [١]

سابعاً: لا يجوز وقوع المقطع الخامس فى صدر الكلمة العربية، أو فى حشوها.فهو مقطع خاص بحالة الوقف فى آخر الكلمة. ولكن قد يكون نسيجاً لكلمة عربية واحدة. ساكنة الآخر. مثل: مِصْر، عَصِرْ فَجْرْ... إلخ فهى تتألف من التركيب المقطعى: ص ح ص ص.

ثامناً: لا تقبل الكلمة العربية أن يتألف تركيبها المقطعى من مقطع طويل مغلق ص ح ص بعده مقطعان من الطويل المفتوح: ص ح ح.

ففى كلمة: سَرْغايا: المؤلفة من: ص ح ص + ص ح ح + ص ح ح

فهى كلمة ليست عربية. لأنها علم أعجمى.

تاسعاً: لا تقبل الكلمة العربية ـ أيضاً ـ أن يتألف تركيبها المقطعى من المقطع الطويل المفتوح ص ح ح، يتلوه مقطعان من النوع الثالث الطويل المغلق: ص ح ص ففى كلمة شابُندرْ: المؤلفة من:

ص ح ح + ص ح ص + ص ح ص، فهى كلمة أعجمية أيضاً ـ فارسية

عاشراً: لا تقبل الكلمة العربية ـ أيضاً ـ أن تتألف من التركيب المقطعى: المقطع الثانى الطويل المفتوح ص ح ح يتلوه مقطع زائد الطول مغلق

ص ح ص ص.

فكلمة جومرْتُ: تتألف من ص ح ح + ص ح ص ص، كلمة أعجمية تشيع فى لهجة حلب. [٢]

---

[١] انظر: علم الأصوات ١٦٨، فى حين تسمح أنظمة المقاطع فى اللغات الأوربية بتجاوز أكثر من صامتين فى داخل كلماتها. ففى الكلمة: conkret، تجاوزت بالصوامت: n, k r، وفى الكلمة construction. تجاوزت بالصوامت: n , s , t , r، حسبما تسمح بذلك أنظمة المقاطع فيها.

[٢] انظر: الوجيز فى فقه اللغة، للأنطاكى ٢٦١ ومبادئ اللسانيات ١١٤ وما بعدها

حادى عشر: يأبى النظام المقطعى العربى توالى أربعة مقاطع من النوع الأول: ص ح وهذا هو السرّ فى تغيير نظام المقاطع فى الفعل الماضى الثلاثى، المتصل بضمير الرفع المتحرك، إلى مقطعين من النوع الأول، بينهما مقطع من النوع الثالث ص ح ص: ففى الفعل: ضربت، يتألف من، ص ح + ص ح ص + ص ح: بدلاً من توالى أربعة مقاطع من النوع الأول، هكذا: ضَرَبَتُ: ص ح +ص ح +ص ح +ص ح، الذى يأباه التنظيم المقطعى فى العربية.

ثانى عشر: لا يجوز فى اللغة العربية الفصحى المقطع المديد المغلق:

ص ح ح ص، إلا فى الكلمة، فى حالة الوقف عليها، أو فى وسطها، بشرط أن يكون المقطع التالى له، مبتدئاً بصامت يماثل الصامت، الذى ختم به المقطع السابق، وهذه الحالة الأخيرة هى التى عبر عنها اللغويون العرب القدامى بالتقاء الساكنين على حدهما، وهو أن يكون الأول حرف لين، والثانى مدغماً فى مثله.(١)

فإذا نشأ هذا المقطع اشتقاقياً من غير هاتين الحالتين، حولته اللغة إلى مقطع من النوع الثالث: ص ح ص، مثل الفعل: يقوم،الذى يصير عند الجزم: يَقُمْ: (ص ح + ص ح ص) وكان الأصل فيها يقومْ: (ص ح + ص ح ح ص)، غير أن المقطع: قومْ = ص ح ح ص، هو من النوع الرابع، الذى تفر منه العربية، وقد عم ذلك فى حالتى الوصل والوقف هنا، طرداً للباب على وتيرة واحدة، فيقال: لم يقمْ محمد، كما يقال: محمد لم يقمْ. حين الوقف كذلك. (٢)

وهذا المقطع الرابع، لا يجوز فى الشعر أصلاً إلا فى الوقف، أى أنه لا يجوز فيه مثال، الضالّين، وشابّه، مدهامّتان.

وإذا كان الشعر العربى لا يقبل مثل هذا النوع من المقاطع،أقحم همزة فى الكلمة، أو بعبارة أخرى، قسم المقطع إلى مقطعين، مثل قول كثير: (الطويل)(٣)

---

(١) انظر: شرح المفصل ٩/١٢٠

(٢) انظر: التطور اللغوى ٩٦

(٣) انظر: ديوانه ٤٦ / ١٠ ص ٢٩٤ ولسان العرب ١٦ / ٢٤٩ وعبث الوليد ٦٩ وديوان أبى محجن الثقفى ١٠٦، ويروى فى الخصائص ٣ / ١٤٨، وألف باء للبلوى ٢ / ١٣٢ ــ إذا ما العوامل بالعبيط احمأرت

وأنت ابن ليلى خير قومك مشهدا إذا ما احمأرت بالعبيط العوامل

وقوله كذلك: (الطويل) [١]

وللأرض أما سودها فتجلّت بياضاً وأما بيضها فادهأمت

وكذلك فى قول شاعر من بنى أسد: (الكامل) [٢]

حشّ الولائد بالوقود جنوبها حتى اسوأد من الصلى صفحاتها

ومن هنا يبدو أن كل صيغة على وزن: افعأل، قد جاءت فى العربية من هذا الطريق.حتى ولم يوجد إلى جانبها صيغة: افعالّ، فى الاستعمال، وذلك مثل، اشمأز، اجزأل، واطمأن، وغير ذلك [٣]

فالمقطع المديد المغلق: ص ح ح ص إذن من المقاطع العربية، التى يقتصر فيها التقاء الساكنين على حدهما، كما يقول النحاة العرب، وأن ذلك يكون فى لغة النثر فقط دون لغة الشعر. إلا فى حالة الوقف على القافية كما أسلفنا فى تفعيلة مثل: فاعلاتْ:

ص ح ح + ص ح + ص ح ح ص، فى أحد أضرب بحر المديد. لكن المبرد يرى أنه يجوز فى بحر المتقارب، فيقول: وحمارّة القيظ: اشتداد حره واحتدامه. وحمارّه مما يجوز أن يحتج عليه بيت شعر، لأن كل مدٍّ كان فيه من الحروف التقاء ساكنين، لا يقع فى وزن إلا فى ضرب منه، يقال له المتقارب فإنه جُوِّز فيه ــ على بعد ــ التقاء الساكنين، وهو

قوله: (المتقارب)

فذاك القصاص وكان التقا صٌّ فرضاً وحتماً على المسلمينا

---

(١) ديوانه ٥٤ / ٤ ص ٣٢٣ وشرح شواهد الشافية ٤ / ١٧٠ والفائق، للزمخشرى ١ / ٤٦٢ والممتع. لابن عصفور ١ / ٣٢٣ وسر صناعة الإعراب ١ / ٨٤ وفى الفائق ٣ / ١٢٧، ٣ / ١٤٨ فاسوأدت

(٢) عنب الوليد، للمعري ٦٩

(٣) التطور اللغوى ٩٧

ولو قال: وكان القصاص فرضاً وحتماً، كان أجود وأحسن، ولكن قد أجازوا هذا في هذه العروض ــ ولا نظير له في غيرها من الأعاريض".[1]

وقال عنه التبريزي في الكافي: " والرواية الجيدة: وكان القصاص حتى لا يجتمع فيه ساكنان ". [2]

كما ذكر المبرد ذلك مرة أخرى عند قوله:" مشعانّ الرأس، يعني: متفتح الشعر متفرقة. ومثل هذا لا يكون في شعر، لأن في هذا التقاء ساكنين، ولا يقع مثل هذا في وزن الشعر، إلا فيما تقدم ذكره في المتقارب " [3]ويبدو أن كلمة:التقاص،قد رويت بالتخفيف في الصاد،لا بتشديدها،وقد ذكر ــ أيضاً ــ ابن سيدة في تعليقه على هــذا البيت بقوله: االتقاصّ،شاذ. لأنه جمع بين الساكنين في الشعر، ولذلك رواه بعضهم: وكان القصاص، ولا نظير له إلا بيت واحد، وأنشده الأخفش:

ولولا خداشٌ أخذت دوا ... بَّ سعدٍ ولم أعطه ما عليها

قال أبو إسحاق: أحسب أن هذا البيت إن كان صحيحاً في الشعر. فهــو: لــولا خداش أخذت دوايب سعد، لأن إظهار التضعيف جائز في الشعر. أو: أخذت رواحــل سعد.[4] ثمة تطور أو تحول آخر لصيغة: افعالَ:

ص ح ص + ص ح ح ص، التي تحولت إلى صيغة: افعألَّ: ص ح ص + ص ح + ص ح ص + ص ح. في لغة الشعر، حيث أدت المبالغة في تحقيق نطق الهمزة إلى قلبها عيناً، على سمت العنعنة في لغة تميم، وأمثلة قلب الهمزة عيناً في النثــر كثيرة في كلام العرب، على سبيل الإمعان في التفصُّح والمبالغة، ومن ذلك قــولهم: صبأت على القوم، وصبعت عليهم، وقولهم انجأفت النخلة وانجعفت، وقولهم: الأسَن،

---

(1) الكامل ١ / ٢٥ وقد نقل البطليوسي كلام المبرد في شرحه لفصيح ثعلب. وانظر المزهــر ٢ / ١٠٧ وخزانة الأدب ٤ / ٤٩٠ والعمدة ١ / ٩٠ والصاهل والشاحج ١٦٢ ولسان العرب ٨ / ٣٤٤

(2) الكافي، للتبريزي ١٨

(3) الكامل ٢ / ١١١

(4) انظر. لسان العرب ٨ / ٣٤٤٨

وبعضهم يقول العسُن.. [١]

وأما شواهد الشعر على هذا القلب للهمزة عيناً، للتخلص من المقطع: ص ح ح ص فهى كثيرة، نذكر منها قول زفر بن الحارث: (الطويل) [٢]

فلا أفلحت قيسٌ ولا عزّ ناصرٌ   لها بعد يوم المرْجِ حين ابذعرَّتِ

وكذلك فى قول الأخطل: (الطويل) [٣]

فطارت شلالاً وابذعرت كأنها   عصابة سَبْى خاف أن يتقسّما

وثمة تطور أو تحول ثالث لصيغة: افعـالّ: ص ح ص + ص ح ح ص، التـى تحولت إلى صيغة: افعأل: ص ح ص + ص ح + ص ح ص + ص ح، فـى لغـة الشعر، للتخلص من التقاء الساكنين: حيث تحولت الهمزة فيها إلى هاء، مـيلاً إلـى تخفيفها أو تسهيلها. وقلب الهمزة هاء من الظواهر اللغوية المعروفـة فـى اللغـة العربية، وقد روت كتب الإبدال أمثلة لها، ومن ذلك قولهم فى النثر: " أرقت المـاء، وهرقته. وقولهم: " أرحت الدابة وهرحتها " وقولهم: إيـاك أن تفعـل، وهيـاك أن تفعل"[٤] وغيرها من الأمثلة.

أما فى لغة الشعر، فقد وردت شواهد لذلك كثيرة أيضاً، نذكر منها قول معن بن أوس: (الطويل) [٥]

لُباخيةٌ عجزاءُ جَمٌّ عظامهـــا   نمتْ فى نعيم واتمهلّ بها الجسم

وقول الأخطل: (الوافر)[٦]

---

(١) انظر: الإبدال لأبى الطيب ٢ / ٥٥٥ وما بعدها.

(٢) اللسان (بذعر) ٥ / ١١٥

(٣) ديوانه ٢٤٩ وغريب الحديث، لأبى عبيد ٢ / ٢٢٠. واللسان (بذعر) ٥ / ١١٥

(٤) انظر: الإبدال لأبى الطيب ٢ / ٥٦٩ وما بعدها.والقلب والإبدال،لابن السكيت ٢٥ -٢٩

(٥) اللسان (جرهد) ٤ / ٩٢

(٦) ديوانه ٢٠٥ واللسان (جرهد) ٤ / ٩٢

مساميح الشتاءِ إذا جرهدَّتْ وعزتَ عند مقسمها الجزورَ

فهذه الصور التى ذكرناها لصيغة: افعالّ، فى لغة الشعر، إنما جاءت من قبيل التخلص من المقطع المديد: ص ح ح ص، الذى تأباه لغة الشعر، ولا تسمح به لغة النثر إلا بالشرطين الذين ذكرناهما من قبل.

ثالث عشر: تكره بعض اللهجات نوعاً معيناً من المقاطع، فتبدل به مقطعاً من نوع آخر، فقد ذكر ابن كمال باشا أمثلة كثيرة، يفهم منها: أن الحركة القصيرة فى المقطع المفتوح، قبل مقطع مغلق،كانت غير مستحبة عند العوام فى عصره، ولذلك فإنهم يغلقون هذا المقطع المفتوح، بتشديد الصامت التالى له، ومن أمثلته: البصّاق: ص ح ص + ص ح ص + ص ح ح ص، فى: البصاق: ص ح ص + ص ح + ص ح ح ص. وقولهم: أدويّة: ص ح ص + ص ح ص + ص ح ص، فى: أدوية: ص ح ص + ص ح + ص ح ص، وقولهم قضّاه: ص ح ص + ص ح ح ص، فى: قضاه ص ح + ص ح ح ص. وقولهم: الكراهيّة: ص ح ص + ص ح + ص ح + ص ح ص + ص ح ص، فى: الكراهية: ص ح ص + ص ح + ص ح + ص ح + ص ح ص. (١)

وقد حدثت هذه الظاهرة من قبل فى اللغة الآرامية، فى المقطع المفتوح ذى الحركة القصيرة إن أريد لهذه الحركة أن تبقى فى مثل:Lessana ـ لسان، ومثل yammina يمين.(٢)

كما شاعت هذه الظاهرة المقطعية فى العصر الحاضر أيضاً، حيث يميل العامة إلى إغلاق المقاطع المفتوحة، قصيرة كانت أم طويلة. فى مثل قولهم: حافّة النهر: ص ح ح ص + ص ح ص، فى حافة النهر: ص ح ح + ص ح ص، وقولهم: خرّاج، للدمل الكبير ص ح ص + ص ح ح ص، فى: خراج ص ح + ص ح ح ص، وقولهم دخّان: ص ح ص + ص ح ح ص، فى: دخان: ص ح + ص ح ح ص،

---

(١) انظر: التبنية على غلط الجاهل والبنية ٧، ١٣، ١٤، ١٥، ٢١، ٢٢

(٢) أبنية الأفعال فى اللغات السامية ٦٢

وقولهم لِثَّة: ص ح ص + ص ح ص،فى لِثَه: ص ح + ص ح ص. وغيرها من الأمثلة الكثيرة على لسانهم، بل إن ذلك قد أثر ــ كذلك ــ على نطق اللغة العربية الفصحى على ألسنة المتخصصين تأثراً بقواعد النطق المقطعى فى اللهجات ! (١)

والحق، فإن معرفة أنظمة المقاطع وقواعد تركيبها فى مفردات اللغة العربية وجملها وعباراتها أمرٌ هام. لأن ذلك يمكننا من التأكد والتثبت بأن الكلمة عربية التكوين أو أعجمية، ليست بعربية. وعلى الرغم من كثرة أنماط التراكيب المقطعية وصورها فى اللغة العربية، لكن الوقوف على كونها تنتمى إلى التراكيب العربية أمر ليس باليسير.

المقطع والعروض

يبدو أن عدم إلمام العلماء العرب القدامى بنظام المقاطع الصوتية فى اللغة العربية، والاضطراب الواضح فى معالجتهم للحركات ومدلولاتها، وحملهم لها على الازدواجية بين كونها حركات خالصة وكونها أشباه حركات،أى: صوامت، وأنها حروف صامتة مشكلة بالسكون، أدى إلى أن يضعوا موازين الشعر العربى على أساس من: الحركة والسكون، لكن مفهوم الحركة عندهم كما أسلفنا كان مزدوجاً مختلطا بين ما هو حركة خالصة، وبين ما هو شبه حركة.

إلى جانب ذلك، فقط نظر العلماء العرب إلى الحركات نظرة ثانوية، وجعلوها فى المرتبة الأدنى أو التالية على الحرف، وفى ذلك يقول ابن جنى: " اعلم أن الحركة التى يتحملها الحرف، لا تخلو أن تكون فى المرتبة قبله أو معه أو بعده، فمحال أن تكون الحركة قبل الحرف، وذلك أن الحرف كالمحل للحركة، وهى كالعرض فيه، فهى إذن محتاجة إليه، ولا يجوز وجودها قبل وجوده، وأيضاً لو كانت الحركة مثل الحرف، لما جاز الإدغام فى الكلام أصلاً،ألا ترى أنك تقول: قطّع، فتدغم الطاء الأولى فى الثانية، ولو كانت حركة الطاء فى المرتبة قبلها، لكانت حاجزة بين الطاء الأولى، وبين الطاء الثانية. ولو كان الأمر كذلك، لما جاز إدغام الأولى فى الثانية، لأن بين

---

(١) انظر: عثرات اللسان ٧٨، ٩٠، ٩١، ١٠٨

الحرفين حركة، بطل الإدغام، فجواز الإدغام فى الكلام دلالة على أن الحركة ليست قبل الحرف المتحرك بها، فقد بطل بما ذكرناه أن تكون حركة الحرف فى المرتبة قبله،وبقى أن تكون معه أو بعده.(١)

كما يقول أبو على الفارسى، إنه لا يمكن فصل الحركة عن الحرف، أو إمكان استقلالها عنه. وهو يرى أن الحركة تحدث مع الحرف. يقول ابن جنى: " واستدل أبو على على أن الحركة تحدث مع الحرف، بأن النون الساكنة، إذا تحركت زالت عن الخياشيم إلى الفم، وكذلك الألف إذا تحركت انقلبت همزة، يدل ذلك عنده،على أن الحركة تحدث مع الحرف،وهو لعمرى استدلال قوى".(٢)

ولعل هذه النظرة الثانوية للحركة، ترجع إلى إهمال النظام الكتابى للعربية وضع رموز للحركات، حيث لم يضع العلماء العرب رموزاً مستقلة للحركات القصيرة، وجعلوها تابعة للحروف الصامتة، توضع فوقها أو تحتها، ولم يشأ هؤلاء العلماء أن يصطنعوا لها رموزاً مستقلة تتساوى فى قدرها وقيمتها مع قدر الحروف وقيمتها: وجعلوها كالعرض للحرف، مما دعا ابن جنى أن يقول: " لما كانت الحروف قد توجد، ولا يوجد حركة معه، وكانت الحركة لا توجد إلا عند وجود الحرف، صارت كأنها قد حلته، وصار هو كأنه قد تضمنها.. " (٣)

كما ذكر ذلك سيبويه من قبل بقوله: " لأنهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف، كان أقوى من أن يفصلوا بحركة " (٤)

ولم يقف الأمر عند حد الحركات القصيرة،بل تعداه إلى الحركات الطويلة، بأن عدوها فى بعض الأحيان أصواتاً صامتة، يتبين ذلك من تشكيلهم الصوامت قبلها بالحركات القصيرة، الفتحة قبل الألف،والكسرة قبل الياء، والضمة قبل الواو. كما فى

---

(١) سر صناعة الإعراب ١ / ٣٢

(٢) سر صناعة الإعراب ١ / ٣٧

(٣) سر صناعة الإعراب ١ / ٣٢

(٤) الكتاب ٢ / ٢٩٥

أنَام، القاضِي، يسمُو !!

ثمة معالجات عديدة لنظام العروض للشعر العربى، وفقاً للنظام المقطعى للغـة العربية وتقوم هذه المعالجات فى أساسها على التنظيم المقطعى العربى الأساسى:

ـ المقطع القصير المفتوح = ص ح، ويرمز له بالرمز: ٥

ـ المقطع الطويل بنوعيه ؛ المفتوح والمغلق = ص ح ح، ص ح ص، ويرمز لهما بالرمز: ٧

ـ حالة الاختزال، ويرمز لها بالرمز: N

ففى البحر المديد ـ على سبيل المثال، فإن تفعيلاته عروضياً هى:

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

يتكون هذا البحر مقطعياً من التراكيب الآتية:

فاعلاتن ←——— ٧٧٥٧، فاعلن ٧٥٧ ←———

عروضيا ←——— /ه//ه/ه، عروضياً /ه//ه ←———

وأما ما يحدث لتفاعيله من زحافات وعلل، مثل: الخبن ـ البتـر ـ القصـر ـ الشكل ـ الحذف فتكون على الوجه الآتى:

فاعلاتن ←——— فعلاتن (بالخبن) ←——— ٧٧٥٥

٧٧٥٧ فاعلات (بالقصر) ←——— ٥٧٥٧

فعْلن (بالبتر) ←——— ٧٧

فعلات (بالشكل) ←——— ٥٧٥٥

فاعلن (بالحذف) ←——— ٧٥٧

فاعلن فَعِلنْ (بالخبن) ←——— ٧٥٥

٧٥٧

ونلاحظ من خلال ما طرأ على مقاطع البحر فى ضوء ما حدث لهذه المقاطع من تقصير لحركاته تارة أو تطويل لحركاته القصيرة تارة أخرى. أن التركيب المقطعـى

للبحر المديد وهو:

٧٧٥٧ ٧٥٧ ٧٧٥٧   ٧٧٥٧ ٧٥٧ ٧٧٥٧

يصبح تركيبه المقطعي في ضوء ما يحدث له من زحافات وعلل كالآتي:

أ) في حالة كون العروض: محذوفة، فتصبح، فاعلن، فإن الضرب يكون: فاعلاتْ (مقصورة)

٧٥٧ ٧٥٧ ٧٧٥٧   ٥٧٥٧ ٧٥٧ ٧٧٥٧ [١]

ب) في حالة العروض: " محذوفة "، والضرب: " محذوفة " فاعلن

٧٥٧ ٧٥٧ ٧٧٥٧   ٥٧٥٧ ٧٥٧ ٧٧٥٧

ج) في حالة العروض: محذوفة، الضرب: أبتر ←—— فاعل فعلن

٧٥٧ ٧٥٧ ٧٧٥٧   ٧٧ ٧٥٧ ٧٧٥٧

وهذه هي أشهر أنواع العروض والضرب في بحر المديد.

ويمكننا بهذه الطريقة أن نتخلص من مصطلحات كثيرة بلغت أكثر من ثلاثة وثلاثين نوعاً من الزحافات والعلل.[٢]

كما يمكننا أن نوجز الطبيعة المقطعية للبحور العروضية بتقسيمها إلى قسمين:

القسم الأول: البحور التي تبدأ بمقطع قصير: ص ح،وهذه البحور هي:

الوافر، والكامل، والمتقارب، والطويل، والهزج، والمضارع

القسمة الثاني:البحور التي تبدأ بمقطع طويل مفتوح = ص ح ح أو مغلق، ص ح ص وهذه البحور هي: الرمل، والرجز، والمتدارك، والمديد، والخفيف، والبسيط، والسريع، والمنسرح، والمتقضب، والمجتث.

---

[١] فاعلاتْ، بالتسكين، تركيبها المقطعي هو: ص ح ح + ص ح + ص ح ح ص أي المقطع المديد المغلق، وهو مقطع غير شعري، كما سنعرف فيما بعد، ومن ثم سيكون الرمز المقطعي لهذه التفعيلة: ٥٧٥٧، للدلالة على المقطع المديد زائد الطول المغلق.

وانظر: الأصوات اللغوية ٢٣٤ – ٢٣٩

[٢] انظر: الأصوات اللغوية، د/ عبد القادر

وتدخل بعض التغييرات على تراكيب هذه المقاطع، فيما يطلق عليه الزحافات فقد يتغير التكوين المقطعى للبحر: الكامل، وهو من بحور القسم الأول هكذا:

من التركيب المقطعى:

ص ح + ص ح + ص ح ح + ص ح + ص ح ص = متفاعلن

إلى التركيب المقطعى:

ص ح ص + ص ح ح + ص ح + ص ح ص = مُتْفاعلن

وكذلك الحال فى بحر: الرمل، وهو من بحور القسم الثانى، حيث يتغير التركيب المقطعى هكذا:

من التركيب المقطعى:

ص ح ح + ص ح + ص ح ح + ص ح ص = فاعلاتن

إلى التركيب المقطعى:

ص ح + ص ح + ص ح ح + ص ح ص = فعلاتن (١)

وبعد.. فإننا نذكر بأن دراسة المقطع على هذا النحو الذى عرضناه فى ضوء معطيات الدرس اللغوى الحديث،لم يكن العلماء العرب القدامى، على دراية بهذا المفهوم الصوتى، وما يمكن أن يقدمه للغة العربية من فائدة عظيمة لقواعدها الصرفية والنحوية وغيرها من تحديد لقيمها وخصائصها التى تتميز بها.

لكن ذلك لا يعنى أن الدارسات الصوتية عند العلماء العرب، تخلو تماماً من الإشارة إلى المقطع وماهيته. فنظام العروض الذى وضعه الخليل بن أحمد، وإن أقامه على أساس التفعيلات، إلا أن هذه التفعيلات تعتمد بدورها على الأساسين اللذين يعتمد عليها المقطع، وهما: الصوامت والحركات، على الرغم من الخلط الواضح فى مفهوم الحركة عندهم !

---

(١) انظر: وظيفة المقطع الصوتى فى موسيقى الشعر العربى، ٢٢ – ٢٣

صحيح أن العلماء العرب لم يقدموا دراسة علمية منهجية حول المقطع، بمفهومه الاصطلاحى المعاصر، ولم يعرضوا لأقسامه وأحواله وأنواعه، ولم يفيدوا من معطياته فى تقعيد مستويات اللغة، لكنه يصادفنا فى التراث العربى إدراك بعض العلماء لمفهوم المقطع عند كل من: الفارابى (ت ٣٣٩) وابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) والقاضى عبد الجبار الأسدى (ت ٤١٥ هـ) وابن رشد (ت ٥٩٥ هـ) وأنهم قد عرفوا المقطع وأنه يتألف من الحرف المصوت (الصائت) وغير المصوت (الصامت) كما أن بعض هؤلاء كابن سينا أثار وتحدث عن أنواع المقاطع الرئيسية، التى تعادل عندنا الآن المقطع الأول: ص ح،والمقطع الثانى: ص ح ح، والمقطع الرابع: ص ح ح ص.

أما ابن رشد، فإنه يعبّر تعبيرًا صريحاً عن مفهوم المقطع. مستعملاً: المقطع بمعنى اجتماع صامت وصائت، كما يستعمل مصطلح: السلابى، المعرب " sullabe " فى اليونانية، الدال على الضم والجمع. [١]

وأوضح من ذلك ما ذكره الفارابى أيضاً بقوله: " كل حرف وصوت اتبع بمصوت قصير به، فإنه يسمى المقطع القصير: والعرب يسمونه الحرف المتحرك، من قبل أنهم يسمون المصوتات القصيرة حركات، وكل حرف لم يتبع بصوت أصلاً، وهو يمكن أن يقرن له، فإنهم يسمونه الحرف الساكن، وكل حرف غير مصوت قُرن به مصوت طويل، فإنا نسميه المقطع الطويل ". [٢]

---

[١] انظر: التفكير اللسانى فى الحضارة العربية ٢٦٢ - ٢٦٣

[٢] الموسيقى الكبير ١٠٧٥

الفصل الثالث

القيم اللغوية لفونيم التنغيم

بين النغم والتنغيم:

ثمة نوعان من الاختلاف فى درجة فى درجة الصـوت: Voice pitch، يمكـن تمييزها:

1) النغمة: Tone: حيث تقوم درجات الصوت المختلفة بـدورها علـى مسـتوى الكلمة، ولذلك تسمى: نغمات الكلمة Word tone

2) التنغيم: Intonation، حيث تقوم درجات الصوت المختلفة بدورها المميز على مستوى الجملة أو العبارة، أو مجموعة الكلمات.(١)

أولاً: النغمة:

هناك لغات تستخدم النغمة استخداماً تمييزياً، وتسمى من أجل ذلك لغات نغميـة Tone language. (٢) وهذا يعنى أن اختلاف درجة الصوت فى هذه اللغات، يساعد على تمييز كلمة من أخرى، بل قد يكون هذا الاختلاف، هو الملمح التمييزى الوحيد لكلمتين متطابقتين من ناحية الحركات والصوامت. وتنتشر مثل هذه اللغات النغميـة فى أنحاء العالم، لكنه يلاحظ أكثر فى لغات: الصين، وبعض أجزاء من أفريقيـة،كما ينتشر فى اللغات النرويجية والسويدية وكذا بعض اللغات الهندية الأمريكية. (٣)

---

(١) انظر: مبادئ علم الأصوات العام ـ مترجم ١٥٨، والنغمة لحن الكلام إذا ما كان سمة فى الكلمـة، على حين أن التنغيم هو الشيء نفسه، إذا كان سمة فى الجملة

وانظر: دراسة الصوت اللغوى ١٩١ وما بعدها. وكذا:

R. H. Robins: General linguistics , P , 111

: J , lyons. New Aarizons in linguisstis , P P , 82 – 83.

(2) D. Jones: The Phoneme , Its nature and use , P , 152 وكذا

D. Jones: The phoneme , its nature(3)

ويذكر أبركرومبى أن اللغات النغمية تتضمن فيما يبدو بعض المشاكل التى تتعلق بعملية الاتصال بين متكلميها فيما بينهم، قد لا تتعرض لها اللغات التنغمية. فإن لها مع ذلك مميزات تملكها لا تتوفر =

ويبدو الفرق واضحاً بين ما تقوم به النغمة من تمييزات فى هذه اللغات النغمية، وبين عدم تأثيرها، فى اللغات غير النغمية، كالإنجليزية مثلاً. فـأداة النفـى فيهـا: No:على الرغم من تنوعات نطقها من حيث درجة الصوت، فإن هـذه التنوعـات، ليست جزءاً من شكل الكلمة، وتبقى الكلمة لتدل على معنى واحد وهو النفى ـ على الرغم مما تؤديه من معان إضافية فى النفى،كالشك والاستنكار والاستفهام ونحوها، مما تسببه تنوعات النغمة صعوداً وهبوطا واستواء.

واللغات الإنسانية بوجه عام،النغمية منها أو التنغيميـة. تمتلـك أنواعـاً مـن النغمات، تستخدمها فى كلامها المنطوق، نذكرها على الوجه الآتى:[١]

١) النغمة المستوية (العادية) وهى النغمة التى توجد فى عدد من مقاطع الكلمة بدرجة واحدة، وتكون هذه الدرجات قليلة أو متوسطة أو كثير، وبالتالى يكون

= للغات التنغمية.فقد كشفت حالة الإسرار أن القطوع فى اللغة النغمية صوامت أم حركات، لا تتمتـع بوضوح كبير بمعزل عن لحن الكلام،فلو أزيلت القطوع تاركة فقط لحن الكلام (النغمات) لاحتفظت تلك اللغة بقدر كبير من الوضوح. لكن بمجرد ما يعزل لحن الكلام عن الحركات والصوامت، يصبح فى غير حاجة إلى صوت إنسانى لنقله، فمن الممكن لآية وسيلة منتجة لنغمات متنوعة الطبقات أن تفعل ذلك.

بل إن هناك وسائل كثيرة ذات قدرة أكبر على النقل من الصوت الإنسانى، وهذا هو سـرُّ الطبـول المتحدثة فى إفريقيا، ولا تتحقق إشارات الطبول باستخدام نظام ما، بل الإشارات نفسها نقل مباشر لنماذج الإيقاع والطبقة اللغوية إلى الطبول ذاتها.وتتضح ميزات هذا الأمر فى حالات التواصل على مسافات بعيدة، كما تستخدم فى بعض الجماعات الناطقة بلغات نغمية آلات أخرى متنوعـة، لنقـل نماذج الطبقة النغمية الخاصة بالكلمات ومنها على سبيل المثال: الفلوت والهورن.ويمكـن للحـن الكلام فى اللغات النغمية أن ينقل عن طريق الصفير أيضاً... وأفضل ما وصف من أمثـال طريقـة الاتصال هذه موجودة فى المكسيك وسط أناس يسـمون:المـزاتيكين the Mazoteco، ومعهـم تطورت هذه الطريقة تطوراً كبيراً... كما يسمح الصفير عند جماعة من النـاس الـذين لا يـرون بعضهم بعضاً،خارج نطاق الكلام العادى، عبر المسافات الطويلة أن يواصلوا الكلام والحديث بل قـد يسمح الصفير عند جماعة ـ أيضاً ـ بمواصلة حديثين فى آن واحد، واحد فى صورة كلام عادى، وآخر فى صورة كلام صفيرى.وأفضل ما وصف من أمثلة خاصة بلغة صفير، هـذا النـوع الـذى يستخدم فى إحدى جزر الكنارى المسماه: Gomera، وكذلك فى جبال البرانس الفرنسية

مبادئ علم الأصوات العام ـ مترجم ١٦٠ ـ ١٦١

[١] انظر: دراسة الصوت اللغوى ١٩٢ وأصوات اللغة ١٥٣

لديه النغمات المستوية الآتية:

أ) المستوية السفلى ب ـ المستوية المتوسطة جـ ـ المستوية العليا

٢) النغمة الصاعدة: وهى تعنى وجود درجة منخفضة فى مقطع واحد أو أكثر، تليها درجة أكثر علواً منها. وقد تكون النغمة الصاعدة مركبة من نغمة منخفضة تليها نغمة متوسطة، وقد تكون مركبة من نغمة متوسطة، تليها نغمة عالية. (وتكون فى حالات: الأمر ـ التعجب ـ التناقص)

٣) النغمة الهابطة: وهى التى تكون مع درجة عالية فى مقطع أو أكثر، عليها درجة أكثر انخفاضاً منها، وقد تكون النغمة الهابطة مركبة من نغمة متوسطة الدرجة تليها نغمة منخفضة، كما قد تكون مركبة من نغمة عالية الدرجة تليها نغمة متوسطة. ثمة نوعان آخران من النغمات، توجدان فى اللغات بوجه عام أيضاً، وقد يتفاوات وجودهما بين لغة ولغة أخرى.

١) النغمة الهابطة الصاعدة:وتتكون من وجود درجة عالية فى مقطع أو أكثر، تليها درجة أقل، ثم تليها درجة عالية.

٢) النغمة الصاعدة الهابطة: وتتكون من وجود درجة منخفضة فى مقطع أو أكثر، تليها نعمة أعلى منها، ثم تليها نغمة أكثر ارتفاعاً من الثانية.

ثانياً: التنغيم

أما التنغيم Intonation أو التنوعات التنغيمية Intonations vairnts فهو عبارة عن تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة، وهو خاص بالجملة أو أجزاء الجملة، وليس للكلمات المختلفة المنعزلة[١].

---

(١) ويتجلى فى تعريف الفونيم الأساس النطقى ـ الفيزيقى، حيث يرتبط حدوث التنغيم وتغير أحواله، بالتغييرات التى تطرأ على تردد النغمة الأساسى فى أثناء الكلام، إذ إن هذه التغييرات تمثل القاسم المشترك الأعظم للترددات الداخلة فى تكون نغمة الحنجرة ومن ثم فمن الطبيعى أيضاً أن يختلف الأثر السمعى الناتج عن اهتزاز الوترين االصوتيين باختلاف الأفراد والأعمار والجنس. انظر: دراسة الصوت اللغوى ٢٥٢

وقد اختلف العلماء حول كون التنغيم فونيماً تطريزياً،من فونيمات اللغة التطريزية،حيث نجد بعض العلماء يقصرون الاستعمال الفونولوجى للظواهر الصوتية داخل حدود الكلمة، وأهملوا التنغيم والمفصل خارج الدائرة، ومن هؤلاء: دانيال جونز، الذى اعتبر التنغيم خارج حدود نظرية الفونيم !

أما جون ليونز، فإنه يقول بأن لدينا من المبررات، لأن يمتد التحليل الفونيمى، ليشمل الملامح الصوتية المرتبطة بحدود ما بين الكلمات وهى أن كل اختلافات صوتية فى أى مكان، ومن أى نوع، لها صفة التقابل أو التمييز فى بعض المحيطات الفونولوجية، يجب أن تلحق بفونيم أو فونيمات ملائمة، فيكون لها مركز لغوى يماثل ذلك الذى أعطى للفونيمات التركيبية من الحركات والصوامت، على الرغم من أن الظواهر الصوتية الموجودة، تختلف فى كل نوع. (١)

واللغات الإنسانية فى معظمها، يمكن أن تسمى لغات تنغيمية Intonation languages، لأنها تستخدم التنوعات الموسيقية فى الكلام بطريقة تمييزية تفرق بين المعانى.

ويرجع روبنس إمكانيات التعبير عن كل مشاعرنا وحالاتنا الذهنية إلى التنغيم، وأنه فى كل اللغات، يمكن أن نغير الجملة من خبر إلى استفهام إلى توكيد إلى انفعال إلى تعجب.. دون تغيير فى شكل الكلمات المكونة للجملة، ومع تغيير فقط فى نوع التنغيم. (٢)

ومجمل الأراء حول مفهوم التنغيم تجمع على أن التنغيم عبارة عن الصور العامة التى تتمثل فى مجموعة النغمات، التى يشتمل نوع خاص من أنواع الحدث اللغوى. حيث نجد أن الجملة الاستفهامية مثلاً تشتمل على نظام خاص بترتيب النغمات، تختلف عن النظام الموجود فى جملة الشرط أو الجمل التقريرية أو

---

(١) D , Jones: The phoneme , p. p , 150 – 151

كما يقرر مارتينه أن الباحث لا يستطيع أن ينكر على التنغيم كل قيمة لغوية، إلا أنه لا يقوم بعملية ضمن التقطيع المزدوج. مبادئ اللسانيات العامة ٧٧ – ٧٨

(٢) R. H. Robins: general linguistics , p , 152

الإخبارية. كما أن التنغيم يتعلق أساساً بهذا التغيير الذى يحدث لدرجة الصوت، الذى يرجع إلى ما يحدث من تغيير فى نسبة ذبذبة الوترين الصوتين، هذه الذبذبة، التى تحدث نغمة موسيقية.(١)

وظائف التنغيم:

وتبرز وظيفة التنغيم فى اللغات التنغمية، كما هو الحال فى اللغات الإنجليزية والروسية، وكذلك العربية، على مستوى الجملة، وليس على المستوى الكلمة. حيث يفرق التنغيم بين معنى جملة إذا نطقت بتنغيم هابط فإنها تدل على التقرير، فى حين إذا ما نطقت بتنغيم صاعد، فإنها تدل على الاستفهام مثلاً.. كما يمكن أن يقوم التنغيم فى هذه اللغات بتمييز المراد من الاستفهام أو السؤال، كأن يكون المراد توبيخاً أو تقبيحاً أو استنكاراً أو نحو ذلك.

كما يتصل الأمر بوظيفة ثانية يقوم بها التنغيم، يمكن أن تسمى بالوظيفة الانفعالية.(٢)

أما فى اللغة الفرنسية فإنه ليس للتغييرات التى تحدث فى منحنى التنغيم وظائف متباينة، تستطيع أن تسهم فى تحديد المعنى مساهمة مباشرة، كما فى Il Pleut، لكنها تندرج عادة تحت ما يسمى: الوظيفة التعبيرية. ففى اللغة الفرنسية، فإن الأشكال المختلفة، التى يتخذها منحنى التنغيم، لا يستطيع أن يغير شيئاً من هوية الوحدة الدالة، أو من هوية الكلمة. لذلك ليست: Pleut، فى جملة:Il pleut، إذا

---

(١) انظر: أصوات اللغة ١٥٥ وعلم اللغة ـ مقدمة للقارئ العربى ١٩٤، ومدخل إلى علم اللغة ٨٢

(٢) انظر: دراسة السمع والكلام ٢٥٩ – ٢٦٠ وكذا: مناهج البحث فى اللغة ١٩٨ وربما كان للتنغيم وظيفة نحوية فى تحديد الإثبات والنفى فى الجملة. لم تستعمل فيها أدوات الاستفهام. فقد تقول لمن يكلمك ولا تراه: أنت محمد. مقرراً ذلك أو مستفهما عنه.

ويؤكد مارتينه أن التنغيم يخضع لضرورة شد الأوتار الصوتية عند بداية الكلام، كما يخضع أيضاً لدواعى ميل الأوتار للاسترخاء، حالما يقترب الكلام من نهايته، حيث يقول، " وبين البداية والنهاية، إمكان المتكلم أن يستخدم هذا المسار لإدخال التمايز، وهذا ما يحدث عند البشرية كلها، بطريقة واحدة، ولو أن الأشكال تختلف من مجتمع لآخر. مبادئ اللسانيات العامة ٧٧

نطقناها بنغم متدرج صعوداً، غير كلمة: Pleut، فى جملة إذا نطقناها بنغم متــدرج هبوطاً [1]

كما أن معظم أمثلة التنغيم فى اللغة العربية ولهجاتها، من النوع غير التمييزى، الذى يعكس إما خاصة لهجية، أو عادة نطقية للأفراد، ولذا فإن تقعيده أمرٌ يكاد يكون مستحيلاً... وأكثر ما يستخدم التنغيم فى اللغات للدلالة على المعانى للدلالــة علــى المعانى الإضافية، كالتأكيد والانفعال والدهشة والغضب... إلخ. [2]

---

[1] مبادئ اللسانيات العامة: لأندريه مارتينيه ــ مترجم ٧٨

[2] انظر: دراسة الصوت اللغوى ٣١٥

القيم اللغوية للتنغيم فى اللغة العربية

تقع الجمل العربية فى إطار صيغ وموازين تنغيمية، هى هياكل الأنساق النغمية ذات أشكال محددة.

فالجمل الاستفهامية ــ مثلاً ــ لها هيكلها التنغيمى، الذى يختلف بطبيعة الحال عن الهيكل التنغيمى لجملة الإثبات، وهذان الهيكلان التنغيميان للاستفهام والإثبات يختلفان عن الهيكل التنغيمى لجملة مؤكدة ... فلكل جملة من هذه الجمل هيكلها التنغيمى الخاص بها، حيث ترتفع بعض مقاطعها وتنخفض بعضها الآخر، وقد تتفق درجات الارتفاع أو الانخفاض مع درجات النبر، وقد تختلف، وقد يكون هيكل بعضها صاعداً من مستوى هابط أو من مستوى متوسط، أو هابطاً من مستوى أعلى أو من مستوى متوسط.

فالصيغة التنغيمية إذن هى منحنى خاص بالجملة، يعين على الكشف عن معناها النحوى، كما أعانت الصيغة الصرفية على بيان المعنى الصرفى للمثال. (١)

ويمكننا القول بأن التنغيم فى الكلام،يقوم بوظيفة الترقيم فى الكتابة، غير أن التنغيم أوضح من الترقيم فى الدلالة على المعنى الوظيفى للجملة. ولعل ذلك يرجع إلى أن ما يستخدمه التنغيم من نغمات صعوداً أو هبوطاً واستواء، أكثر مما يستعمله الترقيم من علامات النقطة والفاصلة والشرطة وعلامة التنصيص والشرطة وعلامة التأثر !

لقد وصلنا التراث العربى مكتوباً، وبذلك فقد حرمنا من مسرحه اللغوى الحى الذى يمثل مقامه الاجتماعى، وما يصاحبه من ملابسات وظروف وأحوال، تتعلق بالمنشئ وما يتمتع به من إفصاح وبيان وثقافة ونحوها. وبالنص، وما يتعلق به من موضوعات ولغة فصيحة أو عامية أو نحوها. وعلى الرغم من أن العلماء العرب قد ابتكروا علامات الترقيم منذ أن وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدى (ت ١٧٥ هـ) إلا أن النصوص التراثية والمخطوطات العربية، قد جاءت فى معظمها بدون هذه

---

(١) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٢٢٦

العلامات !

لقد كانت اللغة العربية فى عصرها الأول، شأنها فى ذلك شأن بقية اللغات العالمية، ربما أهملت أن تذكر الأدوات فى الجملة، اتكالاً على التعليق بالنغمة. ففى قولهم ـ مثلاً ـ " لا وشفاك الله " لإفادة معنى الدعاء للمخاطب، لا الدعاء عليه بدون ذكر الواو بين أداة النفى وجملة الدعاء، اعتمادًا على تنغيم العبارة فى ضوء هيكلها التنغيمى الدعائى من صعود نغماتها وهبوطها:أى ما يطرأ على النطق بها من وقفة بعد أداة النفى بنغمة معينة، واستئناف لما بعدها بنغمة مناسبة للدعاء.لكن العلماء العرب وضعوا هذه الواو بين أداة النفى وجملة الدعاء، خشية سوء الفهم فى معنى الدعاء على المخاطب بعدم الشفاء !

وثمة أمثلة عديدة وردت فى تراثنا العربى،سواء ما كان منه شعراً أو نثراً، يمكن تحديد هويتها النحوية ودلالتها المعنوية على التنغيم وقيمه المحددة فى اللغة العربية.

ـ ففى قول عمر بن أبى ربيعة (الخفيف) (١)

ثم قالوا تحبها قلت بهرًا   عدد النجم والحصى والتراب

فالتنغيم بالنغمة الصاعدة على مقاطع كلمة: تحبها، هو المبين لدلالة الاستفهام فى هذه الكلمة،وهذا التنغيم قد أغنى عن أداة الاستفهام فى البيت. فحذفت أداة الاستفهام، وبقى معنى الاستفهام فى البيت.

ويمكن أيضاً أن نفهم من بيت عمر بن أبى ربيعة، مع تغيير الهيكل التنظيمى للتنغيم معنى التقرير للتأنيب، أو للتعبير عن الإلجاء إلى الاعتراف !

ـ وكذلك بيت الشاعر: جميل بن معمر: (البسيط) (٢)

لا. لا أبوح بحب بثنة إنها   أخذت على مواثقاً وعهودا

---

(١) ديوانه ٦٠ وأمالى ابن الشجرة ١ / ٢٦٦ والدرر ١ / ١٦٢ والهمع ١ / ١٨٨

(٢) ديوانه ٧٩ والدرر ٢ / ١٥٩ والخزانة ٢ / ٣٥٣، وبلا نسبة فى الهمع ٢ / ١٢٥ والعينى ٤ / ١١٤ والأشمونى ٣ / ٨٤

فالتنغيم فى هذا البيت أيضاً هو الوحيد الذى يجيب عن سؤال حول دلالة. لا النافية النحوية: عما إذا دلت على التوكيد اللفظى بحرف على مثل صورته. كما ذكر العلماء العرب، أم أنها جملة نافية كاملة الأركان، يحسن السكوت عليها.

ومن الواضح أن هناك فرقاً بين أن تكون لا حرف نفى مؤكداً، أو جملة كاملة الإفادة يستحسن السكوت عليها. حيث يتطلب التوكيد وصل الكلام بنغمة صاعدة، وفى حالة كونها جملة كاملة الإفادة يحسن السكوت عليها بوقفة، يتطلب ذلك نغمة هابطة، يستأنف بعدها الكلام.

ـ ومن ذلك قول الشاعر: (مجزوء الرمل) (١)

لا يكون العير مهراً لا يكون المهر مهر

حيث يذكر علماء النحو أن كلمة: مهر فى قافية البيت لا يكون فيها إلا الرفع على الخبرية لكلمة المهر قبلها، وأن الفعل يكون فى الشطر الثانى، ليس مكونا من مكونات، المهر مهر، بدخوله عليها كفعل ناسخ. حيث ينعدم الوصل بعد يكون الثانية ويتحتم الوقف: لكونها مع أداة النفى لا يكون.. من قبيل التوكيد اللفظى. ويزيل هذا اللبس فى فهم المعنى الصحيح، التنغيم الصوتى بهيكله التنظيمى لأسلوب التوكيد فى العربية بالوقف على مقطعه بالنغمة الهابطة، لإفادة تمام الكلام.

ـ ومن ذلك أيضاً قول الشاعر: (الكامل) (٢)

حتى إذا جنّ الظلام واختلط جاءوا بمذق هل رأيت الذ ىب قط

حيث ذكر النحاة أن النفى بالجملة لا يكون إنشائياً أو طلبياً، ولذلك نجدهم يلجئون إلى تأويل ما ورد على خلاف ذلك.

حيث نجدهم فى هذا البيت يقدرون جملة: هل رأيت الذئب قط ؟ على تأويل محذوف صفة لمذق، ويكون التأويل: جاءوا بمذق مقول عند رؤيته: هل رأيت الذئب

---

(١) انظر: شرح ابن عقيل ٢ / ١٦١، دون نسبة. والمحتسب ٢ / ١٦٥ واللسان ١٢ / ٢١٦ والمفصل ٥٥ والإنصاف ٦٩ والخزانة ١ / ٢٧٥، ٢ / ٤٨٢ والأشمونى ٣ / ٦٤، ٢١٩

(٢) انظر: شرح ابن عقيل ٣ / ١٤٨

قط،والحق، فإن هذه الجملة ليست استفهامية، وإن صدرت بأداة من أدوات الاستفهام في العربية: هل، وإنما هي جملة تفسيرية أو توضيحية، تحمل سمات الجمل الخبرية في معناها وفي خصائصها. والحكم الفاصل في تحديد هذه الدلالة،هو التنغيم الصوتي لها، حيث نجد النغمة الهابطة، تبعدها عن دلالة الاستفهام.

ــ ويعد باب الاختصاص من أبواب النحو العربي التي تحتاج إلى التنغيم وهياكله المختلفة لإفادة دلالة الاختصاص، حتى لا يقع اللبس في إفادة معنى الإخبار.

ففي قولنا: نحن ــ العربَ ــ أكرم الناس أخلاقاً.

فإن كلمة: العرب، منصوبة على الاختصاص، ولكن التنغيم الصوتي كما يمكنه تحديد كونها للاختصاص، بأن تكون نغمتها صاعدة، للدلالة على أن الكلام لم ينته، يمكنه أيضاً أن يحدد كونها خبراً. لأنه يتطلب نغمة هابطة لدلالة على تمام الكلام.

ــ وفي قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان ٧٦/١] حيث قرر المفسرون أن هل بمعنى: قد، وفسرها بعضهم بعبارة بسيطة ولكنها تحمل القصة كلها في طياتها.

يقول هؤلاء إن: هل للاستفهام التقريري، أي أن الجملة: تقريرية، وليست استفهامية، ومعناها بعبارة البلاغيين التقليديين.. أن هل خرجت عن أصل معناها، ويتصل الأمر في ذلك في أنها اكتسبت هيكلا تنغيمياً آخر، هو هيكل التنغيم التقريري. عن طريق النغمة الهابطة.

وأما ما ورد في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ﴾ [التحريم ٦٦/١] حيث يذكر المفسرون أن جملة: تبتغي: جملة استفهامية، وتقديرها: أتبتغي ؟ بحذف الهمزة.

وليس في الأمر حذف للهمزة الدالة على الاستفهام، وإنما اكتسب الاستفهام دلالته هنا في الآية الكريمة من التنغيم الصوتي لهذه الكلمة في إطار النغمة الصاعدة التي تدل على الاستفهام.

ـ وأما ما ورد فى قوله تعـالى: ﴿ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يوسف ١٢/٧٥].

فكلمة: جزاؤه وردت مرتين:١- قالوا جزاؤه. ٢- فهـو جـزاؤه، واسـتقامة المعنى فى الآية الكريمة، وإبراز المدلول للكلمتين، لا يكون إلا بالتنغيم ففى الأولـى تكون النغمة صاعدة لإفادة الاستفهام من قبل أخوة يوسف، وفى الثانية تكون النغمة هابطة لإفادة إقرار الجزاء عليه.

ـ وأما ما ورد فى قوله تعـالى: ﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴾ [يوسف ١٢/٢٩] فإن كلمة يوسف، فى موقع المنـادى محذوف الأداة، فالتنغيم هو القرينة المحددة لإفادة دلالة النداء النحوية، حيث تكـون النغمة الصاعدة بقوة، قد أغنت عن المحذوف من الأداة، بل تعدُّ هى الأداة المنطوقة تنغيماً.

كما يتجلى دور التنغيم أيضاً فى اللغة العربية فى الدلالة علـى معـانى الجمـل التأثيرية Exclamatory المختصرة: نحو: لا، نعم، يا سلام،الله! يا شيخ ! يا سيدى ! حيث تنطق هذه الكلمات المختصرة، بنغمات متّنوعة ومتعـددة، فيتغيـر معناهـا النحوى من ناحية، ومعناها الدلالى على الاستفهام أو التوكيد أو الإثبات من ناحيـة أخرى أو للخروج إلى معان أخرى: كالحزن والفرح والشك والتأنيـب والاعتـراض والتحقير وهلم جرا، من ناحية ثالثة. (١)

وينقسم نظام اللغة العربية التنغيمى إلى لحنين:

١) وينتهى بنغمة هابطة على آخر المقطع الذى يقع عليه النبر.

٢) وينتهى بنغمة صاعدة على آخر المقطع الذى يقع عليه النبر.

---

(١) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٢٢٨

ففى الجملتين:

هل جاء محمد ؟ متى جاء محمد ؟

نجد اختلافات فى النغمة الأخيرة فى الجملتين. حيث لا تكون النغمة الأخيرة صاعدة فى حالة الاستفهام بالظرف، إلا إذا أريد التعبير بالاستفهام عن معان إضافية كالدهشة أو التعالى أو نحوها، عند هذه المعان يمكن القول، بأن الجملة: متى جاء محمد ؟ تنتهى بنغمة صاعدة. (١)

ويكثر التنغيم فى اللهجات العامية، حيث تعتمد عليه اعتماداً كبيراً كبديل للأدوات فى الجمل الاستفهامية وعدولها إلى دلالات الإثبات والنفى والسخرية والاستنكار وغيرها ويعد التنغيم فى هذه اللهجات هو العنصر اللفظى المساعد على فهم المعنى وتعينه. والأمثلة على ذلك لا تقع تحت الحصر، فهى تمثل جميع أنماط العبارات والجمل: طويلها وقصيرها !

وينبغى أن نشير إلى أن النبر يشترك مع النغم الصوتى فى خاصية فيزيائية واحدة، حيث يستفيد كلاهما من الوحدة الصوتية.

وثمة تساؤل حول إمكانية وجود النبر والنغم الصوتى فى لغة واحدة كواقعين منفصلين. والحقيقية أن هناك لغات بلا نبر، يكون فيها لكل مقطع نغمة مميزة كما أن هناك لغات أخرى نبرية، فيها نغمات، وحينئذ يكون لكل كلمة أو لكل وحدة نبرية نغمة تمييزية واحدة فقط، ويرتبط موضعها بموضع النبر ذاته.(٢)

أما فى اللغة العربية، فينبغى الإشارة إلى أن هبوط النغمة أو صعودها أو تحولها عن المستوى السابق فى وسط الكلام أو فى آخره، لا يكون إلا متفقاً مع موقع النبر، فلا تتحول النغمة هذا التحول إلا على مقطع منبور، وهذه الصلة الوثيقة بين النبر والتنغيم، لا يمكن انفكاكها، ولذلك يكثر أن يقف المرء عند أحد المعانى باحثاً، عما إذا كان هذا المعنى وظيفة النبر بمفرده، أو التنغيم بمفرده، ثم لا يستطيع

---

(١) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٢٢٩ - ٢٣٠

(٢) انظر: مبادئ اللسانيات العامة ٨٤

الجزم بأنه وظيفة أحدهما على انفراد ".(١)

وإن المتكلم إذا ما وقف قبل تمام المعنى على نغمة مستوية، لا هـى بالنغمـة الصاعدة، ولا هى بالنغمة الهابطة، وأمثلة ذلك فى اللغة العربية تتجلى فـى الوقـف عند كل فاصلة فى الآيات القرآنية فى سورة القمر، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝ يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾ [القيامة ٧٥/٧ – ١٠] فالوقف على: البصر، والقمر أولاً، والقمر ثانيـاً، وقف على معنى لم يتم، فتظل النغمة مستوية مسطحة فى الكـلام. دون صـعود أو هبوط.

أما الوقف عند: المفر، فالنغمة فيه هابطة، لأنـه وقـف عنـد تمـام المعنـى الاستفهامى بغير الأداة، أى الاستفهام بالظرف. (٢)

وبعد.. فهل أدرك العلماء العرب مفهوم التنغيم ولحن الكـلام، ودوره وتـأثيره على دلالات الجمل العربية، وتوجيهه لأنماط الجمل النحوية ؟

والحق، فإن ثمة إشارات إلى بعض آثار التنغيم فى الكلام للدلالة على المعـانى المختلفة، قد وردت عن علمائنا العرب، من ذلك ما ورد فى البيان والتبين: "والصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذى يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً، ولا كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف وحسن البيان باللسان، مع الذى يكـون من الإشارة من الدلّ والشكل والتفتل والتثنى ". (٣)

كما استخدم الفارابى مصطلح: النغم Tone " والنغم الأصـوات المختلفـة فـى الحدة والثقل التى تتخيل أنها ممتدة ". (٤)

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٣٠

(٢) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها

(٣) انظر: البيان والتبين ١ / ٧٩

(٤) الموسيقى الكبير ١٠٩

كما أدرك ابن جنى شيئاً من آثار التنغيم فى الدلالة على المعانى. " وقد حذفت الصفة، ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل، وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة، لما دلّ من الحال على موضعها، وذلك أنك تحسٌ فى كلام القائل لذلك من التطريح والتطويح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله طويل أو نحو ذلك ".(١)

"وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته، لأنك أن تكون فى مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان.والله رجلاً ! فتزيد من قوة اللفظ ـ الله هذه الكلمة، وتتمكن منه تمطيط اللام، وإطالة الصوت بها وعليها، أى رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك، وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنساناً، وتمكن الصوت بإنسان، وتفخمه، فتستغنى بذلك عن وصفه بقولك: سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك، وكذلك إذا ذممته ووصفته بالضيق، قلت: سألناه فوجدناه إنساناً، وتزوى وجهك، فيغنى ذلك عن قولك: إنسانا لئيماً: أو لحزاً أو منجلاً أو نحو ذلك ". (٢)

ومن إشارات العلماء العرب عن التنغيم وآثاره فى سلسة الأحداث الكلامية، ما ورد فى تعليقهم على قول الشاعر جرير بن عطية الحظفى: (الوافر) (٣)

أقلى اللوم عادل والعتابا وقولى إن أصبت لقد أصابا

ويروى: والعتابن: حيث مدّ الشاعر الألف للترنم والتنغيم.

إى إن مجئ المقطع المفتوح، جعل النغمة صاعدة، للدلالة على استمرار تأثره من العتاب واللوم ! وقد خصص سيبويه باباً فى كتابه تحت عنوان: " وجوه القوافى فى الإنشاد " (٤) يقول فيه: " أما إذا ترنموا، فإنهم يلحقون الألف والياء والواو، ما

---

(١) الخصائص ٣ / ١٢٩

(٢) الخصائص ٢ / ٣٧٠ _ ٣٧١

(٣) ديوانه ٨١٣ والكتاب ٢ / ٢٩٨ والدور ٢ / ١٠٣، ٣٣٦ والهمع ٢ / ٨٠، ٢١١ والخزانة ١ / ٣٤ والأشمونى ١ / ٣١

(٤) الكتاب ٢ / ٢٩٨

ينونّ وما لا ينون، لأنهم أرادوا مدّ الصوت"[1] وإنشاد الشعر بالترنم، يقتضى أن يطيل الشاعر الحركة القصيرة، فتصبح طويلة مفتوحة، مما يمكن الشاعر من جعل المقطع صاعداً، للدلالة على مواصلة الموقف النفسى الذى يعايشه الشاعر !

---

(1) الكتاب ٢ / ٢٩٨ وما بعدها، حيث عرض سيبويه شواهد تمثل حالات الترنم فى إنشاد الشعر بمد الألف أو الواو أو الياء.. وهذه الشواهد جميعاً تعتمد على التنغيم فى هيكله المعبر عن الحالة النفسية للشاعر أو المنشد للشعر.

الفصل الرابع

القيم اللغوية لفونيم المفصل

جدوى المفصل وأهميته :

تشتمل اللغات بوجه عام على ثنائيات صغرى من عبارات أو مركبات ولا يستطيع أحد أن يميز بين عناصرها إلا في موضع الفصل، ومن هنا جاءت عند اللغويين: فونيم المفصل. (١) Juncture وقد يسميه آخرون: الانتقال: Transition

وهو عبارة عن سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع في حدث كلامي بقصد الدلالة على مكان انتهاء لفظ أو مقطع، وبداية آخر (٢)

ويختلف العلماء حول جدوى المفصل في اختلاف الدلالات، فبعضهم يرى أنه لا أثر أو قيمة لغوية يقدمها المفصل لإفادة دلالة معينة، حيث ينحصر ذلك فيما تقدمه أنظمة اللغة من فونيمات أساسية تتمثل في صوامتها وحركاتها، أو في فونيمات تطريزية كالنبر والتنغيم والمقطع ! وهؤلاء كما هو واضح لا يفسحون المجال للمفصل لآداء دوره كفونيم تطريزي أيضاً:

وفي المقابل فإن فريقاً آخر من العلماء، يرون قيمة حقيقية للمفصل، وهم يقسمونه إلى قسمين:

١) الانتقال الحاد: ويسمى بالمفصل المفتوح Open Juncture كما في الانتقال من كلمة: Night، وكلمة: late في العبارة: Night late. ويرمز إلى هذا الانتقال الحاد بالعلامة: + زائد

٢) الانتقال الخفي:ويسمى بالمفصل الضيق (muddy) Close Juncture، ويمثل له، بين: r , t في الكلمة: Mitrate، ويرمز له بالعلامة ـ ناقص وقد

---

(١) انظر: دراسة الصوت اللغوى ١٩٦ وكذا:

R. H Robins General linguistics, p , 147

(٢) أسس علم اللغة ٩٥

أدى الخلط فى الماضى فى أماكن الفصل إلى تغييرات تاريخية للكلمات وذلك فى مثل:An awt، التى تطورت إلىAnewt، ومثل: A napron التـــى تطـــورت إلى: An apron. كما يذكر ماريو باى استمرار قيمة المفصل بقوله: " وحتى عصرنا الحاضر، نجد الفصل، هو الذى يساعدنا على أن نميز بـــين: Light house keeperوبـــين، A nice boy، An icebox و Light house keeper، بالإضافة إلى التنغيم والسياق ". ويؤكد ماريو باى قيمـــة المفصـــل حتى ولو لم يؤدى دوراً فونيمياً، إذ إنه يؤدى دوره الهام فى التفريق بين نطق الأجانب، ونطق أبناء اللغة. (١)

(١) انظر: أسس علم اللغة ٩٥ – ٩٦

قيم المفصل وأنواعه فى اللغة العربية

لم تحظ دراسة المفصل فى اللغة العربية باهتمام العلماء والدارسين العرب ، سوى ما قام به علماء القراءات القرآنية من تحديد وتقعيد لمواضع الوقفات والسكنات فى القرآن الكريم . وقد خلت الدراسات النحوية من الحديث عن القيمة النحوية للوقف فى أبواب النحو وموضوعاته ، باعتباره قيمة صوتيه هامة ، تتوقف عليها سلامة التركيب اللغوى وفقاً لقواعده ، وكذا صحة دلالة التركيب ومعناه المناسب . وتشتمل اللغة العربية على أنواع ثلاثة للمفصل وهى : الوقفات والسكتات والاستراحات . وهذه الأنواع الثلاثة للمفصل وهى : الوقفات والسكتات والاستراحات تؤثر على أمرين هامين وتتأثر بهما :

١) **المعنى أو الدلالة** : أى معنى الكلام ودلالته

٢) **القواعد النحوية للغة العربية** : فاللغة العربية لها قواعدها ، التى تحكم الصحة للنطق بها لدى متكلميها .

والأمران السابقان ضروريان ، فى بيان قيمة الفصل بأنواعه الثلاثة فى اللغة العربية ، فهما يتضافران فى إبراز فعالية هذه الأنواع وتفاعلها . ولا يمكن الاستغناء بواحد منها دون الآخر .

أولاً : الوقفات : تدل الوقفات باعتبارها مفصلاً (أى فونيم تطريزى) يمكن عنده قطع السلسلة النطقية ، فيؤدى ذلك ، إلى انقسام السياق إلى دفعات كلامية ، تَعدُّ كل دفعة منها شريطة اكتمال معناها واقعة تكميلية منعزلة .

والوقفات فى اللغة العربية ، باعتبارها ظاهرة موقعية ، من موقعيات السياق العربى ، ترجع إلى كراهية الأضداد : أو كراهية التنافر . فالوقوف الذى يأتى بعد تمام المعنى كلياً أو جزئياً ، هو عكس الحركة تماماً فبينه وبين الحركة تنافر [١]

---

(١) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٢٧٠ وما بعدها. فالحركة التى تقع فى نهاية الدفعة الكلامية، لابد لمقطعها أن يكون من نوع: ص ح ،وهو نوع لا يقع عليه النبر،وهو فى آخر الدفعة الكلامية أبداً ،وانعدام النبر فى هذا المقطع يضعف الحركة فى النطق، ويجعلها من قبيل: الروْم ،وهو =

ويكون الوقف ــ عادة ــ كما أسلفنا عند تمام الكلام من حيث المعنى ، وذلك يتحقق فى الجمل المكونة من العناصر اللغوية ، الموافقة للوقف المعين . فقد تكون الجمل الاستفهامية بالعلامات الخاصة ، التى لا تتطلب إجابة بنعم أو بلا ، وكذلك فى الجمل غير المعلقة ، ويكون الوقوف على نغمة صاعدة فى الجمل الاستفهامية التى تستوجب الإجابة بنعم أو بلا ، وكذلك فى الجمل المعلقة بشرط . ولكثرة مواضع الوقوف على نظائرها التى لا يجوز الوقوف عليها ، فسوف نقدم المواضع التى لا يجوز فيها الوقوف . بعدما نبين قيمة الوقوف من خلال النماذج الآتية :

النعت المقطوع :

ليس النعت المقطوع جزءاً من جملة محذوف جزؤها الآخر . كما قرر ذلك النحاة العرب ، وإنما هو جملة بذاتها . ففى المثال : مررت بزيد الكريم ، فكلمة " الكريم " على إرادة قطع النعت ، تعد جملة كاملة ، لكنها جملة ذات طرف واحد ؛ لأنها وحدة لغوية يتم بها الكلام فى الموقف اللغوى المناسب ، وذلك بالاعتماد على تحديدها أو إمكانية تحديدها كجملة مستقلة ، على الوقف ، سابق ولاحق .

ولتوضيح ذلك من خلال تصوير مسرح لغوى لهذا النعت المقطوع على الوجه الآتى :

أ	متكلم : مررت بزيد سامح : من هو ؟ المتكلم : الكريمُ بالرفع	ب	متكلم : مررت بزيد مستمع : من تقصد ؟ المتكلم : الكريمَ بالنصب

= الاصطلاح الذى أطلقه النحاة على الوقوف بها ضعيفة. بل من قبيل الإشمام،الذى هو تهيؤ الشفتين لنطق الحركة دون حدوث النطق.ومن ثم تكون الحركة الأخيرة فى ضعفها وقصورها عن الوصول إلى الأذن غير ذات قيمة كبيرة باعتبارها قرينة لفظية على المعنى. ومن هنا اختار الاستعمال أن ينشىء ظاهرة الوقف، دفعاً للتنافر، ودلالة على موقع إنهاء الدفعة الكلامية، وهو موقع مرتبط بتمام المعنى جزئياً أو كلياً.

فمعنى الحالة الأولى وقف المتكلم على الكريم ناطقاً بالرفع ، باعتبارها جملة كاملة ذات طرف واحد ، مرتبطة بجملة الاستفهام : من هو ؟ فتكون الاجابة : الكريمُ، على اعتبار البنية العميقة وهى: هو الكريمُ ، التى مثلتها قواعد الآداء النطقى على مستوى البنية السطحية : الكريمُ ، على اعتبار النعت المقطوع

وفى الحالة الثانية ، وقف المتكلم على الكريم ، ناطقاً بالنصب ، باعتبارها جملة كاملة ذات طرف واحد ، مرتبطة بجملة الاستفهام : من تقصد ؟ فتكون الإجابة: الكريمَ ، على اعتبار البنية العميقة وهى : أقصد الكريمَ ، التى مثلتها قواعد الأداء النطقى على مستوى البنية السطحية : الكريمَ ، على اعتبار النعت المقطوع .

– ومن أمثلة ذلك ــ أيضاً ــ قول الشاعر :

عضنا الدهر بنابه   ليت ما حل بنابه

فالوقف على شبه الجملة : بنا : هام لتحديد المعنى المراد ، ولدفع شبهه سوء الفهم للكلمة على أنها : بنابه : آى : بأنيابه .. فالوقوف على عبارة : بنا ، عبارة مستقلة قائمة بذاتها ، والعبارة : به : شبه جملة مستقلة أيضاً عن العبارة السابقة ومن ثم يلزم أن نضع بعد شبه الجملة : بنا ، الرمز + للدلالة على أنه مفصل حاد (مفتوح) OPEN Juncture

مواضع عدم الوقف أو ما لا يجوز الوقف عليه فى اللغة العربية :

وهى مواضع عديدة ، ترتبط بصحة الدلالة ، وصحة التركيب النحوى، ومنها:

١) لا يجوز الوقوف بين الفعل والفاعل ، ولا يجوز الوقوف بينهما وبين المفعول بهٔ .

٢) لا يجوز الوقوف بين المضاف والمضاف إليه ،فالمتضايفان كل لا يتجزأ ، وهما يؤلفان معاً كلمة مركبة .

٣) لا يجوز الوقوف بين النعت والمنعوت ، إلا إذا كان النعت مقطوعاً، على نحو ما ذكرناه .

٤) لا يجوز الوقوف على اسم الإشارة وبدله أو عطف بيانه : إلا إذا تغير الموضع

الإعرابى من بدل أو عطف بيان إلى خبر ، وحينئذ يجوز أن تكون هناك سكتة خفيفة .

٥) لا يجوز الوقوف بين المكملات ، وما تأتى لبيان حالها أو تمييزها أو تعين وقتها ، سواء أكانت المكملات حالاً أم تمييزاً أو ظرفاً .

٦) لا يجوز الوقوف على أداة الاستثناء.

٧) لا يجوز الوقف بين الأدوات السابقة للأفعال والأفعال.

٨) لا يجوز الوقوف بين حروف الجر ومجروراتها .

٩) لا يجوز الوقوف بين الحروف الناسخة وجملها ، وكذلك بين الأفعال الناسخة وجملها .

ثانياً : السكتة الخفيفة :

وتعد السكتة : Pause فونيماً تطرزياً من فونيمات اللغة العربية ، ولها مواضع كثيرة يمكن أن ترد فيها ، ولكن السكتة ليست واجبة عند تطق المتكلمين ، وإنما هى اختيارهم ، ومن ثم فإنه يجوز إهمالها ، ومن مواضع السكتة فى اللغة العربية .

١- السكتة بين المبتدأ والخبر المعرفتين :

ففى المثال الآتى :

محمد الصغير ، يمكن تحليله نحوياً ، مع مراعاة السكتة بين المركب الاسمى : محمد والمركب الوصفى الصغير ، بحيث تكون النغمة هابطة على المركب الوصفى : كما يصوره المسرح اللغوى الآتى :

اسم معرفة + إمكانية السكتة + صفة معرفة + نغمة هابطة

محمد الصغير + ↘ = جملة تامة

مبتدأ + خبر

(تركيب مستقل)

فى حين إذا جعلنا مسرحها اللغوى هكذا :

اسم معرفة + صفة معرفة ـــ إمكانية السكتة + نغمة صاعدة =جملة ناقصة

محمد الصغير ⁄ مبتدأ + صفة

(تركيب غير مستقل)

٢) السكتة بين القول ومقوله .

٣) السكتة عند تفصيل الكلام : إذا بدأ الكلام بقولنا ... بأن

٤) السكتة بين الجمل المعلقة .

ونلاحظ أنه عند السكتات تكون المقاطع صاعدة ، حيث لم ينتبه الكلام ففى المثال : لا وأيدك الله : فى الدعاء للشخص لا عليه ، فقد حرص النحاة على الإتيان بالواو . حتى لا يحدث اللبس فى الدلالة على عكس المراد ولكن المقام، وما يصحبه النطق من خواص صوتيه ، وكلها عوامل تعين على المراد من دلالة الدعاء. وفى هذه الحالة ، يمكن الاستغناء عن هذه الواو ، بأن نتبع أداة النفى بسكتة خفيفة ، لتكون أداة النفى فى هذه الحالة جملة تامة بذاتها من عنصر واحد ، تعقبها الجملة الأخرى، كاملة العناصر النحوية .

ويمكن تحليلها وفقاً لمسرحها اللغوى على النحو الآتى

جملة نافية بعنصر واحد + إمكانية السكتة + جملة تامة العناصر

لا شفاك الله = دعاء الايجاب للشخص

كما يمكن تحليلها على النحو الآتى :

أداة نفى + جملة تامة منفية ـــ إمكانية السكتة = دعاء بالسلب على الشخص

لا ← شفاك الله ←

ثالثاً : الاستراحات

تعد الاستراحات هى الأخرى من الفونميات التطريزية فى اللغة العربية وإن كانت أقلها تأثيراً ، وهى عبارة عن : لجوء المتكلم إلى الاستراحة عندما يطول الكلام ، حيث يلجأ إلى التقاط النفس .وليس للاستراحات قواعد ثابتة أو مواضع بعينها يمكن تحديدها ، لأنها تتعلق فحسب بقدرة المتكلم على الاستمرار فى الكلام وطول النفس ، مع مراعاة فهم المعنى وسلامته ، وصحة التركيب نحوياً .

فالاستراحات إذن عبارة عن قدرة خاصه بصاحبها ، تعدُّ من الخبرات الخاصة. فهناك من الناس من يستطيع مواصلة الكلام الطويل ، دونما حاجة إلى استراحة مع مراعاة صحة المعنى والتركيب . وهناك أناس آخرون لا يستطيعون مواصلة الكلام الطويل فيستريحون على جمل مفيدة أو عبارات قصيرة ، لقصر نفسهم ، من جانب ، ولتصويب المعنى والعمل على صحته وصحة التركيب النحوى من جانب آخر .

الخاتمة

وبعد .. فإن دراسة الفونيمات التطريزية ، هى من الدراسات اللغوية الهامة التى ينبغى أن تخطى باهتمام الباحثين والدارسين . فى مجال الدرس اللغوى العربى . وفى جميع المستويات اللغوية المستعملة سواء أكانت على مستوى اللغة العربية الفصحى ، المتمثلة فى النصوص التراثية القديمة ؛ التى وردت فى مؤلفاتنا التراثية اللغوية ، أو تلك التى تمثل اللغة العربية الفصحى المعاصرة ، وكذلك الحال مع سائر المستويات اللهجية والعامية .

والحق ، فإن اهنمام الباحثين بهذه الفونميات ، يأتى في المرتبة التالية ، بعد الفونميات الرئيسية . فى صورة مباحث تكميلية انطلاقاً من حصر دورها فى القيم التجميلية ، أو فى القيم الثانوية ! صحيح أن هذه الفونيمات التطريزية أو الثانوية أو كما تسمى (فوق التركيبية) توحى تسميتها بهذا الدور المحدود . ولكن الحقيقة غير ذلك فهذه الفونيمات ذات تأثيرات لغوية خطيرة وهامة ، لأنها تمثل وتوجه أنماطاً كثيرة من قواعد السياق اللغوي والأداء الفعلى للغة المنطوقة : وما يصاحبها من ظروف اجتماعية وملابسات وأحوال تصاحب الأحداث اللغوية وتؤثر فيها بالتعديل والتغيير .

إن كثيراً من القواعد التقليدية الثابتة التي تحفظ اللغة من اللحن والاندثار التي يمكن أن تحافظ على تراكيب اللغة وسلامتها ، تصطدم فى كثير من الأحيان بما تسمى قواعد الأداء والسياق اللغوى التى تمثل جانباً كبيراً منه ، هذه الفونيمات التطريزية ،

-وقد قدمت الدراسة التى قمنا بها أهمية هذه الفونيمات وقيمتها فى التأثير على التراكيب اللغوية العربية وكذا القواعد التى تحكم هذه الفونيمات .

وقد أثبتت الدراسة من خلال التطبيقات والتحليلات ، التى نهضت بها ضرورة أن تراعى القواعد اللغوية العربية الواقع اللغوى وسياقاته الفعلية المنطوقة ، تلك التى تنظم شطراً كبيراً منها الفونيمات التطريزية .

اختارت الدراسة أربعة أنواع من تلك الفونيمات ، لها حضورها وتأثيرها ، الذى لا يمكن إغفاله على كافة المستويات : الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية .

١) فقد أكدت الدراسة قيمة فونيم النبر وتأثيراته ، وانتقال مواضعه عن أماكنها المحددة على المقاطع الصوتية ، وما يؤديه هذا الانتقال من تغيير في أبنية الصيغ العربية على مستوى الكلمة .

كما أثبتت الدراسة أن اللغة العربية ليست لغة نبرية ، كما هو الحال فى اللغة الإنجليزية ، حيث يؤثر تغيير مواضع النبر فيها إلى تغيير في معانى الكلمات ومدلولاتها .

وأن اللغة العربية لها نظام نبرى خاص بها ، وبأنظمة مقاطعها ، وأن النبر العربى نبر موسيقى يحتاج إلى المقاطع ذات المساحات الواسعة ، وأن مواضع النبر فيها يتحدد على المقاطع بالنظر إليها من الآخر .

– بينت الدراسة أن النبر يؤثر فى مطل الحركات القصيرة ، وفى تقصير الحركات الطويلة وما يحدثه ذلك من تغيير الهيكل البنائى العربى للكلمة ، وأن تأثيرات النبر هى وحدها التى تفسر لنا ذلك التقصير والمطل الذى ورد فى النصوص الشعرية والنثرية ، وفى تراثنا العربى القديم وهى التى تفسر لنا ــ أيضاً ــ ما يحدث من تغييرات فى الحركات طويلة أم قصيرة ، فى اللغات الحية واللهجات الحديثة .

– كما بينت الدراسة مواضع النبر فى الجملة العربية ، وأن هذه المواضع لا تختلف فى قواعدها عن مواضع النبر فى الكلمة المفردة ، حيث تكون مواضع النبر على المقاطع فى الجملة،هى نفسها مواضع النبر عندما كانت منفردة مستقلة.

– تشتمل اللغة العربية ، شأنها فى ذلك شأن اللغات النبرية ، على النبر الثانوى، وأن تحديد مواضعه ، تتم بحسب مواضع النبر الرئيسى بعده عندما ننظر إلى مقاطع الكلمة من الآخر ، وأن النبر الثانوى ، لا يغنى عن النبر الرئيسى .

– ثمة علاقة بين النبر والنغمات ، وأن بعض اللغات تتمتع بوجود النوعين،

ولكنها نادرة ، لأن اللغات بوجه عام إما لغات نبرية ، وإما لغات نغمية .

– كما تختلف مواضع النبر فى اللغة العربية الفصحى عن مواضعه فى اللغات الحية واللهجات العامية ، حيث تتأثر مواضع النبر بالعادات النطقية والظروف والملابسات الحية ، التى تصاحب تلك اللغات الحية ، وتمثلها قواعد الأداء الفعلى المنطوق .

– أثبتت الدراسة من خلال بعض الظواهر الصوتية فى اللغة العربية الفصحى من خلال التطبيقات والتحليلات تأثر قيم النبر على صيغ وتراكيب معينة ، تمثلها هذه الظواهر ، سواء فى الكلمة أو فى الجملة ، كالتغيرات التى تحدث بسب ظاهرة التوصل إلى النطق بالساكن ، وتغيرُ مواضع النبر وما يحدثه ذلك من تأثير على التراكيب المقطعية لهذه الحالات . وكذا تأثير النبر فى مجىء هاء السكت أو ألف الإشباع أو إطلاق القافية ، وما يحدثه ذلك من تغيرات فى الهياكل المقطعية من إغلاق أو إطلاق ، بسبب تغيير مواضع النبر وانتقالها عن أماكنها .

– قدمت الدراسة نماذج عديدة وأمثلة متنوعة من اللغة العربية الفصحى واللهجات، تمثل تأثيرات انتقال النبر مقطعياً وصرفياً . وأن ما ذكره العلماء العرب من أنه لحن وانحراف سواء فى وزن بعض الصيغ أو ضبطها ، إنما هو من قبيل هذا التأثير والانتقال .

٢) كما أكدت الدراسة قيمة فونيم المقطع الصوتى وأهميته فى الدراسات اللغوية، ودوره الهام فى إسهاماته فى تعليم اللغات الأجنبية ، وتعلم اللغات القومية وأن المتكلم حين يتكلم ، فإنه يقسم كلامه تقسيماً مقطعياً ، وأن الأصوات اللغوية الإنسانية ، تشتمل على أصوات مقطعية وأخرى غير مقطعية .

–وقدمت الدراسة أسس التقسيم المقطعى ، وأنواع المقاطع بوجه عام ، وأن اللغه العربية تشتمل على خمسة أنواع من المقاطع ، ثلاثة رئيسية هى : المقطع القصير المفتوح ص ح ، والمقطع الطويل المفتوح ص ح ح ، والمقطع الطويل المغلق ص ح ص ، واثنان لا يأتيان إلا بشروط محددة ، وفى مواضع معينة وهما :

المقطع المديد المغلق ص ح ح ص،والمقطع الزائد الطويل المغلق ص ح ص ص

- أثبتت الدراسة أن التقسيمات المقطعية ، تختلف من لغة إلى لغة ، وأن اللغة العربية تختص بسمات كثيرة تتميز بها أنظمتها المقطعية وأن لهذه السمات والحقائق دوراً هاماً فى الوقوف على كثير من قواعد اللغة الصرفية والنحوية ،من ذلك مثلاً : أن الكلمة العربية يمكن أن تتألف من مقطع واحد، وأن عدد مقاطعها لا يزيد عن سبعة مقاطع . وأن المقطع العربى فى اللغة الفصحية لايبدأ بصائت ، وإنما يبدأ بصامت واحد وأن بعض اللهجات العربية يمكن أن تبدأ فيها الكلمة بصائت ، أو بصائتين متتاليين . كما أن الكلمة العربية المجردة ، لا تزيد على أربعة مقاطع ، وأن اللغة العربية تقيد توالى مقطعين من النوع الطويل المفتوح ص ح ح ، ولا تسمح بثلاثة منها فى كلمة واحدة .كما لاتسمح اللغة العربية بوجود المقطع الزائد الطول المغلق ص ح ص ص فى صدر الكلمة أو فى حشوها لأنه مقطع يختصُ بحالات الوقف .

- أكدت الدراسة أن النظام المقطعى العربى يأبى ورود أربعة مقاطع قصيرة مفتوحة متتالية من نوع ص ح وأن ذلك هو السبب في تغيرٌ حالة البناء على الفتح فى الأفعال الماضية ، ذات المقاطع الثلاثة من هذا النوع فى مثل : كتب ، إلى البناء على السكون عند إسنادها إلى ضمائر الرفع المتحركة ، مثل : كتبْتُ ، بدلاً من كَتَبَتُ!

- أكدت الدراسة إمكانية الإفادة من التنظيم المقطعى العربى فى الوزن الشعرى ، وأن استخدام هذا النظام المقطعى كبديل لنظام التفعيلات العروضية ، يكون أيسر وأسهل ، ويخلصنا من كثير من مصطلحات الزحافات والعلل وغيرها ، التى تصل إلى ثلاثة وثلاثين مصطلحًا.

٣) كما قدمت الدراسة لقيمة فونيم التنغيم وأهميته ، وبينت الفرق بين اللغات النغمية واللغات التنغمية ، وأن النوعين يشتملان على أنواع من النغمات بأنواعها ، المستوية والصاعدة والهابطة .

- ذكرت الدراسة أهمية التنغيم فى اللغة العربية وقيمته فى إبراز المعانى

والدلالات المختلفة وأن اللغة العربية شأنها شأن اللغـات التنغميـة ، كالإنجليزيـة والروسية يكون التنغيم فيها على مستوى الجملة .

-بينت الدراسة الهياكل التنغمية وأشكالها التى تتميز بها الجمل العربية حيـث تختلف الهياكل التنغمية فى الجمل الاستفهامية ، عن الهياكل التنغمية فـى الجمـل الإثباتية ، سواء صعوداً أو هبوطاً .

-اكدت الدراسة أن اللغة العربية الفصحى قد استعاضت عن ذكر بعض الأدوات فى بعض التراكيب بالتنغيم وقيمه ، وذلك فـى التراكيـب الإفصـاحية ، والصـيغ المسكوكة ذات الصيغ التأثرية ، كصيغ الدعاء والنداء وغيرها .

٤) قدمت الدراسة لأهمية فونيم المفصل وقيمته اللغوية ، بأنواعه الثلاثة التى ترد فى اللغة العربية وهى: الوقفات والسكتات والاستراحات . وأن هذه الفونميات تتأثر بأمرين هامين هما: صحة المعنى والدلالة ، وسلامة التركيـب النحـوى وصحة قواعده

-أبرزت الدراسة قيمة فونيم الوقف وأهميته فى أنماط من الجمل العربية فـى مثل : النعت المقطوع ، وقيمة السكت فى الجمل التى يكون فيهـا المبتـدأ والخبـر معرفيتين والقول ومقوله وتفصيل الكلام وغيرها . وأن الاستراحات هى أقـل هـذه الفونيمات تأثيراً .

وأخيراً .. فإن الفونيمات التطريزية لها من القيم اللغوية الهامة والمؤثرة على كافة المستويات وأن جهود الباحثين والدارسـين لابـد أن تبـذل للنهـوض بعمـل الدراسات التطبيقية والتحليلية لاستخلاص القواعد الحقيقية ، الممثلة للغة المنطوقة، ، وما يصاحبها من ظروف وملابسات تستوجبها مقامات الأحداث اللغوية.

والحمد لله أولاً وآخراً

المراجع العربية

١) الإبدال، لأبي الطيب اللغوي، تحقيق د/ عز الدين التنوحي دمشق ١٩٦٠م.

٢) أبنية الفعل في اللغات السامية، د/ رمضان عبدالتواب - مجلة كلية اللغة العربية ١٩٧٤م.

٣) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، القاهرة، ١٣٦٨م.

٤) الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم الأندلسي - مطبعة الإمام - بلا تاريخ.

٥) أسباب حدوث الحروف، لابن سينا، القاهرة، ١٣٩٨هـ.

٦) أسس علم اللغة، لماريوباي، ترجمة د/ أحمد مختار عمر، ليبيا، ١٩٧٣م.

٧) أسرار العربية، لأبي البركات الأنباري - ليدن ١٣٠٢هـ - ١٨٨٦م.

٨) أصوات اللغة، د/ عبدالرحمن أيوب، القاهرة، ١٩٦٨م.

٩) الأصوات اللغوية، د/ إبراهيم أنيس، القاهرة ١٩٧٩.

١٠) الأصوات اللغوية ، د/عبد القادر عبد الجليل، الأردن، ١٩٩٨.

١١) إعراب ثلاثين سورة ،لابن خالويه ـ تحقيق عبد العزيز الميمنى - القاهرة ١٩٤١ م.

١٢) ألف باء ، للبلوى، القاهرة ١٢٧٨هـ.

١٣) الأمالي ، لابن الشجري - حيدر آبار الدكن ـ الهند ١٣٤٩هـ

١٤) الإنصاف في مسائل الخلاف، لابن الأنباري- تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٥٣م.

١٥) إيضاح الوقف والابتداء، لابن الأنباري، تحقيق محيي الدين رمضان، دمشق، ١٩٧١م.

١٦) البرهان في علوم القرآن، للزركشي - تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٧ - ١٩٥٨م.

١٧) بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي، لإنولنيمان، مجلة كلية الآداب، المجلد

العاشر ١- ٢ ١٩١٠م.

١٨) البيان فى روائع القرآن، د/ تمام حسان - القاهرة ١٩٩٣م.

١٩) البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٤٨ - ١٩٥٠م .

٢٠) تاريخ الأدب العربي، حفني ناصف، القاهرة، ١٩٥٨م.

٢١) تصحيح الفصيح، لابن درستويه - تحقيق عبدالله الحيوري، بغداد، ١٩٧٥م.

٢٢) التطور النحوى للغة العربية، لبرجشتراسر - أخرجه وصححه وعلق عليه د/رمضان عبد التواب القاهرة ١٩٨٣م.

٢٣) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، ١٩٦٧م.

٢٤) التفكير اللساني في الحضارة العربية، لعبدالسلام المسعري - ليبيا - تونس ١٩٨١م.

٢٥) التنبيه على غلط الجاهل والنبيه، لابن كمال باشا - نشر ديرنبورج - ليز ١٨٧٥م.

٢٦) تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق عبدالسلام هارون وآخرين، القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٧م.

٢٧) جمهرة اللغة، لابن دريد الأزدي - تحقيق كرنكو - حيدر آباد الدكن، الهند ١٣٤٤ - ١٣٥١هـ.

٢٨) خزانة الأدب، للبغدادي - تحقيق عبدالسلام هارون - القاهرة ١٩٦٧ - ١٩٦٩م.

٢٩) الخصائص، لابن جنى - تحقيق محمد علي النجار - القاهرة ١٩٥٢ - ١٩٥٦م.

٣٠) دراسة السمع والكلام، د/ سعد مصلوح، القاهرة، ١٩٨٠م.

٣١) دراسة الصوت اللغوي، د/ أحمد مختار عمر، القاهرة، ١٩٧٦م.

٣٢) الدرر اللوامع ، للشنقيطى – القاهرة ١٣٢٨هـ.
٣٣) دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، ترجمة د/ صالح القرمادي، تونس ١٩٦٦.
٣٤) ديوان أبي محجن الثقفي، تحقيق (امتياز على عرش – مجلة الهند – الهند – ١٩٢٥م).
٣٥) ديوان الأخطل، نشر أنطوان صالحاني – بيروت ١٨٩١م.
٣٦) ديوان أمرىء القيس، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٨م.
٣٧) ديوان جرير، نشر محمد إسماعيل عبدالله الصاوي – القاهرة ١٣٥٣هـ.
٣٨) ديوان رؤية بن العجاج، تحقي أهلورت، ليبزج، ١٩٠٣م.
٣٩) ديوان عمر بن أبي ربيعة ، نشر بأول شفارتش – ليبتزج ١٩٠١ – ١٩٠٩م.
٤٠) ديوان كثير عزة ، تحقيق د/ نورى حمودى القيسى وحاتم صالح الضامن – بغداد ١٩٧٧م.
٤١) زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء، تحقيق د/ رمضان عبدالتواب، بيروت ١٩٧١م.
٤٢) سر صناعة الإعراب لابن جنى، تحقيق مصطفى السقا وأخرين، القاهرة ١٩٥٤م.
٤٣) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك – تحقيق د/ طه محمد الزينى – القاهرة ١٩٦٦–١٩٧٠م.
٤٤) شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك – القاهرة بلا تاريخ.
٤٥) شرح شافية ابن الحاجب، للاسترایاذي – تحقيق محمد نور الحسين وآخرون – بيروت – ١٩٧٥م.
٤٦) شرح شواهد الشافية، للبغدادى – تحقيق محمد الزفزاف وآخرين– القاهرة ١٣٥٦هـ.

٤٧) شرح المفصل، لا بن يعيش، القاهرة، بلا تاريخ، القاهرة ١٩٣٧م.
٤٨) شرحان على مراح الأرواح - القاهرة ١٩٣٧م.
٤٩) شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح، لابن مالك النحوي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، القاهرة ١٩٥٧.
٥٠) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها، لابن فارس، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، ١٩٧٧م.
٥١) الصاهل والشاحج، لأبى العلاء المصرى - تحقيق د/ بنت الشاطئ - القاهرة ١٩٧٥م.
٥٢) الصحاح، للجوهري = تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، القاهرة، ١٩٥٦م.
٥٣) طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٤م.
٥٤) عبث الوليد، لأبى العلاء المعري - القاهرة، ١٩٧٠م.
٥٥) عثرات اللسان في اللغة. لعبدالقادر المغربي - دمشق ١٩٤٩م.
٥٦) علم الأصوات، لمالبرج، ترجمة د/ عبدالصبور شاهين، القاهرة ١٩٨٥م.
٥٧) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، لشاده، صحيفة الجامعة المصرية، السنة الثانية ١٩٣١م.
٥٨) علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، د/ محمد السعران، ط٢، القاهرة، ١٩٩٢م.
٥٩) علم اللغة العام، الأصوات، د/ كمال بشر، القاهرة، ١٩٧٠م.
٦٠) العمدة ، لا بن رشيق القيرواني . القاهرة ١٩٠٧م.
٦١) العين، للخليل من أحمد الفراهيدي، ترجمة د/ عبدالله درويش، بغداد ١٩٦٧م.
٦٢) غريب الحديث لابن قتبة الدينوري - تحقيق عبدالله الجبوري، بغداد ١٩٧٧م.
٦٣) غريب الحديث لأبي عبيد - حيدر آباد الدكن - الهند ١٩٦٤ - ١٩٩٧م.

٦٤) الفائق ، للزمخشرى - تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٤٥-١٩٤٨م.

٦٥) فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان، ترجمة د/ رمضان عبد التواب، الرياض ١٩٧٧م.

٦٦) القافية والأصوات العربية ، د/ عوني عبد الرءوف - القاهرة ١٩٧٧م.

٦٧) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د/ عبد الصبور شاهين، القاهرة، ١٩٧٧م.

٦٨) القلب والإبدال، لابن السكت (ضمن الكنز اللغوي في اللسان العربي) نشر هفنر - بيروت ١٩٠٣م.

٦٩) الكافي في العروض والقوافي، للتبريزي - نشر الحساني حسن عبدالله - القاهرة ١٩٦٦م.

٧٠) الكامل في اللغة والأدب، للمبرد - تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم والسيد شحاته - القاهرة ١٣١٦ - ١٣١٧هـ.

٧١) الكتاب، لسيبويه، بولاق ١٣١٦ - ١٣١٧هـ.

٧٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب، تحقيق د/ محيي الدين رمضان، القاهرة، ١٩٤٧م.

٧٣) لحن العوام، للزبيدي، تحقيق د/ رمضان عبد التواب، القاهرة، ١٩٦٤م.

٧٤) لسان العرب، لابن منظور - بولاق ١٣٠٠ - ١٣٠٧هـ.

٧٥) اللغة، لفندريس، ترجمة عبدالحميد الدواخلي ود/ محمد القصاص، القاهرة، ١٩٥٠م.

٧٦) اللغة العربية معناها ومبناها ، د/ تمام حسان، القاهرة، ١٩٧٩م.

٧٧) اللغة وعلم النفس، د/ موفق الحمداني، بغداد بلا تاريخ.

٧٨) ما تلحن فيه العامة للكسائي، تحقيق د/ رمضان عبدالتواب، القاهرة، ١٩٨٢.

٧٩) مبادئ في علم الأصوات العام، لابركرمبي، ترجمة د/ محمد فتيح، القاهرة ١٩٨٨.
٨٠) مبادئ اللسانيات ، د/ أحمد قدور - بيروت ١٩٩٦م.
٨١) مبادئ اللسانيات العامة، لأندريه مارتينيه - ترجمة د/ أحمد الحمو دمشق - ١٩٨٥م.
٨٢) المحتسب فى تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جنى - تحقيق على النجدي ناصف وآخرين.
٨٣) المحكم في في نقط المصاحف، للداني، تحقيق د/ عزة حسن، دمشق، ١٩٦٠م.
٨٤) مخارج الحروف وصفاتها، للسماني الأشبيلي (ابن الطحان) تحقيق محمد يعقوب تركستاني ١٩٨٤م.
٨٥) المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان - تحقيق د/ رمضان عبد التواب - تحت الطبع.
٨٦) مدخل إلى الصواتة التوليدية، لأدريس السفروشني - المغرب ١٩٨٧م.
٨٧) مدخل إلى الصواتيات، د/ مفتاح إبراهيم تونس، ١٩٩٩م.
٨٨) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث، د/ رمضان عبد التواب، القاهرة ١٩٨٥م.
٨٩) مدخل إلى علم اللغة، د/ محمود فهمى حجازى، القاهرة ١٩٩٨م
٩٠) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها، للسيوطى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، القاهرة، ١٩٥٨م.
٩١) معاني القرآن، للفراء، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة ١٩٥٥ - ١٩٧٢م.
٩٢) المعرب من كلام الأعجمي على حروف المعجم، للجواليقي، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة، ١٣٦١هـ.

٩٣) مفاتيح العلوم، للخوارزمي، القاهرة، ١٣٤٢هـ، القاهرة ١٢٩١هـ.

٩٤) المفضل، للزمخشري – القاهرة ١٢٩١هـ.

٩٥) المقتضب، للمبرد، تحقيق عبدالخالق عضيمة، القاهرة، ١٩٦٣م.

٩٦) مقدمتان في علوم القرآن، نشر آرثر جفري، القاهرة، ١٩٥٤م.

٩٧) الممتع، لابن عصفور – تحقيق فخر الدين قباوة – حلب ١٩٧٠م.

٩٨) مناهج البحث في اللغة، د/ تمام حسان، المغرب، ١٩٨٦.

٩٩) الموسيقى الكبير، للفارابي، تحقيق غطاس عبدالملك خشبة، القاهرة بلا تاريخ.

١٠٠) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، نشر محمد الصباغ، القاهرة، بلا تاريخ.

١٠١) النكت الحسان، لأبي حيان الأندلسي – تحقيق محمد عبدالحسين الفتلي – بغداد ١٩٨٥م.

١٠٢) همم اللوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي – القاهرة ١٣٢٧هـ.

١٠٣) الوجيز في فقه اللغة، لمحمد الأنطاكي – بيروت بلا تاريخ.

١٠٤) وظيفة المقطع الصوتي في موسيقى الشعر العربي، د/ رفعت الطرنواني – القاهرة ١٩٩٠م.

المراجع الإفرنجية

1) Aber Crombie: Studies in phonetics and linguistics, 1965 .

2) D, Bolinger: Aspects of language, U.S.A, 1968.

3) Brosnahan: Malemberg: An Introduction to phonetics, 1970.

4) N. Chomsky: Syntatidcs structure, 1956.

5) J, D, O Connor: phonetics, 1973.

6) F. D. Dinneen: An Introduction to general linguistics, U.S.A, 1967.

7) Ferguson: The Emphait «L» in Arabic language, 1956.

8) L, Gordon: A Guide to practical speech training, 1969.

9) E, P, Hamp,: Glossary of American technical.

10) R. R, Hartmann, E, C, stork, Dictionary of language and linguistics, 1972.

11) M. Honer: Altusdarabische Grammatike.

12) R, J.ıkobson: The Emphatic phonemes in Arabic.

13) D, Jones: An out line of English phonetics, 1957.

14) D, Jones: The phoneme, its nature and use, 1962.

15) J. Kramsky: The phoneme, 1974 .

16) P, Ladefoged: preliminaries of linguistics, phonetics U. S. A, 1971.

17) J, Lyones, Language and linguistics, 1999.

18) J. Lyons: New Horizons in linguistics, 1972.

19) J. MacCarthy: English pronunciation.

20) B, Malmberg : New tends in linguistics, 1964.

21) B, Malmberg: phonetics, 1963.

22) T, Malewski: Introduction to study of language 1973.

23) A, Martient: Elements of general linguistics, 1964 .

24) M. Pie: phonetics, 1947.

25) K. Pike : phonemics, U. S. A, 1947 .

26) A, Radford: Linguistics. An Introduction, 1999.

27) R. H. Robins: General linguistics, 1966.

28) E, Sadiqi, M. Ennaji: Introduction to modern linguistics, 2, eme edition, 1999.

29) Vendryes: Language and linguistics, In Introduction to history 1949.

فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة
قيم المفصل وأنواعه في اللغة العربية	٢٤٧
الوقفات	٢٤٧
السكتات	٢٥٠
الاستراحات	٢٥٢
الخاتمة	٢٥٣
المراجع العربية	٢٥٩
المراجع الأفرنجية	٢٦٦

الدرسات الصوتية عند العلماء العرب
والدرس الصوتي الحديث



